

اصدار من انجلی
محمد سرور انجلی
مزارہ اللہ خیر



المیسر
فی علم القرآن

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية - معهد الإمام الشاطبي

الميسر في علوم القرآن / مركز الدراسات والمعلومات القرآنية - ط ١؛

معهد الإمام الشاطبي - جدة، ١٤٤١ هـ

٣٢٠ ص؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٨٤-١١-٧

١- علوم القرآن - كتب دراسية أ. العنوان

ديوي ٢٢٠,٧١٢ ١٤٤١/٢١٥٩

رقم الإيداع: ١٤٤١/٢١٥٩

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٨٤-١١-٧

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

إِضْادَارٌ مُحْكَمٌ عِلْمِيًّا

مَرْكَزُ الدِّرَاسَاتِ وَالْمَعْلُومَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

بِمَعْهَدِ الْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ

بإشراف جمعية تحفيظ القرآن الكريم بمكة (خيركم)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٦٠٢٠٢ - تحويلة: ١١٠ فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٦٠٥٠٥

الموقع الإلكتروني: www.shatiby.edu.sa

البريد الإلكتروني: Drasat1@gmail.com

العنوان الوطني (بريد واصل):

معهد الإمام الشاطبي

٥٢٠٦ غ م - حي الرحاب

جدة ٢٣٣٤٣ - ٦٩٩٠

المملكة العربية السعودية





مَجْلَدُ الْمَقَرَّاتِ الدِّرَاسِيَّةِ



المليسة

في علوم القرآن

إعداد
مركز الدراسات والمعلومات القرآنية
بمقر الإمام الشاطبي

راجعه

أ. د. غانم قدوري الحمد
أ. د. مساعد بن سليمان الطيار



مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

بمقر الإمام الشاطبي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المَقْدَمَةُ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فهذا مَقَرَّرٌ دراسيٌّ ميسّر في مباحث علوم القرآن أعدّ للمبتدئين من طُلاب العلم، الغرض منه أن يتميّز عن غيره من جَوَانِبِ عِدَّةٍ، أهمّها:

١- عَرَضَ أكبر قدرٍ من مهمّات علوم القرآن التي يحتاج طالب العلم المبتدئ إلى معرفة إلماحةٍ عنها^(١)، بحيث يكون شاملاً لمفردات هذا العلم المقرّرة في المعاهد والكلّيّات، خصوصاً علوم القرآن التي صارت مستقّلةً لها تصانيفها العديدة، وتطبيقاتها الشاملة لجميع سُور القرآن.

٢- تضمين الكتاب مفردات مادة علوم القرآن المعتمدة من الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي بوزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية.

٣- تصنيف مباحث علوم القرآن تصنيفاً موضوعياً، بردها إلى موضوعات كبرى، هي موضوعات فصول الكتاب، ثم ترتيبها ترتيباً زمنياً متسلسلاً؛ من نزول القرآن إلى علوم لغته؛ مروراً بجمعه وخصائصه وحقوقه وقراءته وتفسيره.

٤- تصدير كلّ فصلٍ بأهدافه العلميّة والتربويّة، ومُدخلٌ يوضّح مضمونه وعلاقته التسلسليّة بموضوع الكتاب، ومناسبته للموضع الذي ورد فيه.

٥- ذكر المبادئ التأسيسية لكلّ نوعٍ من علوم القرآن من حيث: تعريفه، وأهميّته وفائدته، ونشأته، وأهم مصنفاته، وأبرز مسائله وموضوعاته، مع نماذج وأمثلة توضيحية للمقصود.

٦- ذكر أبرز مسائل الفن الواحد في المتن محرّرةً بإيجاز، مع تجنّب المناقشات والاستطرادات، إلا ما احتاج إلى توضيح أكثر فيوضع في الحاشية.

٧- الاقتصار على القول الصحيح والراجح في المسائل الخلافية، ويُشار في الحاشية إلى الخلاف إن كان معتبراً، وقد يُذكر في المتن إن كان قوياً مع المناقشة والترجيح باختصار.

٨- العزو إلى المصادر الأصيلة من أمّات كُتِبَ علوم القرآن الجامعة والمفردة، مع

(١) عَرَضَ الكتاب أكثر من ٤٠ نوعاً من علوم القرآن.

الإفادة من الكتب المعاصرة المحررة لا سيما ما أفرد كدراسة تأصيلية لأحد علوم القرآن .
٩- إيراد الأحاديث والآثار الصحيحة مع تخريجها بإيجاز ، وتجنب ذكر الآثار الضعيفة إلا عند الحاجة مع بيان درجتها .

١٠- الحرص على أن تكون لغة الكتاب واضحة المعنى ، سهلة المأخذ ، وأن تخرج أفكاره مترابطة متسلسلة ، في إطار علمي ميسر .

١١- التركيز على الأسلوب العلمي في العرض إضافة إلى تفكير المسائل وذكر الأمثلة ، مع تجنب الأسلوب الأدبي والاستطراد في المسائل والمناقشات ، حتى لا يخرج عن كونه كتاباً دراسياً .

١٢- تعزيز مباحث الكتاب بخرائط ذهنية ورسوم بيانية تجمع شتات المسائل ، وتقربها للأفهام .

١٣- تذييل كل فصل بخلاصة تضع أمام الدارس أهم ما ورد فيه ، وأسئلة نظرية تساعد في تثبيت الحقائق في ذهنه ، وأضفنا إليها أسئلة إثرائية تُمَيِّمُ مهارة البحث لدى المتعلم في موضوعات علوم القرآن ، بالقدر الذي يسمح به حجم الكتاب .
أهداف المقرر :

يهدف مقرر « المبشر في علوم القرآن » إلى أن يكون الطالب قادراً على أن :

١- يبين مبادئ علوم القرآن المذكورة .

٢- يفرق بين أنواع علوم القرآن .

٣- يبين علاقة كل علم من علوم القرآن بغيره من علوم القرآن .

٤- يذكر تاريخ علوم القرآن .

٥- يبين موضوع كل علم من علوم القرآن .

٦- يبين مسائل كل علم من علوم القرآن .

٧- يذكر أهم المصنفات في أنواع علوم القرآن .

٨- يقدر جهود أهل العلم في خدمة القرآن .

محتوى الكتاب :

يتكون الكتاب من تمهيد وستة فصول كما يلي :

التمهيد: مدخل إلى علوم القرآن

أولاً: مفهوم علوم القرآن .

ثانياً: موضوع علم «علوم القرآن» ، وغاية معرفته .

ثالثاً: نشأة علوم القرآن .

رابعاً: الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير .

الفصل الأول: علوم نزول القرآن

أولاً: الوحي .

ثانياً: كيفية نزول القرآن .

ثالثاً: أول ما نزل من القرآن وآخره .

رابعاً: المكي والمدني .

خامساً: أسباب النزول .

الفصل الثاني: علوم جمع القرآن

أولاً: جمع القرآن وتدوينه .

ثانياً: ترتيب سور القرآن وآياته .

ثالثاً: عدد سور القرآن وآياته وتجزئته .

رابعاً: رسم المصحف .

خامساً: ضبط المصحف .

الفصل الثالث: علوم خصائص القرآن وحقوقه

أولاً: أسماء القرآن وأسماء سورته .

ثانياً: فضائل القرآن .

ثالثاً: إعجاز القرآن .

رابعاً: تدبر القرآن .

خامساً: الانتصار للقرآن .

الفصل الرابع: علوم قراءة القرآن

أولاً: الأحرف السبعة .

ثانياً: عِلْمُ الْقِرَاءَاتِ .

ثالثاً: عِلْمُ التَّجْوِيدِ .

رابعاً: عِلْمُ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ .

خامساً: آداب قراءة القرآن .

الفصل الخامس: علوم تفسير القرآن

أولاً: عِلْمُ التَّفْسِيرِ .

ثانياً: عِلْمُ أَصُولِ التَّفْسِيرِ .

ثالثاً: عِلْمُ مَنَاهِجِ الْمُفَسِّرِينَ .

رابعاً: عِلْمُ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ .

خامساً: عِلْمُ النَّاسِخِ وَالْمُنْسُوخِ فِي

القرآن .

الفصل السادس: علوم لغة القرآن وأساليبه

أولاً: عِلْمُ غَرِيبِ الْقُرْآنِ .

ثانياً: عِلْمُ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ .

ثالثاً: عِلْمُ الْمُعَرَّبِ فِي الْقُرْآنِ .

رابعاً: عِلْمُ إِغْرَابِ الْقُرْآنِ .

خامساً: عِلْمُ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ .

سادساً: دَلَالَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ .

سابعاً: عِلْمُ أَقْسَامِ الْقُرْآنِ .

ثامناً: عِلْمُ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ .

تاسعاً: عِلْمُ قِصَصِ الْقُرْآنِ .

عاشراً: عِلْمُ الْجَدَلِ فِي الْقُرْآنِ .

وبعد، فإن بلوغ الكمال غاية لا تُدرك، ولا يخلو عمل البشر من النقص المستدرِك،

ومن ثم نأمل ممن يعثر على خلل أن يوجِّهنا لتصحيحه، أو يجد قصوراً أن ينبِّهنا

لإتمامه، ويراسلنا على البريد drasat1@gmail.com.

وختاماً نسأل الله أن يكتب لهذا الكتاب القبول، ويعمَّ به النفع،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

التمهيد مدخل إلى علوم القرآن

- أولاً: مفهوم علوم القرآن
ثانياً: موضوع علم «علوم القرآن» ، وغاية معرفته
ثالثاً: نشأة علوم القرآن
رابعاً: الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير

أهداف التمهيد

- يُتَوَقَّع من الدارس في نهاية دراسته لهذا التمهيد أن يكون قادراً على أن:
- ١- يُعرِّف "علوم القرآن" باعتباره علماً مدوَّناً.
 - ٢- يذكر تاريخ علوم القرآن من النشأة إلى التمام.
 - ٣- يُفرِّق بين علوم القرآن وأصول التفسير.

أولاً: مفهوم علوم القرآن:

- ١- معنى (علوم)^(١): العلوم جمع (علم)، وهو لغة: إدراك الشيء على حقيقته، واصطلاحاً: مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة.
- ٢- معنى (القرآن): لغة: مصدر للفعل «قرأ»، بمعنى «تلا»،^(٢)، سُمي به المقروء تسميةً للمفعول بالمصدر^(٣)، ثم غلب اسماً على كلام الله تعالى المكتوب في المصحف^(٤).
- واصطلاحاً: كلام الله تعالى، المنزل على نبيه محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته^(٥).
- شرح التعريف وبيان محترزاته:

كلام الله: عمومٌ يشمل جميع كلامه سبحانه، فيدخل فيه كلامه للملائكة، ولغيرهم، ومعتقد أهل السنة والجماعة أن الله تكلم بالقرآن حقيقة^(٦).

المنزل: خرج ما لم ينزل من كلامه، مثل كلامه لأهل السماء.

على نبيه محمد ﷺ: خرج ما نزل على الأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ، كالطّورة والإنجيل والزبور.

المتعبد بتلاوته: أي المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، خرج ما نُسخت تلاوته، والأحاديث القدسية^(٧)، وغيرها من الكلام المنزل على محمد ﷺ مما لا يصح تلاوته في الصلاة.

- ٣- المراد بـ«علوم القرآن»: بعد بيان شقي «علوم القرآن» يمكننا تعريفه باعتباره علماً بأنه: العلم الذي يتناول القرآن الكريم من حيث نزوله، وجمعه، وخصائصه،

(١) ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٢٤).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

(٣) ينظر: الإتيان في علوم القرآن (١/ ٨٧).

(٤) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٢٠-٢٢).

(٥) ينظر: النبا العظيم (ص ٤٣)، مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص ٢١).

(٦) ينظر: متن العقيدة الطحاوية (ص ٤٠).

(٧) الحديث القدسي: هو ما يُضيفه الرسول ﷺ إلى ربه ﷻ. وهو وحي من عند الله بالمعنى دون اللفظ، بينما القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى بلفظه ومعناه. ينظر: مباحث في علوم القرآن (ص ٢٥).

وحقوقه، وقراءته، وتفسيره، على جهة التأسيس.

شرح التعريف وبيان مُحْتَرَزَاتِهِ:

- العلم الذي يتناول القرآن الكريم: سيأتي في نشأة علوم القرآن أن علوم القرآن جُمِعت في مؤلفات شاملة؛ صَنَّفَتْهَا وَبَيَّنَتْ مبادئها تحت مسمى «علوم القرآن»، فصارت بذلك علماً قائماً بذاته، وفناً مُدَوَّناً له لقبه وتصانيفه الخاصة.

- من حيث نزوله، وجمعه، وخصائصه، وحقوقه، وقراءته، وتفسيره، وهذه ستة أقسام كبرى لعلوم القرآن، وتوضيحها كالتالي:

الأول: علوم القرآن المتعلقة بنزوله: كالوحي، وكيفية النزول، وأول ما نزل وآخر ما نزل، والمكي والمدني، وأسباب النزول.

الثاني: علوم القرآن المتعلقة بجمعه وتدوينه: كجمع المصحف، وترتيبه، وعدّ آيه، ورسمه، وضبطه.

الثالث: علوم القرآن المتعلقة بخصائصه: كأسماء القرآن، وفوائده، وإعجازه.

الرابع: علوم القرآن المتعلقة بحقوقه: كقراءته، ومعرفة تفسيره، وتدبره، والانتصار له، ونظراً لأهمية علوم قراءة القرآن والتفسير وكثرة مباحثها أفردنا كل منهما كقسم مستقل.

الخامس: علوم القرآن المتعلقة بقراءته (علوم التلاوة)، كالأحرف السبعة، وعلم القراءات، والتجويد، والوقف والابتداء، وآداب التلاوة.

السادس: علوم القرآن المتعلقة بتفسيره وبيان معانيه، وهي أكثر أنواع علوم القرآن، وهي قسمان:

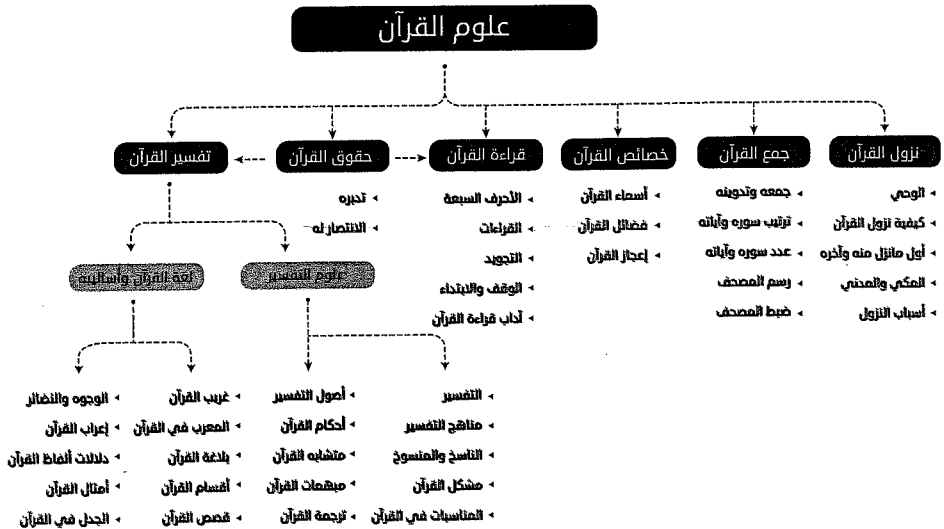
- الأنواع المتعلقة بتفسير القرآن وبيان تراكيبه (علوم التفسير)، كأصول التفسير، ومناهج المفسرين، وأحكام القرآن، وناسخه ومنسوخه، ومتشابهه، ومُشْكَله، ومُبْهَماته، ومناسباته، وترجمته^(١).

- الأنواع المتعلقة بلغة القرآن وبيان مفرداته وأصاليه، كغريب القرآن، والوجوه

(١) ويُنبّه إلى أن بعض هذه الأنواع تتعلق بأكثر من قسم، كأسباب النزول الذي هو من علوم نزول القرآن وكذلك من علوم تفسيره، ورسم المصحف الذي هو من علوم جمع القرآن وكذلك يتعلق بعلوم تلاوته.

والتَّظَاثُرُ فِيهِ، وَإِعْرَابُهُ، وَبَلَاغَتُهُ، وَدَلَالَاتُ أَلْفَاظِهِ، وَأَقْسَامُهُ، وَأَمْثَالُهُ، وَقِصَصُهُ، وَجَدَلُهُ. وَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ سَيَتَمُّ الْحَدِيثُ عَنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ فِي فِصُولِ هَذَا الْكِتَابِ السَّتَّةِ. عَلَى جِهَةِ التَّأْصِيلِ: بِمَعْنَى أَنْ مَنَهِجَ بَيَانِ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ هُوَ التَّأْصِيلُ وَالتَّمْثِيلُ بِذِكْرِ مَبَادِئِهِ مِنْ بَيَانِ مَفْهُومِهِ وَمَوْضُوعِهِ وَأَهْمِيَّتِهِ وَنَشَأَتِهِ وَمَسَائِلِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ وَالْإِشَارَةِ، وَأَبْرَزَ مَا صُنِّفَ فِيهِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، دُونَ الْخَوْضِ فِي التَّفَاصِيلِ وَالْجَوَابِ التَّطْبِيقِيَّةِ الشَّامِلَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ومما يجدر ذكره أن هذه الأنواع منها ما له مصنفاته الخاصة وتطبيقاته الشاملة للقرآن، كأسباب النزول، ورسم المصحف، وأحكام القرآن، ومنها ما هو مسائل محدودة كأول ما نزل، والأحرف السبعة، وترتيب القرآن.



ثانياً: موضوع «علوم القرآن»، وغاية معرفته:

موضوع علم «علوم القرآن» هو القرآن الكريم؛ من حيث نزوله وجمعه وخصائصه وحقوقه وقراءته ولغته وتفسيره، كما تقدّم في تعريفه.

أما غاية معرفته، فيمكن إجمالها في ما يأتي:

- ١- الاطمئنان إلى صحّة جمع القرآن وحفظه كاملاً دون زيادة أو نقصان.
- ٢- معرفة المنهج الصحيح لفهم القرآن وتلقّيه وتلاوته.
- ٣- الوقوف على الجهود العلميّة للأمة في مجال خدمة القرآن الكريم واستنباط علومه وأثر هذه الجهود في الحفاظ عليه.
- ٤- مواجهة دعاوى الطاعنين في القرآن وعلومه من المستشرقين وغيرهم بما يفنّدها ويُبطلها.

ثالثاً: نشأة علوم القرآن ومراحلها^(١):

بدأ ظهور علوم القرآن ببداية نزوله، حين نزل جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ في غار حراء، بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. حيث يمكن أن يُستنبط من هذا الحديث بعض أنواع علوم القرآن، مثل: نزوله - خصوصاً أول ما نزل -، وقراءته، والوحي.

وقد مرّت علوم القرآن - كسائر علوم الشريعة - بمرحلتين أساسيتين: مرحلة الروايات الشفهية، ومرحلة التدوين، وفي ما يأتي توضيحٌ لكلٍّ من المرحلتين:

(أ) مرحلة الروايات الشفهية: كانت علوم القرآن في عهد الصحابة تتمثل في وجود روايات شفاهية يتناقلها التابعون عن الصحابة، وأتباع التابعين عن التابعين، وهكذا حتى يصل السند إلى قائله من هذه الطبقات الثلاث.

(ب) مرحلة تدوين علوم القرآن: بدأ تدوين علوم الشريعة في وقت مبكر من النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وأتخذ طابعاً رسمياً في آخره، ومن ثمّ تسارعت عجلة التدوين بعد ذلك لسائر علوم الشريعة، ومنها علوم القرآن، ويمكننا تقسيم مراحل

(١) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٢٠-٢٢).

تدوينها إلى أربعة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة التدوين المفرد (ابتداءً من أواخر القرن الأول): تقدّم أن علوم القرآن في القرن الأول تمثّلت في وجود روايات شفاهية يتناقلها السلف في طبقاتهم الثلاث مُستدّةً، ثم كان لتدوين علوم القرآن نصيبٌ ابتداءً من أواخر هذا القرن، لكن اقتصر على النوع الواحد من أنواع علوم القرآن، مما يمكن أن نطلق عليه التدوين المفرد لعلوم القرآن، ومن أبرز تلك العلوم:

- علم التفسير: حيث ألف فيه مجاهد بن جبر (ت: ١٠٣هـ)، ومقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، وسفيان الثوري (ت: ١٦١هـ)، ويحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ) ومؤلفاتهم مطبوعة.
- علم المكي والمدني: ألف فيه عكرمة مولى ابن عباس (ت: ١٠٤هـ)، والضحاك ابن مزاحم (ت: ١٠٥هـ)، والحسن البصري (ت: ١١٠هـ)، وابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ)، وكتابه مطبوع.

- علم الناسخ والمنسوخ: ممّن ألف فيه: قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٧هـ)، وابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ)، وكتاباهما مطبوعان.

- علم الوجوه والنظائر: ممّن ألف فيه مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، ويحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ). وكتاباهما مطبوعان.

وقد استمرّ التدوين المفرد لعلوم القرآن في مختلف القرون إلى هذا العصر، وهي مصنّفات كثيرة تفوق الحصر^(١).

المرحلة الثانية: مرحلة الجَمْع الجزئي لعلوم القرآن (ابتداءً من القرن الثالث): تميّزت هذه المرحلة بظهور مصنّفات تجمع أنواعاً من علوم القرآن، لكنه جمعٌ جزئيٌّ لعلوم القرآن غير شاملٍ لها، ومن أبرز ما وصلنا من هذه المصنّفات:

١- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه^(٢)، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ).

(١) وستأتي أمثلة عديدة في مباحث هذا الكتاب عند بيان أنواع علوم القرآن.

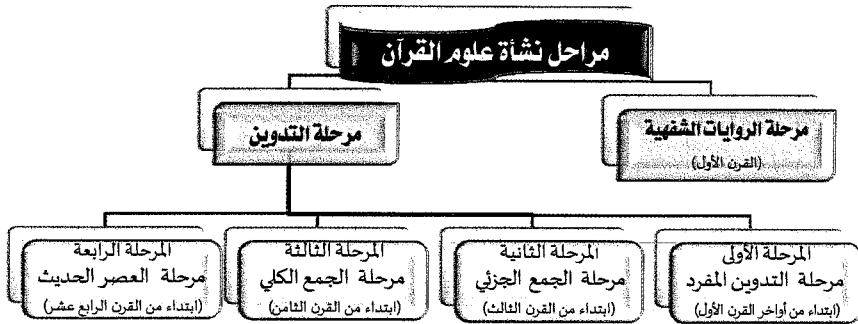
(٢) اشتهر هذا الكتاب بأنه في فضائل القرآن فحسب، وعلى هذا النظر هو من كتب علوم القرآن المفردة، لكن الواقع أنه من كتب علوم القرآن الجامعة، إذ حوى أكثر من عشرين نوعاً من علوم القرآن. ينظر: بحث «أول من ألف في علوم القرآن: رؤية جديدة»، د. خالد الواصل، مجلة الدراسات والبحوث القرآنية، ع ١١.

- ٢- ففهم القرآن، للحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣).
 - ٣- فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧).
 - ٤- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣).
 - ٥- المرشد الوحيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي (ت: ٦٦٥).
- وقد استمرّ التصنيف الجزئي لعلوم القرآن في مختلف القرون إلى عصرنا.
- وعلى هذا التصنيف، يمكن القول إن أول كتاب وصل إلينا من كتب علوم القرآن الجامعة هو كتاب «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤)^(١).
- المرحلة الثالثة: مرحلة الجمع الكلي لعلوم القرآن (ابتداء من القرن الثامن): في هذا القرن بدأت محاولات الجمع الكلي الشمولي لعلوم القرآن، ومن أبرزها كتابان:
- ١- البُرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤): وهو أول كتاب يجتهد في جمع أنواع علوم القرآن، ومن أجودها ترتيباً لأنواعه، وتحريراً لمسائله، ضمّنه سبعة وأربعين نوعاً من أنواع علوم القرآن، توسّع في كثير منها بالبيان والاستطراد والتحقيق والتمثيل، وهو مطبوع.
 - ٢- الإقتان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١): وهو من أجمع ما صنّف في هذا الباب، أفاد من مؤلفات السابقين في علوم القرآن المفردة منها والجامعة -خصوصاً البرهان- وزاد عليها، مع حسن الترتيب والتبويب، أورد فيه ثمانين نوعاً من أنواع علوم القرآن على سبيل الإدماج، وقد صار هذا الكتاب عمدة في كتب علوم القرآن، وهو مطبوع طباعات عديدة.
- المرحلة الرابعة: العصر الحديث (ابتداء من القرن الرابع عشر):
- بعد كتاب الإقتان فترت الهمة عن التأليف الجمعي في علوم القرآن حتى كاد أن

(١) يُنظر أبرز الآراء التي ذُكرت في المسألة في المرجع السابق (ص ٤٩-٥٢).

يتوقف^(١)، إلى أن نشأت طريقة الدراسة الجامعية النظامية في القرن الرابع عشر وأدرجت مادة (علوم القرآن) في مناهج الجامعات؛ فظهر العديد من كتب علوم القرآن الجامعة جمعاً جزئياً لأعضاء هيئة التدريس الذين درّسوا تلك المناهج، اعتمد أغلبها منهج التيسير والاختصار والتّقريب بالأساليب المعاصرة في الكتابة والتّأليف، لكن أغلبها ناقلٌ عما سبق دون زيادة أو تحقيق، إلا أن منها ما كان عالي الجودة في التّأليف والتّحرير، من أبرزها:

- ١- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧).
- ٢- مباحث في علوم القرآن، د. صُبحي الصالح (ت: ١٤٠٧).
- ٣- مباحث في علوم القرآن، مناع خليل القطان (ت: ١٤٢٠).
- ٤- المحرّر في علوم القرآن، أ. د. مساعد الطيّار.

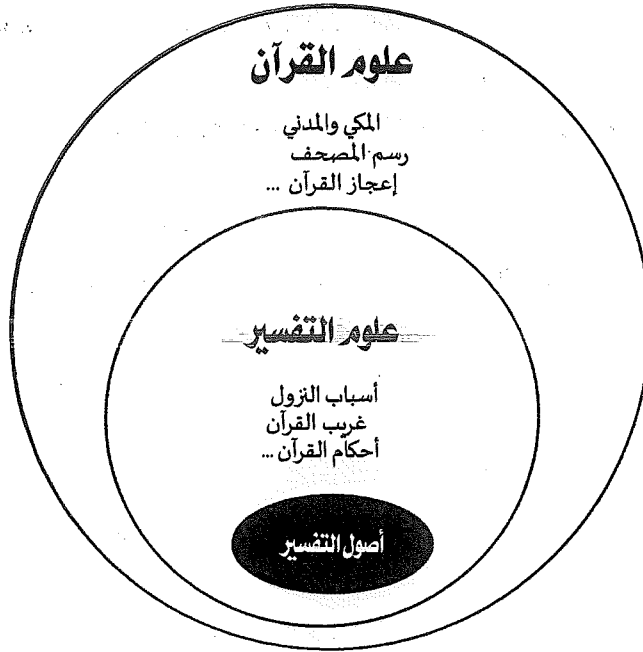


(١) سوى بعض كتب ظهرت؛ إما كتابة في بعض أنواع علوم القرآن، كما فعل طاهر الجزائري (ت: ١٣٣٨) في كتابه (التيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتيان)، وإما تشقيقاً لما ذكره السيوطي، كما صنع ابن عقيلة المكي (ت: ١١٥٠) في كتابه (الزيادة والإحسان في علوم القرآن)، الذي فرّع كثيراً من مسأله حتى بلغت الأنواع التي ذكرها مئة وأربعة وخمسين نوعاً من أنواع علوم القرآن. وقد طُبِع الكتاب حديثاً.

رابعاً: الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير

أصول التفسير ليست هي علوم القرآن ، وذلك أنَّ التفسير -الذي هو بيانُ معاني القرآن- جزءٌ من علوم القرآن ، بل هو أكبرُ علومه ، وفي علوم القرآن غير علوم التفسير كما تقدم في التعريف . أما أصول التفسير فإنه أحد علوم التفسير ، حيث يشتمل على المبادئ والأسس التي يحتاج إليها المفسر وقارئ التفسير^(١) .

والخلاصة أن علم أصول التفسير جزءٌ من علوم التفسير ، وعلوم التفسير جزءٌ من علوم القرآن .



(١) ينظر في تحرير ذلك: المحرر في علوم القرآن (ص ٥٣-٥٥) . ويُراجع الرسم البياني ص ١٢ ليظهر موقع أصول التفسير من علوم التفسير من علوم القرآن . وسيأتي الحديث عن أصول التفسير في الفصل الخامس باعتباره علماً من علوم التفسير .

خلاصة المدخل إلى علوم القرآن

- العلم: لغة: إدراك الشيء على حقيقته. واصطلاحاً: مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة.
- القرآن: لغة: مصدر للفعل «قرأ»، بمعنى «تلا». اصطلاحاً: كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته.
- «علوم القرآن» باعتباره علماً مدوّناً: هو العلم الذي يتناول القرآن الكريم من حيث نزوله، وجمعه، وخصائصه، وحقوقه، وقراءته، وتفسيره، على جهة التأصيل. وهذه هي الأقسام الستة الكبرى لعلوم القرآن، وهي موضوع علم «علوم القرآن».
- غاية معرفة علم «علوم القرآن» هي: الاطمئنان إلى صحة جمع القرآن، ومعرفة المنهج الصحيح لفهمه وتلقيه وتلاوته، والوقوف على جهود الأمة في خدمته، ومواجهة دعاوى الطاعنين فيه.
- نشأت علوم القرآن مع بداية نزوله.
- مرت علوم القرآن ابتداءً بمرحلتين أساسيتين: الروايات الشفهية، والتدوين.
- مرتدوين علوم القرآن بأربعة مراحل:
- المرحلة الأولى: مرحلة التدوين المفرد (ابتداء من أواخر القرن الأول).
- المرحلة الثانية: مرحلة الجُمع الجزئي لعلوم القرآن (ابتداء من القرن الثالث).
- المرحلة الثالثة: مرحلة الجُمع الكلي لعلوم القرآن (ابتداء من القرن الثامن).
- المرحلة الرابعة: العصر الحديث (ابتداء من القرن الرابع عشر).
- يمكن القول إن أول كتاب وصل إلينا من كتب علوم القرآن الجامعة هو كتاب «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤).
- أبرز كتب علوم القرآن الجامعة الكلية: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (ت: ٧٩٤)، و«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (ت: ٩١١).
- علم أصول التفسير جزء من علوم التفسير، وعلوم التفسير جزء من علوم القرآن.

أسئلة تقويمية

- ١- عرّف شقّي مصطلح «علوم القرآن» لغةً واصطلاحًا.
- ٢- عرّف مصطلح علوم القرآن باعتباره علمًا مدوّناً.
- ٣- عيّّد الأقسام الكبرى لعلوم القرآن مع التمثيل لكل منها بمثالين.
- ٤- ما موضوع علم «علوم القرآن»؟ وما الغاية من معرفته؟
- ٥- متى نشأت علوم القرآن؟ وما المرحلتان الأساسيتان اللتان مرّت بهما؟
- ٦- تحدّث عن المراحل التي مرّ بها تدوين علوم القرآن.
- ٧- ما المقصود بالتدوين المفرد في علوم القرآن؟ مع ذكر خمسة أمثلة لذلك.
- ٨- اذكر الفرق بين التدوين الجزئي والتدوين الكلي لعلوم القرآن. ومتى بدأ كل منهما؟
- ٩- ما أوّل مصنّف في علوم القرآن باعتباره علمًا مدوّناً مستقلاً؟
- ١٠- اذكر ثلاثة مصنّفات جزئية في علوم القرآن.
- ١١- ما أبرز المصنّفات الجامعة الكلية في علوم القرآن؟
- ١٢- وضح الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير والتفسير.

أسئلة إثرائية

- ١- عيّد أربعة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي.
- اقرأ مقدمة كتاب «الإتقان في علوم القرآن» ثم أجب على ما يلي:-
- ٢- ما عدد أنواع علوم القرآن التي أوردتها؟
- ٣- صيّف هذه الأنواع على أقسام علوم القرآن الكبرى التالية:
نزول القرآن - جمع القرآن - خصائص القرآن - حقوق القرآن - قراءة القرآن - تفسير القرآن.
- ٤- عيّد عشرة من مصنّفات علوم القرآن المفردة التي أفاد منها.
- ٥- عيّد ثلاثة من مصنّفات علوم القرآن الجامعة التي أفاد منها.

الفصل الأول

علوم نزول القرآن

أولاً: الوحي .

ثانياً: كيفية نزول القرآن .

ثالثاً: أول ما نزل من القرآن وآخره .

رابعاً: المكي والمدني .

خامساً: أسباب النزول .

أهداف الفصل :

يُتَوَقَّع من الدارس في نهاية دراسته لهذا الفصل أن يكون قادراً على أن:

- ١- يُوَضِّح مفهوم الوحي إلى الأنبياء وكيفية.
- ٢- يذكر تاريخ نزول القرآن.
- ٣- يُعَلِّل نزول القرآن مفرداً ويبين الحكمة منه.
- ٤- يُمَيِّز مكان نزول القرآن ويبين فوائد معرفته.
- ٥- يُفَرِّق بين سبب النزول وموضوع النزول.
- ٦- يبيِّن فوائد معرفة أسباب النزول.

تقدّم في التعريف أن أول أقسام علوم القرآن الكبرى هي المتعلقة بنزوله ، ولو عدت إلى كتب علوم القرآن الجامعة لوجدتها أنواعاً عديدة ؛ إلا أن كثيراً منها عبارة عن مسائل يسيرة مُندرجة في الأصل ضمن ما هو أكبر منها^(١) ، لذا سنقتصر على أبرز هذه الأنواع وهي :

- ١- الوحي .
- ٢- كيفية نزول القرآن .
- ٣- أول ما نزل وآخر ما نزل .
- ٤- المكي والمدني .
- ٥- أسباب النزول .



(١) وقد ذكر الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت: ٤٠٦) في كتابه «التنبيه على فضل علوم القرآن» خمسة وعشرين نوعاً ، كالحصري والسفري ، والنّهاري والليلي ، والصيفي والشتائي ، والفراسي والنّومي ، والأرضي والسّمائي ، وغير ذلك . وأورد كلامه السيوطي في الإتقان (٤٣/١ - ٤٤) ثم قال : «وقد أشبعت الكلام على هذه الأوجه ، فمنها ما أفردته ، ومنها ما تكلمت عليه في ضمن بعض الأنواع» .

أولاً: الوحي

الوحي لغة: إلقاء علم في خفاء. ويُطلق على كل ما يحصل بين ملقٍ ومتلقٍ من إلقاء علم بطريقة خفية^(١). والذي يعنينا في هذا المبحث هو (الوحي الإلهي)، وهو وحي الله تعالى إلى بعض خلقه، وقد وَرَدَتْ آياتٌ عديدةٌ تخبرُ عنه، ويمكننا إجمالاً في نوعين: الوحي العام إلى غير الأنبياء، والوحي الخاص بالأنبياء.

أولاً: الوحي إلى غير الأنبياء (الوحي بالمعنى العام)، وهو داخل ضمن المعنى اللغوي للوحي، من أمثلته:

١- وحي الله لبعض البشر من غير الأنبياء، وهو الإلهام الفطري للإنسان نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾ الآية [القصص: ٧]. وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١].

٢- وحي الله لملائكته، كما وقع في قصة غزوة بدر: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

٣- وحي الله لبعض مخلوقاته غير العاقلة، كوحيه للنحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، ووحيه إلى السماء: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]، ووحيه للأرض: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

ثانياً: الوحي إلى الأنبياء (الوحي بالمعنى الخاص): وهو الوحي بالمعنى الشرعي، ويمكن تعريفه بأنه: إعلامُ الله لنبيٍّ من أنبيائه بنبؤته، وما يتبعها من أوامر ونواهٍ وأخبارٍ، بكيفيةٍ معينةٍ^(٢).

(١) ومنه الإشارة، كما في قوله تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، وكذلك الوسوسة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَىٰ أَهْلِ آلِ إِبْرَاهِيمَ لِجَدِّدُواكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]. ويطلق أيضاً على: الكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقته إلى غيرك، وكذلك الوحي إلى الأنبياء، قال ابن الأنباري: «سُمِّيَ وحيًا لأنَّ الملَّكَ أسَرَّه عن الخلق وخصَّ به النبيَّ المبعوث إليه». ينظر: مقاييس اللغة (وحي)، مختار الصحاح (وحي)، تاج العروس مادة (وحي).

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٦٢).

وقد ورد في الكتاب والسنة في مواضع كثيرة، وله طرق متعددة، جمعتها آية سورة الشورى، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْحَمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]. وتفصيلها في ما يأتي:

١- أن يلهم الله نبيه ما يريد؛ بإلقاء ذلك في روعه - أي قلبه وخاطره - إما يقظة، وإما مناماً في رؤيا يراها^(١)، مثل ما وقع لإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِيَّيَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿[الصافات: ١٠٢]، فهو وحي بدلالة رد ابنه إسماعيل عليه السلام عليه بقوله: ﴿أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾. ومثله ما وقع لنبينا محمد ﷺ في ما ذكره ربه ﷻ في قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ تَلْقَىٰ فِيهِ رُءُوسَكُمُ الْمُفْصِرِينَ لَا تَخَافُوكَ﴾ الآية [الفتح: ٢٧].

٢- أن يكلمه من وراء حجاب، فلا يرى النبي ربه، لكن يسمع كلامه، وقد وقع هذا لموسى عليه السلام في بدء الوحي إليه، وفي ميعاده مع ربه لأخذ الشريعة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. ووقع لنبينا محمد ﷺ في حادثة المعراج، حيث أخذ الأمر بالصلاة مباشرة عن ربه ﷻ.

٣- أن يرسل رسولا من الملائكة: وغالباً ما يكون المرسل جبريل عليه السلام إن كان الأمر يتعلق بالنبوة والشريعة، وقد يرسل غيره لأمر أخرى، كما ورد في الآثار. وهذا النوع من الوحي إلى الأنبياء هو أشهر أنواع الوحي وأكثرها، وهو الذي يعنينا في هذا المبحث لأن الوحي بإرسال جبريل عليه السلام هو الحالة الأظهر في نزول القرآن الكريم، لذا سنبيين صفة وكيفية في ما يأتي:

كيفية الوحي بواسطة جبريل عليه السلام:

الكلام في الوحي بالقرآن بواسطة جبريل عليه السلام من جانبين: كيفية تلقي جبريل عليه السلام القرآن من الله تعالى، وكيفية تلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام.

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٣).

كيفية تلقّي جبريل عليه السلام القرآن من الله تعالى^(١):

جاء في القرآن الكريم ما ينصّ على كلام الله لملائكته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ۖ ﴿٣٠﴾﴾ الآية [البقرة: ٣٠]. وعلى إيحائه إليهم: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ١٢].

وقد ورد في السنة بيان كيفية وحي الله إلى الملائكة وسماع الوحي في السماء كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ؛ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلْسَّمَاءِ صَلَصلةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعِقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقُّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقُّ، الْحَقُّ»^(٢).

والقرآن من الوحي الذي تلقاه جبريل عليه السلام سماعاً من الله تعالى بلفظه المخصوص، مباشرة بلا واسطة، ونزل به على نبينا محمد ﷺ كما سمعه من ربه ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ لِلنَّبِيِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٥﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وليس للرسولين الكريمين جبريل ومحمد ﷺ إلا مجرد تبليغ الرسالة، وأداء الألفاظ كما سمعها بلا نقص أو زيادة.

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن (ص ٣٤)، المحرر في علوم القرآن (ص ٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٥ / ٤) (٤٧٣٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود. وأورده البخاري في صحيحه (١٤١ / ٩) معلقاً موقوفاً على ابن مسعود في ترجمة باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُ الشَّفْعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣]، ولم يقل: ماذا خلق ربكم، وقال جل ذكره: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال مسروق، عن ابن مسعود: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئاً، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ وَنَادَوْا: «مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ» [سبا: ٢٣]. ويذكر عن جابر، عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ مَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَّانُ». والصلصلة: صوت الحديد إذا تحرك وتداخل، والصفاء أو الصفوان: الحجر الأملس. ينظر: النهاية في غريب الحديث (صلصل)، فتح الباري لابن حجر (٥٣٨ / ٨).

كيفية تلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام:

ورد في السنة ما يدل على كيفية الوحي بواسطة جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ والحال التي يكون عليها ﷺ أثناء تلقيه له، فعن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس^(١)، وهو أشده عليّ، فيفصم عني^(٢) وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول»^(٣). والحالة الأولى هي الحالة الأظهر في نزول القرآن الكريم^(٤)، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ بِرَبِّ الْمَلَائِكَةِ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿وَعَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

وقد لاحظ الصحابة رضي الله عنهم تلك الشدة التي يجدها الرسول ﷺ عند نزول القرآن ووصفوا أثرها عليه، فعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: «كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه كُرب لذلك، وتربّد له وجهه»^(٥). وفي حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قالت:

(١) والمعنى أن جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في حالته الملكية، ويلقى الوحي عليه ويسمعه ﷺ سماعاً حقيقياً، لكن يشعر أن الصوت الذي يأتيه مثل صلصلة الجرس، أي كصوت الحديد إذا تحرك من شدته. أما من حوله فيشعرون بصوت دون ذلك، كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أنزل عليه الوحي شمع عند وجهه كدوي النحل. رواه الترمذي في سننه (٣٢٦/٥) برقم (٣١٧٣). ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٩/١).

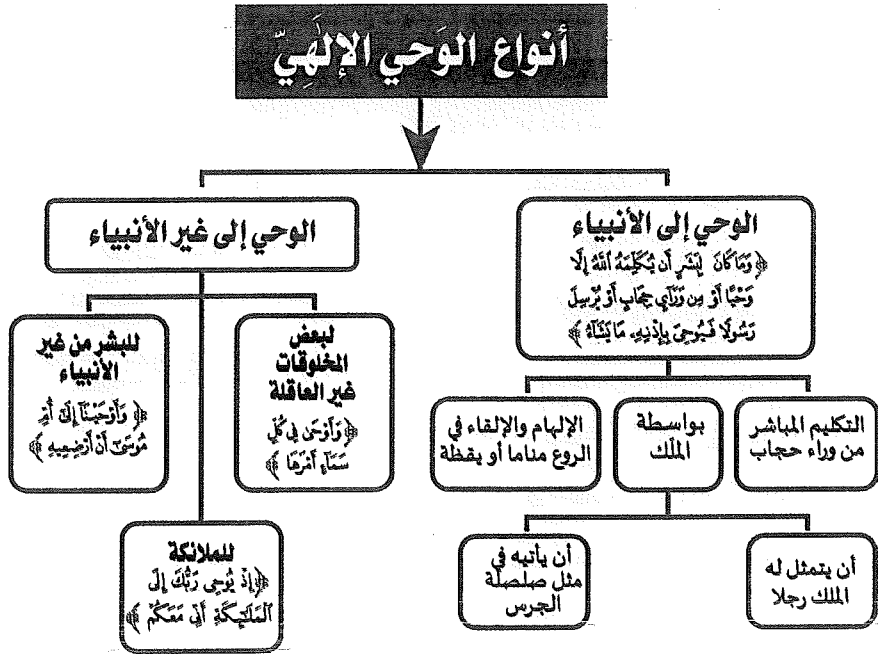
(٢) أي يُفْلَع وينجلي. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (فصم).

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري برقم (٢)، صحيح مسلم برقم (٢٣٣٣).

(٤) إلا ما ورد في حديث بدء الوحي في غار حراء حيث جاءه جبريل عليه السلام -واختلف في الصورة التي كان عليها- وأنزل عليه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق كما سيأتي. أما حديث أنس رضي الله عنه: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ آنفًا سورة فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾ إِنَّكَ شَانِئُهُ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿[الكوثر: ١-٣]﴾ [أخرجه مسلم برقم (٤٠٠)] = فالظاهر أن المقصود بالإغفاءة هنا ليس النوم؛ وإنما هي هذه الحالة التي تعتري الرسول ﷺ عند نزول الوحي، والله أعلم. ينظر: الإتيقان (٨٩/١).

(٥) أخرجه مسلم (١٣١٦/٣) (١٦٩٠). وتريد: أي تغيّر إلى الغبرة ينظر: النهاية (ريد).

«... فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبَرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّائِي، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ...»^(١).



(١) متفق عليه، صحيح البخاري (١٧٣/٣) (٢٦٦١)، صحيح مسلم (٢١٢٩/٤) (٢٧٧٠)، والبرحاء: شدة الحمى، والجمان: اللؤلؤ الصغار، ينظر: النهاية، لسان العرب (برح)، (جمن).

ثانياً: كيفية نزول القرآن

نزل القرآن الكريم في شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وذلك في ليلة القدر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ [الدخان: ٣-٤]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية: «أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، فكان بموقع النجوم^(١)، فكان الله ينزله على رسوله بعضه في أثر بعض. ثم قرأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]»^(٢).

وآية سورة الفرقان هذه تشير إلى أن الكتب السابقة كانت تنزل جملة واحدة^(٣)، لكن تميّز القرآن الكريم عنها بنزوله مفرّقاً كما هو معلوم، إضافةً إلى أنه نزل جملة واحدة كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه، ومن ثمّ فقد أفادنا هذا الأثر الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه أن للقرآن الكريم تنزلاً: نزول جمليّ، ونزول مفرّق، وإليك توضيحهما:

(١) المراد بموقع النجوم: نجوم القرآن، أي: نزول القرآن نجماً نجماً، والنجم: القسط من الشيء، والمراد الطوائف من الآيات التي تنزل من القرآن، وبه فسّر ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ كما في الأثر الذي رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ١٩١) من طريق سعيد بن جبّير، عن ابن عباس، قال: أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء جملة واحدة، ثم فرّق في السنين بعد. قال: وتلا ابن عباس، هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] قال: نزل مفرّقاً. وينظر: لسان العرب (نجم)، وتاج العروس (نجم)، التحرير والتنوير (٣٣١/ ٢٧).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣٤١/ ١٠) (١١٦٢٥)، والطبري في تفسيره (٥٤٤-٥٤٣/ ٢٤)، والحاكم في مستدركه (٢٢٢/ ٢) وصحّحه، ووافقه الذهبي، وصحّحه الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ٩)، وينظر: الإتيان (٢٧٠/ ١).

(٣) ينظر: الإتيان (٢٨١/ ١-٢٨٤).

أولاً: النزول الجملي:

دلّ تفسير ابن عباس رضي الله عنه لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] في الأثر السابق أن القرآن نزل إلى سماء الدنيا جملةً واحدةً في ليلة القدر^(١)، وهو خبر غيبيٌ صحيح عن ابن عباس، لا يُقال بالرأي، ولا يُدرك إلا بالخبر، فله حكم الرفع إلى النبي ﷺ، وليس له مخالفٌ من الصحابة، ولا يُحتمل أن يكون من مرويات بني إسرائيل؛ لأنه خبر إسلامي؛ لذا فإنه يُقبل ويُحتج به.

وهذا النزول متعلّق بأهل السماء الدنيا؛ إذ ليس فيه أحكام أو أثر يتعلّق بأهل الأرض، ولا ينبغي السؤال عن كيفيته وأحواله لأنه من الغيبيّات والمتشابه الكليّ الذي لا يعلمه إلا الله^(٢).

لكن يمكن القول إن الحكمة من هذا النزول هو بيان شرف هذه الأمة وفضلها؛ بنزول القرآن بهذه الصفة إضافةً إلى نزوله مفرّقاً دون غيره من الكتب، كما أن فيه تفخيماً لأمره وأمر من أنزل عليه بإعلام أهل السماوات بنزول آخر الكتب على خاتم الرسل ﷺ^(٣).

ثانياً: النزول المفرق:

بدأ نزول القرآن على النبي ﷺ في غار حراء - كما سيأتي - وهو في الأربعين من

(١) وقيل: إن المراد هو ابتداء نزوله على النبي ﷺ في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك مفرّقاً. رُوي ذلك عن الشعبي (ت: ١٠٦) وغيره. ينظر: تفسير الطبري (٥٤٣/٢٤). البرهان (١/ ٢٢٨-٢٢٩)، الإتيان (٢٧٣/١-٢٧٤). قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤/ ٩): «وما تقدّم من أنه نزل جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك مفرّقاً هو الصحيح المعتمد».

ويمكن الجمع بين القولين أن ابتداء نزول القرآن على رسول الله ﷺ، ونزوله جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا وقعا معاً في ليلة القدر، ولا تعارض في ذلك، فتكون الآية محتملةً للأمرين معاً، ويكون ابن عباس رضي الله عنه أراد التنبيه على التّزول الجملي الذي لا يُدرك إلا بالخبر، بخلاف النوع الثاني الذي يدلُّ عليه ظاهر التّنزيل، والله أعلم. ينظر: المرشد الوجيز (ص ٩)، المحرر في علوم القرآن (ص ٧٤).

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٧٤).

(٣) ينظر: المرشد الوجيز (ص ٢٤)، الإتيان (٢٧٦/١)، المحرر في علوم القرآن (ص ٧٥).

عمره، وتتابع نزوله مفرقاً على مدار ثلاث وعشرين سنة هي مدة البعثة إلى توفي وعمره ثلاث وستون سنة ﷺ، وتقدم أن هذه الكيفية في النزول تميز بها القرآن عن الكتب السابقة، حتى كان ذلك مثار تعجب من الكفار: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].

الحكمة من نزول القرآن مفرقاً:

لا شك أن لنزول القرآن على هذه الصفة التي لم تُعهد في الكتب السابقة حكماً عظيمة وفوائد جلية، من أبرزها:

١- تثبيت فؤاد الرسول ﷺ بسبب ما يلاقه من عنت المشركين، فينزل القرآن عليه ليهبه الطمأنينة والثبات، وقد نص القرآن على هذه الحكمة فقال ﷺ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] (١).

٢- تيسير حفظه وفهمه والعمل به على الصحابة، وبالتالي تثبيته في نفوسهم، لأنه لو نزل جملة واحدة على أمة أمية لا يقرأ غالبهم ولا يكتب لشق عليهم (٢).

٣ - مواكبة الحوادث والمسائل التي تقع في عصر النبوة، حيث ينزل الوحي بشأنها؛ جواباً لسؤال، أو علاجاً لإشكال، أو إرشاداً لصواب وكمال، أو توضيحاً لقضية، أو ردّاً لشبهة، ونحو ذلك. تلك الحوادث والمسائل هي أسباب النزول التي صارت علماً مهماً لمن أراد أن يفسر القرآن كما سيأتي (٣).

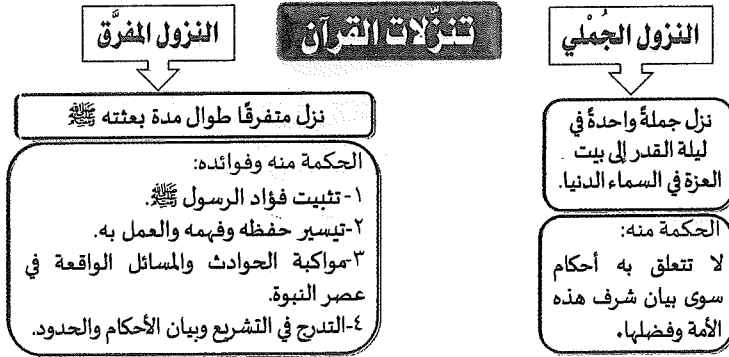
٤ - التدرج في التشريع وبيان الأحكام والحدود، إذ هو أدعى إلى القبول بخلاف ما لو نزلت الأحكام جملة واحدة فقد ينفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من

(١) ينظر: المرشد الوجيز (ص ٢٨)، البرهان (١/ ٢٣١)، الإتيان (١/ ٢٧٩).

(٢) ويمكن الاستدلال لذلك بقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] على قراءة (فَرَقْنَاهُ) بتشديد الراء، وهي قراءة شاذة مروية عن ابن عباس، ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٣٦٧)، المرشد الوجيز (ص ٢٨)، تفسير ابن كثير (٥/ ١٢٧)، فتح الباري لابن حجر (٩/ ٨).

(٣) وينظر: المرشد الوجيز (ص ٢٩)، الإتيان (١/ ٢٨٠).

الفرائض والنّواهي^(١)، قالت عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أوّل ما نزل منه [أي من القرآن] سورة من المفصّل فيها ذكر الجنّة والنّار، حتى إذا تاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّل شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزّنا أبدًا»^(٢).



مقدار النّازل من القرآن في كل مرّة:

تفاوت المقدار النّازل من القرآن قلةً وكثرةً، قال ابن عباس: «أنزل القرآن إلى السّماء الدّنيا جملةً واحدةً، ثم أنزل إلى الأرض نجومًا؛ ثلاث آيات، وخمس آيات، وأقلّ، وأكثر، فقال: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الْجُورِ﴾ [الواقعة: ٧٥]»^(٣). وقال السيوطي:

(١) ينظر: المرشد الوجيز (ص ٢٧-٢٨)، فتح الباري لابن حجر (٨/٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨/٩) برقم (٤٩٩٣). وينظر: الإتيان (٢٨٤/١). وقال الحافظ ابن حجر في معرض شرحه للحديث: «أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أوّل ما نزل من القرآن الدّعاء إلى التوحيد والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة وللّكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: ولو نزل أوّل شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها، وذلك لما طُبعت عليه النفوس من الثّغرة عن ترك المألوف». فتح الباري (٩/٤٠).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٩/١٤) إلى ابن المنذر، وابن الأنباري في كتاب المصاحف، وابن مردويه.

«الذي استُقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها: أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آياتٍ وعشرًا، وأكثرَ وأقلَّ، وقد صَحَّ نزول العشر آيات في قصّة الإفك جُملةً، وصَحَّ نزول عشر آيات من أول (المؤمنين) جُملةً، وصَحَّ نزول ﴿عِزُّأُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] وحدها»^(١). كما صَحَّ نزول بعض السُّور كاملةً كالفاتحة والمعوذتين، والكوثر، وأغلب السُّور. نزل مفرّقًا.

وقد ترتّب على تفرّق نزول آيات القرآن وسوره على مدار ثلاث وعشرين سنة واختلاف أحوال النُّزول الزّمانية والمكانية = استنباط عدد من أنواع علوم القرآن المتعلقة بالنزول^(٢) أبرزها: أوّل ما نزل وآخر ما نزل، والمكي والمدني (وهو المتعلّق بزمان النُّزول ومكانه)، وأسباب النزول (وهي المتعلقة بأحداث ووقائع النُّزول)، وإليك بيانها في المباحث التالية.



(١) الإِتقان (١/٢٨٦).

(٢) مثل: ما تكرر نزوله، وما تأخّر نزوله عن حكمه والعكس، وما نزل مفرّقًا وما نزل جمعًا، وما نزل مشيّعًا وما نزل مفردًا، وما نزل على لسان بعض الصحابة، والحضري والسفري، والنهاري والليلي، والصيفي والشتائي، والفراسي والنومي، والأرضي والسّمائي، وغير ذلك. ينظر: البرهان (١/٢٨٥)، الإِتقان (١/١١٤-٢٦٧).

ثالثاً: أول ما نزل من القرآن وآخره

(أ) أول ما نزل من القرآن:

أول نزولٍ للقرآن كان في غار حراء، وأول ما نزل منه على الإطلاق هو الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وقد ثبت ذلك بالدليل الصريح من حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِبَ إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء، فيتحنّث فيه - وهو التعبّد - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى فجئته الحقّ وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ. فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني، فغطّني حتّى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطّني الثانية حتّى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطّني الثالثة حتّى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]، فرجع بها رسول الله ﷺ ترّجفُ بوادره حتّى دخل على خديجة، فقال: رَمَلُونِي رَمَلُونِي. فزَمَلُوهُ حتّى ذهب عنه الرّوع... الحديث^(١).

(ب) آخر ما نزل من القرآن:

استقرّ الأمر بالاتفاق على أن أول ما نزل هو الآيات الخمس الأولى من سورة العلق؛ لكن هذا الاتفاق لا نجده في تحديد آخر ما نزل من آيات القرآن أو سورة.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٥٤، ٤)، ومسلم برقم (١٦٠). أما ما ورد عن جابر بن عبد الله ؓ من أن سورة المدثر أول ما نزل [أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٢)] فيُحمل على أن جابراً لم يكن على علم بحديث غار حراء، أو أن تكون الأولى المقصودة في حديثه مخصوصة؛ إما بما بعد فترة الوحي، وإما بالأمر بالإنذار. أو أن يكون السؤال وقع عن أول سورة كاملة، فأجاب جابر ؓ بأنها سورة المدثر. ينظر: الإتيان (١٦٢/١-١٦٣).

أما الآيات فقليل: أن آخرها نزولاً هي آيات الربا التي في سورة البقرة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الآيات [٢٧٨-٢٨٠] وذلك مروياً عن ابن عباس رضي الله عنه ^(١).

وقيل: آية الكلاله في آخر سورة النساء [١٧٦]، وهو مروى عن البراء بن عازب رضي الله عنه حيث قال: «آخر سورة نزلت (براءة)، وآخر آية نزلت: ﴿سَسْقُوتُكَ قُلُوبُ اللَّهِ يَفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] ^(٢)، وقيل غير ذلك.

والذي عليه كثير من أهل العلم أن آخر ما نزل من القرآن مطلقاً هو قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه ^(٣).

والظاهر أنه لا خلاف بين هذا القول والقول الأول إذ قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] معطوف على آيات الربا، فهو من تمامها. وأما القول بأنها آية الكلاله فيحمل على أن المراد آخر آية نزلت في الموارث، أي أن الآخرة فيه نسبية، وليست آخرة مطلقة ^(٤).

كذلك اختلف في آخر ما نزل من السور، فقليل: سورة التوبة كما في حديث البراء السابق، لكن الراجح ما رواه مسلم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ قلت: نعم، «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» ^(٥)، ففيه تصريح بأن المراد آخر سورة كاملة نزلت، بخلاف سورة التوبة، التي فيها آيات كثيرة نزلت قبل عام وفاة الرسول ﷺ. والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٣٣/٦) (٤٥٤٤) باب: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾. وينظر: الإتيان (١٧٦/١).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٧/٥) (٤٣٦٤).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٣٩/١٠)، والطبراني في الكبير (٣٧١/١١)، والطبري (٦٧/٥)، قال الهيثمي في المجمع (٣٢٤/٦): «رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات». وهذا القول مروى عن سعيد بن جبيرة، وعطية العوفي، والسدي، ومقاتل. ينظر: موسوعة التفسير المأثور (٦٦٦-٦٦٧).

(٤) ينظر: فتح الباري (٨/٢٠٥).

(٥) صحيح مسلم (٤/٢٣١٨).

رابعاً: المكي والمدني

تتابع نزول القرآن على رسول الله ﷺ بعد أول نزول في غار حراء ، فكان منه ما نزل بمكة ، وما نزل في ضواحيها ، ثم هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ، فكان من القرآن ما نزل عليه فيها ، وكان منه ما نزل في سفراته خارجها ، وقد عبّر العلماء عن ذلك النازل من القرآن بالمكي والمدني ، فما مفهوم المكي والمدني ؟ وما ضابطه ؟ مفهوم المكي والمدني :

ضبط تعريف المكي والمدني بضابط الزمان وهو الهجرة ، فالمكي : ما نزل من القرآن قبل الهجرة ، ولو كان خارج مكة . والمدني : ما نزل من القرآن بعد الهجرة . ولو كان خارج المدينة ^(١) .
عدد السور المكية والمدنية :

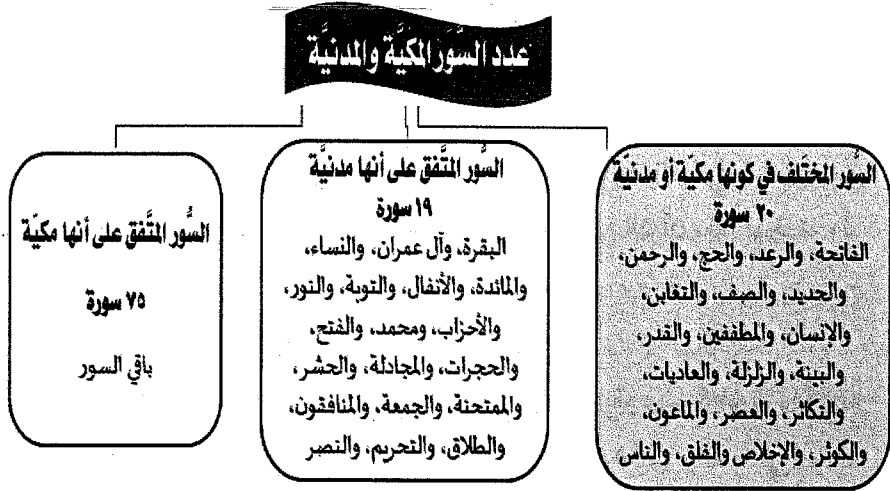
عند دراسة أقوال العلماء في المكي والمدني من سور القرآن نجد أن منها ما اتفقوا على أنه مكي ، ومنها ما اتفقوا على أنه مدني ، ومنها ما اختلفوا فيه ، والعبارة في تحديد ذلك هو أغلب السورة ، لوجود آيات مستثناة في الحكم من بعض السور ^(٢) ، لذا فالمكي والمدني من السور باعتبار الاتفاق والاختلاف في زمان نزولها على ثلاثة أقسام ^(٣) :

(١) وهذا الضابط ، وإن لم ينص السلف من الصحابة والتابعين عليه إلا أنهم يعملون بفحواه . ينظر : المحرر في علوم القرآن (ص ١٠٤-١٠٥ ، ١١٣) .

(٢) ورد عن علماء الصحابة والتابعين وأتباعهم بعض الآثار التي يذكرون فيها أن السورة مكية إلا آيات منها ، وكذا أن السورة مدنية إلا آيات منها . مثل قول ابن عباس ؓ عن سورة النحل أنها مكية «سوى ثلاث آيات من آخرها ، فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في مُنصرفه من أُحد» . أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٣١٦/٢) من طريق مجاهد . وقد عقد السيوطي في الإنقان (١/ ٨٤-١٠٥) فصلاً فيما وقف عليه من النوعين .

(٣) ينظر في بيانها: كتاب «المكي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء» للدكتور عبد الرزاق حسين أحمد ، وكتاب «تحرير القول في السور والآيات المكية والمدنية من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس» للدكتور محمد بن عبد العزيز الفالح .

- ١- السُّور المختلف في كونها مكِّيَّة أو مدنيَّة: عشرون سورة.
 - ٢- السُّور المتَّفَق على أنها مدنيَّة: تسع عشرة سورة.
 - ٣- السُّور المتَّفَق على أنها مكِّيَّة: خمسٌ وسبعون سورة.
- وفي ما يلي توضيح ذلك:



طُرُق معرفة المكي والمدني:

الأصل في المكي والمدني أنه علم لا مجال للرأي فيه، وإنما يعتمد على النقل والسمع ممن شاهد التنزيل وعاصره وهم الصحابة رضي الله عنهم ^(١).

لكن مع هذا فقد ظهر طريق آخر، فصار الأمر في معرفة المكي والمدني على طريقين: الطريق النقلي السماعي، والطريق القياسي الاجتهادي ^(٢)، وإليك بيان ذلك:

١- الطريق النقلي السماعي: وهو ما وصل إلينا عن الصحابة بأنه مكِّي أو مدني - أو عن تلاميذهم من التابعين الذين أخذوا عنهم - كقول عائشة رضي الله عنها: «لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ

(١) ينظر: الإتيان (٤٧/١).

(٢) ينظر: البرهان (١٨٩/١)، الإتيان (١٠٦/١-١٠٩).

عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦] ، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ^(١) ، وأغلب سور القرآن عُرف كونها مكية أو مدنية من هذا الطريق^(٢) .

٢- الطريق القياسي الاجتهادي: لما وُجد الاختلاف في معرفة المكي والمدني من بعض السور والآيات كان لا بد من الاجتهاد في هذا المختلف فيه ، من خلال ضوابط للتزجيج ، ومن هنا ظهر الطريق القياسي الاجتهادي الذي يقوم على معرفة ما يمكن القياس عليه ، وهو موضوعات المكي والمدني وأسلوبهما وخصائصهما في السور والآيات التي دل عليها الاستقراء^(٣) ، لذا يتبين لنا أن هذا الطريق فرعي ، مبني على الطريق السماعي الذي هو الأصل في معرفة المكي والمدني .

ضوابط ومميزات المكي والمدني^(٤):

من خلال استقراء القرآن المكي والمدني استنبط العلماء عدداً من الضوابط والمميزات التي يُعرف بها كل منهما ، نُوجز أبرزها في ما يأتي^(٥):

أولاً: ضوابط المكي ومميزاته:

أ) ضوابط المكي:

١- كل سورة جاء فيها الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وليس فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٥) برقم (٤٩٩٣) .

(٢) وقد وردت عدة مرويات عن ابن عباس وغيره في سرد جميع السور المكية والمدنية ، ينظر: الإتيان

(١/ ٤٨-٥٧) ، المحرر في علوم القرآن (ص ١١٢) .

(٣) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ١١٢) . كذلك يمكن الحكم على السورة بأنها مكية أو مدنية لمن لم يقف على نقل في ذلك من خلال تطبيق أحد الضوابط المشار إليها ، كأن يحكم على سورة الحشر بأنها مدنية لأنها ذكرت غزوة بني النضير بناء على ضابط أن كل سورة فيها ذكر للمغازي فهي مدنية لأن كل الغزوات وقعت بعد الهجرة .

(٤) نعي بالضوابط هنا ما يتعلق بخصائص الألفاظ ، وأما المميزات فالمقصود ما يتعلق بخصائص الأسلوب والموضوعات والمعاني .

(٥) ينظر: البرهان (١/ ١٨٨) ، الإتيان (١/ ١٠٦ - ١٠٩) ، المكي والمدني ، أ.د. محمد عبد الرحمن

الشايح (ص ٢٨-٥٣) ، المكي والمدني في القرآن الكريم ، د. عبد الرزاق حسين (ص ١٦١-١٧٨) .

- فهي مكيّة، وكذلك ما جاء فيها الخطاب بـ ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ﴾.
- ٢- كل سورة مفتتحة بالحروف المقطّعة فهي مكيّة، سوى البقرة وآل عمران^(١).
- ٣- كل سورة فيها سجدة فهي مكيّة^(٢).
- ٤- كل سورة ورد فيها لفظ ﴿كَلَّا﴾، فهي مكيّة.
- ٥- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية عدا سورة البقرة.

(ب) مميزات المكيّة:

من المميّزات الأسلوبية للمكيّة:

- ١- قَصْر أغلب الآيات والسُّور فيه.
- ٢- قوة العبارة، وكثرة التأكيد والتّقرير بالقسم، وضرب الأمثال، والتّشبيه ونحو ذلك.
- ومن المميّزات الموضوعيّة للمكيّة:
- أن أغلب موضوعاته في تقرير أسس العقيدة والدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة.
- وإثبات الرسالة وتقرير البعث والعزاء والمصير، وبيان أحوال يوم القيامة.

ضوابط المدنيّ ومميّزاته:

(أ) ضوابط المدنيّ:

- ١- كل سورة جاء فيها الخطاب بـ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهي مدنيّة^(٣)، وكذلك ما جاء فيه الخطاب بـ ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ﴾ أو ﴿يَبْنِيْءَ إِسْرَءِيلَ﴾.
- ٢- كلُّ سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنيّة^(٤)، لأن النفاق لم يظهر إلا في المدينة.
- ٣- كلُّ سورة ذكر فيها لفظ اليهود (بهذه الصيغة مُعرّفاً)، أو لفظ النّصارى فهي مدنيّة.
- ٤- كلُّ سورة فيها حدٌّ أو فريضة فهي مدنيّة.

(١) وعدا سورة الرعد عند من يرى أنها مدنيّة.

(٢) عدا سورتي الرعد والحجّ عند من يرى أنهما مدنيّتان.

(٣) عدا سورة الحجّ عند من يرى أنها مكيّة.

(٤) عدا سورة العنكبوت عند من يرى أنها مكيّة.

٥- كل سورة فيها أمر بالجهاد وبيان أحكامه وذكر المغازي فهي مدنية، لأن الجهاد شرع بالمدينة والمغازي إنما وقعت بعد الهجرة.

(ب) مميزات المدني:

من المميزات الأسلوبية للمدني:

١- طول أغلب الآيات والسور فيه.

٢- الأسلوب الهادي والعبارات اللينة.

ومن المميزات الموضوعية للمدني:

١- أغلب موضوعات المدني في تفصيل الأحكام والتشريعات من عبادات ومعاملات، وحدود، ونظام الأسرة، وغيرها.

٢- مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام وإقامة الحجج عليهم.

٣- فضح المنافقين وبيان أوصافهم والتحذير منهم.

فوائد معرفة المكي والمدني:

لمعرفة المكي والمدني فوائد عديدة، من أبرزها:

أولاً: معرفة الناسخ والمنسوخ^(١): وذلك لأن القول بالنسخ مبني على معرفة المتقدم من المتأخر، والمدني ينسخ المكي لا العكس^(٢).

ثانياً: معرفة الصحيح من الضعيف من التفسير والترجيح بين الأقوال: قد يقع في بعض الأقوال ما يُشير إلى تفسير المراد بالقرآن المكي بحدوث مدني يكون هذا الحديث المدني صحيحاً من جهة التفسير، لكن لا يكون صحيحاً من كونه هو المراد الأول

(١) يُنظر بيان معنى الناسخ والمنسوخ في مبحثه في الفصل الخامس، ص ٢٠٤.

(٢) ومن آثار السلف في تطبيق ذلك ما رواه سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس: ألَمْ يَنْ قَتَلْ مُؤْمِنًا مَتَعِدًّا مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ آيَةُ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] إِلَى آخِرِ آيَةِ. قَالَ: هَذِهِ آيَةٌ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَدِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]». أخرجه مسلم رقم (٣٠٢٣)، وللعلماء في توبة القاتل خلافٌ معروفٌ، لكن المراد هنا المثال. وينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ١١٦).

الذي نزلت من أجله الآيات^(١).

مصادر معرفة المكي والمدني:

تقدم أن الأصل في معرفة المكي والمدني هو النقل عن طريق الصحابة الذين نزل القرآن بينهم، لذا فإن المصادر الأساسية لمعرفة المكي والمدني هي مروياتهم في هذا الباب أو مرويات تلاميذهم من التابعين.

وقد بدأ تدوين ذلك مبكراً في عصر التابعين فكان هذا العلم من أوائل علوم القرآن التي دُوِّنت كما تقدم في مدخل هذا الكتاب، ومما طُبِعَ من مدونات تلك الحقبة: «تنزيل القرآن» لمحمد ابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤).

وقد تتابع تدوين هذا العلم بعد ذلك فظهر من الكتب التي اعتنت به أصناف شتى، من أهمها:

١- كُتِبَ النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ، ومن أبرزها: «النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ» لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨)، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» لمكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧).

٢- كُتِبَ عَدَّ آيِ الْقُرْآنِ، ومن أبرزها: «البيان في عدَّ آي القرآن» لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤).

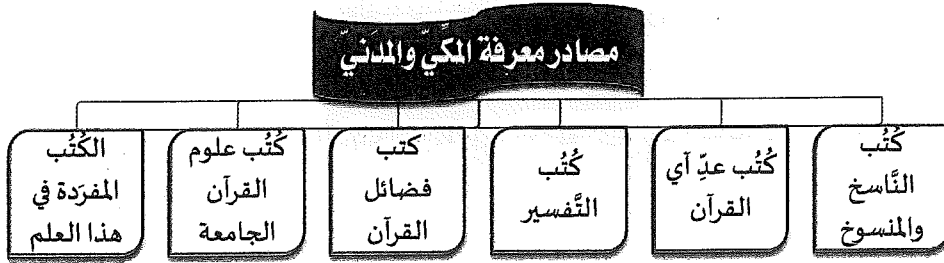
٣- كُتِبَ التَّفْسِيرُ، ومن أبرزها تفسير مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠)، وتفسير ابن عطية (ت: ٥٤٢).

٤- بعض كتب فضائل القرآن، ومن أهمها: «فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة» لابن الضريس (ت: ٢٩٤).

(١) مثال ذلك ما ذكره ابن الجوزي (ت: ٥٩٧) في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّىٰ﴾ و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] أن في: قوله تعالى: ﴿فَصَلَّىٰ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الصلوات الخمس؛ والثاني: صلاة العيدين، والثالث: صلاة التطوع. ورجح القول الأول مستدلاً بأن «هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة ولا عيد». زاد المسير (٢٣٠/٨). ولو تأملت القول بصلاة العيد وجدته يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَصَلَّىٰ﴾، لكن أن يكون هو المراد لا غيره، أو يكون هو المراد أولاً، ففيه النظر الذي ذكره ابن الجوزي، والله أعلم. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ١١٧-١١٨).

٥- كُتِبَ علوم القرآن الجامعة، ومن أبرزها: البرهان للزركشي (ت: ٧٩٤)، والإتقان للشيوطي (ت: ٩١١).

٦- الكُتُب المفردة في هذا العلم، نحو: «تنزيل القرآن» المتقدم للزهرى (ت: ١٢٤). ومن الكُتُب والرسائل الجامعية المعاصرة: «المكي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء» للدكتور عبد الرزاق حسين أحمد، وكتاب «تحرير القول في السور والآيات المكية والمدنية من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس» للدكتور محمد بن عبد العزيز الفالح.



خامساً: أسباب النزول

نزل القرآن الكريم هداية للبشر، ونوراً يخرجهم من ظلمات الجهل والكفر إلى طريق الحق والتوحيد، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وهذا سبب عام في نزول جميع آيات القرآن؛ إلا أن هناك من الآيات ما كان له أسباب خاصة مباشرة من أحداث ووقائع نزلت على إثرها، وهذا هو المراد بأسباب النزول^(١)، ومن هنا ظهر هذا العلم الذي هو من أهم الموضوعات في علم التفسير، إضافة لارتباطه الواضح بنزول القرآن، فكان موضع اعتناء العلماء به، والتصنيف فيه كما سنبينه في هذا المبحث.

مفهوم سبب النزول:

يمكن تعريف سبب النزول بأنه: كل قول أو فعل ممن عاصر التنزيل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه^(٢).

شرح التعريف:

كل قول: يشمل كل أنواع القول كالدعاء، والطلب، والنهي، والخبر، وغيرها، وكذا السؤال الذي يُعد من أشهر أنواع القول الذي نزل بسببه آيات عديدة مصدرة بـ ﴿سَأَلُونَكَ﴾ ونحوها، من ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حِزْبٍ، وهو متكئ على عسيب، إذ مرَّ اليهود...، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يردَّ عليهم شيئاً، فعلمت أنه يُوحى إليه، فقمْتُ مقامي فلما نزل الوحي، قال: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]^(٣).

(١) لذا جعل بعض أهل العلم نزول القرآن قسمين: قسم نزل ابتداءً مرتبط بالسبب العام وهو هداية الناس، وقسم نزل مرتبطاً بأسباب خاصة وهي أسباب النزول، وآيات هذا القسم هي الأقل. ينظر: الإتيان

(١/١٨٩)، دراسات في علوم القرآن، د. أ. د. فهد الرومي (ص ١٤٨).

(٢) ينظر: المحرر في أسباب النزول، د. خالد المزيني (١/ ١٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٨٧/٦) (٤٧٢١)، ومسلم (٢١٥٢/٤) (٢٧٩٤).

ومن أمثلة الأقوال الأخرى ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ فَنَادَى: «يَا صَبَاحَاهُ» فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصِيبُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إِلَى آخِرِهَا (١).

أو فعل: يشمل أي فعل كان، سواء في العادات أو العبادات أو المعاملات أو غيرها، مثاله ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا، كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَآؤُوا لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابِهِ، فَكَانَهُ عُبْرٌ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]» (٢).

ممن عاصر التنزيل: أي ممن كان معاصراً لنزول القرآن، سواء كان ذلك من الرسول ﷺ (٣)، أو من أصحابه (٤)، أو من المشركين (٥)، أو المنافقين (٦)، أو أهل الكتاب (٧) أو غيرهم.

نزل بشأنه قرآن: ويُعرف ذلك من خلال تعبير الصحابي الراوي للأثر فيه بصيغة النزول، فيخرج بهذا التعبير الذي لا يدلُّ على النزول، كالتعبير بالتلاوة والقراءة، أو التعبير بما يدل على تفسير الآية أو الاستشهاد بها، ونحو ذلك (٨).

(١) أخرجه البخاري ١٨٠/٦ (٤٩٧٢)، ومسلم ١٩٣/١ (٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري ٨/٣ (١٨٠٣)، ومسلم (٢٣١٩/٤) (٣٠٢٦).

(٣) مثل سبب نزول صدر سورة المدثر، وصدر سورة عبس.

(٤) مثل ما تقدّم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾.

(٥) مثل ما تقدّم في سبب نزول سورة المسد، وكذا ما ذكر في سبب نزول سورة الكافرون، وسورة الإخلاص.

(٦) مثل سبب نزول سورة المنافقون.

(٧) مثل ما تقدّم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَسَيُلَوِّنُكَ مِنَ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

(٨) مثال ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٣/٩) (٧٤١٤) عن ابن مسعود: أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على =

عند وقوعه: خرج ما وقع قبل عصر التنزيل، وكذلك ما نزلت الآية فيه قبل وقوعه، كما سيأتي إيضاحه في ضوابط تحديد سبب النزول.

ضوابط تحديد سبب النزول:

من خلال تعريف سبب النزول يتبين لنا أبرز الضوابط التي يُعرف من خلالها سبب النزول، وهي ما يلي:

- ١- أن يقع الحدث في عصر التنزيل ممن عاصر التنزيل: فإن كان الحدث في غير عصر التنزيل فلا يدخل في أسباب النزول، وإنما هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية^(١).
- ٢- أن يكون نزول الآية بعد الحدث^(٢): فلا يصح أن يكون النزول قبل الحدث، فهذا لا يدخل في أسباب النزول، بل يدخل في الإخبار عن المعيّات، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْرِقُولُونَ مَحْجَمٍ مُنْصَرٍّ ۖ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذَّبْرُ﴾ [القمر: ٤٤-٤٥]، قال عكرمة: «لما نزلت ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذَّبْرُ﴾ قال عمر: أي جمع يُهزم؟ أي جمع يُغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذَّبْرُ﴾ فعرفتُ تأويلها يومئذ»^(٣). فسورة القمر مكية، والحدث الذي أشارت إليه مدني، فهو من باب الإخبار بالمغيّب فحسب، والله أعلم^(٤).

= إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك. «فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجمه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]». وقد جاء اللفظ في رواية في سنن الترمذي (٣٧١/٥) (٣٢٤٠): «فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾». قال السيوطي: «والحديث في الصحيح بلفظ «فتلا رسول الله ﷺ وهو الصواب، فإن الآية مكية». الإتيان (٢٢٣/١).

(١) وفي هذا كان انتقاد السيوطي (ت: ٩١١)، للواحد (ت: ٤٦٨) حيث قال: «والذي يتحرر في سبب النزول: أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه؛ ليخرج ما ذكره الواحد في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية؛ كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك». الإتيان (٢٠٧/١-٢٠٨).

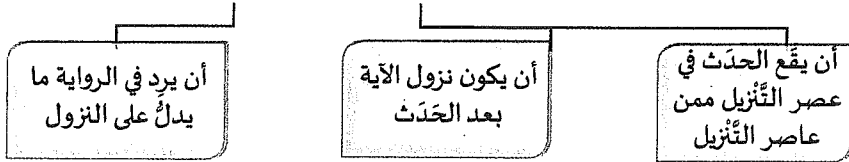
(٢) لا يلزم أن يكون النزول، عقبه مباشرة، فقد يتأخر؛ كحادثة الإفك.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير (٤٨١/١).

(٤) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ١٢٥).

٣- أن يرد في الرواية ما يدلُّ على النزول: كالتعبير بالنزول؛ فورود كلمة التَّوْلُ قرينةٌ قويةٌ في إرادة ذكر سبب التَّوْلُ، ومع هذا فإن ورودها في الأثر ليس أصلاً يُحكم به على أنه هو سبب التَّوْلُ المباشر، إذ قد يكون هناك ما يدلُّ على أنه ليس المراد بها سبب التَّوْلُ المباشر، كما سنبينه في صيغ عبارات أسباب التَّوْلُ.

ضوابط تحديد سبب التَّوْلُ



صِيغ عبارات أسباب التَّوْلُ:

أشهر الصِّيغ في أسباب التَّوْلُ هي: عبارة (فَنَزَلَتْ، أو فَأُنْزِلَ)، وعبارة (نَزَلَتْ في كذا، أُنْزِلَتْ في كذا).

أما عبارة (فَأَنْزَلَ اللَّهُ، فَنَزَلَتْ) بفاء السببية فيعبر بها الراوي بعد أن يحكي قصة الحدث، لذا هي أَدْخُلُ فِي السَّبِيَّةِ من عبارة (نَزَلَتْ في كذا، أُنْزِلَتْ في كذا)؛ إذ غالب ما يرد بهذه الصيغة يدخل في سبب التَّوْلُ المباشر، لذا يمكننا أن نطلق عليها الصيغة الصريحة في سبب التَّوْلُ.

من أمثلة ما ورد من هذه العبارة، وأريد به سبب التَّوْلُ المباشر ما رواه البخاري في أمر تحويل القبلة عن البراء بن عازب رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى -أو صَلاَهَا- صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهدُ بالله لقد صَلَّيْتُ مع النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رجالٌ قتلوا لم نَدْرِ ما نقول فيهم، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنَّا اللَّهُ

بِالنَّاسِ لَزُؤْفٌ رَّجِيمٌ» [البقرة: ١٤٣]»^(١).

وأما عبارة (نَزَلَتْ فِي كَذَا، أُنْزِلَتْ فِي كَذَا) فكثيراً ما يُراد بها التفسير، وليس سبب النزول^(٢)، من ذلك ما ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: «نزلت في عذاب القبر»^(٣).

وقد تأتي لبيان سبب التزول المباشر، لكن هذا قليل بالنسبة للعبارتين السابقتين، مثل حديث ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: «نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سَرِيَّةٍ»^(٤).
طريق معرفة أسباب النزول ومصادرها:

الأصل في أسباب التزول الصريحة أنها نَقْلِيَّةٌ^(٥)، لذا لا مجال للاجتهاد فيها، ولا سبيل لمعرفة أسباب النزول إلا طريق النقل عن الصحابة رضي الله عنهم، قال الواحدي (ت: ٤٦٨): «ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسَّماع ممن شاهدوا التزول، ووقفوا على الأسباب»^(٦). ومن هنا فإن الأصل في مصادرها هي كتب الآثار المستندة عن السلف،

(١) صحيح البخاري برقم (٤١)، وأخرجه أيضاً مسلم برقم (٥٢٥) مختصراً.

(٢) لذا وقع خلاف بين العلماء في ورود هذه العبارة عن الصحابي؛ هل تُعدُّ من أسباب التزول، أو من قبيل التفسير؟ قال ابن تيمية رحمته الله (ت: ٧٢٨): «وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يُراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عُني بهذه الآية كذا. وقد تنازع العلماء في قول الصحاب: نزلت هذه الآية في كذا؛ هل يجري مجرى المسند؛ كما يُذكر السبب الذي أُنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله في المسند، وأكثر المساند على هذا الاصطلاح؛ كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه، فإنهم كلهم يُدخلون مثل هذا في المسند». مقدمة في أصول التفسير (ص ١٦). وينظر: الإتيان (١/ ٢٠٧-٢٠٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٣٦٩)، ومسلم برقم (٢٨٧١).

(٤) أخرجه الشيخان. صحيح البخاري برقم (٤٥٨٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٣٤).

(٥) وذلك من جهتين: الحدث الذي يُذكر في سبب التزول، والصيغة التي تُحكى بها سبب التزول، وكما لا يصح افتعال حدث يقال فيه: إنه سبب نزول، كذلك لا يصلح ذكر صيغة لم ترد في المنقول عن الصحابة أو التابعين وأتباعهم. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ١٢٨).

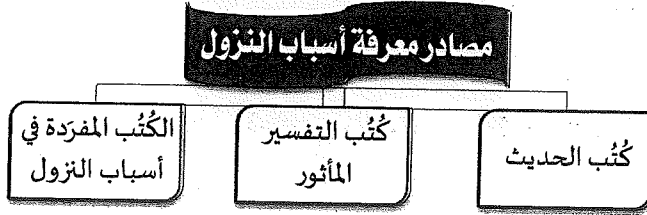
(٦) أسباب النزول (ص ٨).

وهذه المصادر على ثلاثة أصناف رئيسة:

المصدر الأول: كُتُب الحديث، وعلى رأسها مسند الإمام أحمد، وصحيح البخاري.

المصدر الثاني: كُتُب التفسير المأثور، وعلى رأسها تفسير الطبري^(١).

المصدر الثالث: الكُتُب المفردة في أسباب النزول، ومن أشهرها: «أسباب النزول» للواحدي (ت: ٤٦٨)، و«العُجاب في بيان الأسباب» للحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، و«لُبَّابُ الثُّقُولِ في أسباب النزول» للشُّيُوطي (ت: ٩١١). ومن الكُتُب المعاصرة النفيسة: «المحرَّر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة» للدكتور خالد المزيني.



العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السَّبَب:

الأصل في الآيات التي تنزل لسببٍ معيَّن أو في شخص معيَّن، أن حكمها يتعدَّى إلى غير ذلك السَّبَب، ويعمُّ كلَّ من يندرج تحت عموم لفظ الآية، وهذا هو معنى هذه القاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السَّبَب). ومما يدل على ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلةً، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، قال: فنزلت: ﴿وَأَقْرِصْ أَلْصَكَوَةَ طَرْفِ النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، قال: فقال الرجل: أليّ هذه يا رسول الله؟ قال: «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي». وفي رواية: فقال رجل من القوم: يا نبيّ الله، هذا له خاصّة؟ قال: «بل للناس كافة»^(٢).

(١) وقد جمعت موسوعة التفسير بالمأثور (الصادرة عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي) آثار هذه التفاسير، وكان من ضمن موضوعاتها قسم لنزول الآيات جمع ما تفرق من أسباب النزول في كل ما وصلنا من الكتب المسندة عن السلف، فكانت مرجعاً ثراً جامعاً.

(٢) أخرجه الشيخان: صحيح البخاري (٧٥ / ٦) (٤٦٨٧)، صحيح مسلم (٢١١٥ / ٤) (٢٧٦٣)، وأخرج الزاوية الثانية مسلم.

فوائد معرفة أسباب النزول:

لمعرفة أسباب النزول فوائد عديدة، تناول ذكرها عدد من العلماء المحققين^(١)، نكتفي بذكر أبرزها في ما يأتي:

١ - معرفة المعنى المراد بالآية: إن سبب نزول الآية يُعين على معرفة المعنى المراد فيها وتعيينه، إذ قد ترد عليه احتمالات صحيحة، لكن سبب النزول يحدد أحد هذه المعاني، ويكون هو المراد دون غيره. قال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب»^(٢).

مثال ذلك: ما تقدم من رواية البراء رضي الله عنه لسبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، حيث بيّن أن المراد بالإيمان هنا الصلاة، وليس الإقرار والاعتراف المتضمن للقبول والإذعان، ولولا سبب النزول ما كنا لِنَقِفَ على المعنى الصحيح للآية^(٣).

كذلك ما تقدم من رواية البراء لسبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] فسر لنا المراد بالبيوت، ومعنى إتيان البيوت من ظهورها الذي كان عادة من عادات الأنصار في الجاهلية، ولولا رواية النزول لما تبين لنا ذلك من المصادر الأخرى كاللغة.

٢ - إزالة الإشكال: العلم بسبب نزول الآية يزيل ما قد يقع من إشكال في معناها، «بحيث لو فقد ذكر السبب؛ لم يُعرف من المنزل معناه على الخصوص، دون تطرق الاحتمالات وتوجه الإشكالات»^(٤).

مثال ذلك: ما استشكله عروة بن الزبير (ت: ٩٤) رحمته الله، فقال لخالته عائشة رضي الله عنها: «أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوَّاعًا مَرَمَرًا﴾»

(١) ينظر: البرهان (١١٧/١، ١٢١)، الإتيان (١٩٠-١٩٥)، المحرر في أسباب النزول (٢٦/١-٣٧).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٧).

(٣) المحرر في أسباب النزول (١ / ٢٧).

(٤) الموافقات (٤ / ١٥٢)، وينظر: المحرر في أسباب النزول (١ / ٢٧).

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴿البقرة: ١٥٨﴾، فلا أرى على أحدٍ شيئاً أن لا يطَّوَّفَ بهما، فقالت عائشة: «كلّا، لو كانت كما تقول؛ كانت: فلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يُهْلُونَ لِمَنَاةَ، وَكَانَتْ مَنَاةُ حَذُوَ قُدَيْدٍ، وكانوا يتحرَّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]»^(١).

٣- معرفة حكمة التشريع: ذكر الزركشي والسيوطي في أوّل فوائد أسباب النزول: «معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم»^(٢). وذلك أنه قد يرد حكمٌ في آية دون أن تتبيّن الحكمة الداعية لتشريع ذلك الحكم في الآية، ولو رجعت إلى سبب نزول الآية لوقفت على حكمة ذلك التشريع.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، فعن ابن عباس ؓ: قال: «نزلت ورسول الله ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، كان إذا صَلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبّوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾»^(٣).



(١) أخرجه الشيخان. صحيح البخاري (٦/٣) (١٧٩٠)، صحيح مسلم (٩٢٨/٢) (١٢٧٧). وينظر أمثلة أخرى في الإتيان (١/ ١٩١-١٩٤).
(٢) البرهان (٤٥/١)، الإتيان (١/ ١٩٠).
(٣) أخرجه الشيخان. صحيح البخاري (٨٧/٦) (٤٧٢٢)، صحيح مسلم (٩٢٨/٢) (٤٤٦). وينظر أمثلة أخرى في المحرر في أسباب النزول (١/ ٣٢-٣٤).

خلاصة الفصل الأول (علوم نزول القرآن)

١- الوحي:

١/١ الوحي لغة: إلقاء علم في خفاء، والوحي الإلهي نوعان: الوحي إلى الأنبياء، والوحي إلى غير الأنبياء.

٢/١ الوحي إلى الأنبياء (الوحي بالمعنى الخاص): هو إعلام الله لنبي من أنبيائه بنبوته، وما يتبعها من أوامر ونواهي وأخبار، بكيفية معينة.

٣/١ طرق وحي الله إلى الأنبياء ثلاثة: أن يلهم الله نبيه ما يريد؛ بإلقاء ذلك في روعه، إما يقظة، وإما منامًا. أو أن يكلمه من وراء حجاب. أو أن يرسل رسولاً من الملائكة، وغالبًا ما يكون المرسل جبريل عليه السلام.

٤/١ تلقى جبريل عليه السلام القرآن سماعًا من الله تعالى بلفظه المخصوص، مباشرة بلا واسطة.

٥/١ تلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام على كيفيتين: أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس - وهي الأظهر في نزول القرآن الكريم -، أو أن يتمثل له رجلًا.

٢- كيفية نزول القرآن

١/٢ نزل القرآن الكريم في ليلة القدر من شهر رمضان.

٢/٢ للقرآن تنزلان: نزول جملي، ونزول مفرق.

٣/٢ النزول الجملي: ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا، وهو من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله، ويمكن القول إن الحكمة من هذا النزول هو بيان شرف هذه الأمة وفضلها.

٤/٢ النزول المفرق: نزول القرآن على رسول الله ﷺ مفرقًا حسب الوقائع والأحداث، خلال ٢٣ سنة هي مدة البعثة. وقد تفاوت المقدار النازل من القرآن في كل مرة قلة وكثرة.

٥/٢ من أبرز حكم وفوائد نزول القرآن مفرقًا: تثبيت فؤاد الرسول ﷺ، ومواكبة الحوادث والمسائل الواقعة في عصر النبوة، والتدرج في التشريع وبيان الأحكام والحدود.

٣- أول ما نزل من القرآن وآخره

١/٣ أول نزول للقرآن كان في غار حراء، وأول ما نزل منه على الإطلاق هو الآيات الخمس الأولى من سورة العلق.

٢/٣ آخر ما نزل من القرآن مطلقًا قوله تعالى: ﴿وَأَنفُؤْا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٨١].

٣/٣ آخر سورة كاملة نزلت من القرآن هي سورة النصر.

٤- المكي والمدني

١/٤ المكي: ما نزل من القرآن قبل الهجرة، والمدني: ما نزل من القرآن بعد الهجرة.

٢/٤ المكي والمدني من السور باعتبار الاتفاق والاختلاف ثلاثة أقسام: السور المختلف في كونها مكية أو مدنية (٢٠ سورة). والسور المتفق على أنها مدنية (١٩ سورة). السور المتفق على أنها مكية (٧٥ سورة).

٣/٤ معرفة المكي والمدني بطريقتين: الطريق النقلي السماعي عن الصحابة، وهو الأصل. والطريق القياسي الاجتهادي الذي يقوم على معرفة ما يمكن القياس عليه من موضوعات المكي والمدني وأسلوبهما في السور والآيات.

٤/٤ من ضوابط المكي: ما جاء فيها الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وليس فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. كل سورة مفتتحة بالحروف المقطعة -سوى البقرة وآل عمران-، أو فيها سجدة، فهي مكية. ومن مميزاته الأسلوبية: قصر أغلب آياته وسوره. وقوة العبارة وكثرة التأكيد والتقرير بالقسم ونحوه. ومن مميزاته الموضوعية: أن أغلبه في تقرير أسس العقيدة والدعوة إلى توحيد الله.

٥/٤ من ضوابط المدني: كل سورة جاء فيها الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أو ذكر فيها المنافقون، أو لفظ اليهود أو لفظ النصارى. أو حذ أو فريضة، فهي مدنية. ومن مميزاته الأسلوبية: طول أغلب آياته وسوره. والأسلوب الهادي. ومن مميزاته الموضوعية: أن أغلبه في تفصيل الأحكام والتشريعات، ومجادلة أهل الكتاب، وفضح المنافقين.

٦/٤ من فوائد معرفة المكي والمدني: معرفة الناسخ والمنسوخ. ومعرفة الصحيح من الضعيف من التفسير.

٧/٤ أبرز مصادر معرفة المكي والمدني: كتب الناسخ والمنسوخ، كتب عد أي القرآن، بعض كتب التفسير، أو كتب فضائل القرآن، أو كتب علوم القرآن الجامعة، والكتب المفردة في هذا العلم.

٥- أسباب النزول

١/٥ سبب النزول: كل قول أو فعل ممتنع عاصر التنزيل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه.

٢/٥ ضوابط تحديد سبب النزول: أن يقع الحدث في عصر التنزيل ممن عاصر التنزيل. وأن يكون النزول بعد الحدث. وأن يرد في الرواية ما يدل على النزول.

٣/٥ أشهر الصيغ في أسباب النزول: العبارة التي تأتي بعد فاء السببية (فَنَزَلَتْ، أو فَأُنْزِلَ)، وهي صيغة صريحة في سبب النزول. وعبارة (نزلت في كذا، أنزلت في كذا)، وأكثر ما يراد فيها التفسير.

- ٤/٥ طريق معرفة أسباب النزول الصريحة هو النقل، ولا مجال للاجتهاد فيها.
- ٥/٥ المصادر الأساسية لأسباب النزول هي كتب الحديث، وكتب التفسير المأثور، والكتب المفردة في هذا العلم.
- ٦/٥ العبرة في أسباب النزول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- ٧/٥ من أبرز فوائد معرفة أسباب النزول: معرفة المعنى المراد بالآية. وإزالة الإشكال. ومعرفة حكمة التشريع.

أسئلة تقييمية

- ١- عرف الوحي لغةً. وما أنواع الوحي الإلهي؟
- ٢- ما المراد بالوحي إلى الأنبياء؟
- ٣- اذكر أنواع الوحي إلى الأنبياء.
- ٤- كيف تلقى جبريل عليه السلام القرآن من ربه عز وجل؟
- ٥- كيف تلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام؟ وبأي حال منها نزل القرآن الكريم؟
- ٦- متى كان أول نزول للقرآن وأين؟ استدل لما تقول.
- ٧- للقرآن تنزلان، اذكرهما مع توضيح كل منهما.
- ٨- ما الدليل للنزول الجملي للقرآن؟ وما الحكمة منه؟
- ٩- ما الحكمة من نزول القرآن مفرداً؟
- ١٠- اذكر أول ما نزل من القرآن مطلقاً مع الاستدلال لذلك.
- ١١- ما آخر آية نزلت من القرآن مطلقاً؟ استدل لذلك.
- ١٢- ما آخر سورة كاملة نزلت من القرآن؟ استدل لذلك.
- ١٣- ناقش القول بأن آخر سورة نزلت هي سورة التوبة.
- ١٤- وضح المراد بالمكي والمدني من القرآن.
- ١٥- اذكر أقسام المكي والمدني من السور باعتبار الاتفاق والاختلاف مع ذكر عدد كل قسم.
- ١٦- ما طرق معرفة المكي والمدني؟

- ١٧- اشرح كيف تتم معرفة المكي والمدني بالطريق النقلي؟ وكذا بالطريق القياسي.
- ١٨- عيّد أربعة ضوابط للمكي، وأخرى للمدني.
- ١٩- اذكر ميزة أسلوبية للمكي وأخرى موضوعية، وكذلك للمدني.
- ٢٠- اذكر ثلاث فوائد لمعرفة المكي والمدني.
- ٢١- وضح كيف يستفاد من معرفة المكي والمدني في الناسخ والمنسوخ مع ذكر مثال.
- ٢٢- وضح كيف يستفاد من معرفة المكي والمدني في الترجيح في التفسير مع ذكر مثال.
- ٢٣- عيّد أربعة أصناف من مصادر معرفة المكي والمدني.
- ٢٤- عرّف سبب النزول، مع شرح التعريف وذكر محترزاته وضرب الأمثلة باختصار.
- ٢٥- ما ضوابط تحديد سبب النزول؟
- ٢٦- اذكر أشهر صيغ أسباب النزول، مع بيان الصيغة الصريحة منها موضحاً ذلك.
- ٢٧- ما الطريق لمعرفة أسباب النزول؟
- ٢٨- عيّد ثلاثة أصناف من مصادر معرفة أسباب النزول.
- ٢٩- اذكر فائدتين من فوائد معرفة أسباب النزول.
- ٣٠- وضح كيف يكون سبب النزول معينا على معرفة المراد في الآية.
- ٣١- اشرح قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.



أسئلة إثرائية

- ١- اقرأ حديث نزول الوحي على النبي ﷺ في غار حراء، واستنتج منه كيفية مجيء الوحي للنبي ﷺ.
- ٢- جاء في القرآن أنه ﷺ رأى جبريل في صورته الملكية مرتين، اذكر الآيات، ثم ابحث هل اشتمل ذلك على وحي؟
- ٣- استُئِدِلَ للنزول الجملي بأثر ابن عباس ؓ، وقد اعترض على ذلك بأنه أثر موقوف على صحابي لذا لا يصح الاحتجاج به في أمر غيبي. ناقش هذا الاعتراض.
- ٤- جاء في الصحيح من حديث جابر ؓ أن أول ما نزل من القرآن هو سورة المدثر، ناقش هذا القول. وبين كيف يُجمع بينه وبين القول بأن أول ما نزل هو الخمس الآيات الأولى من سورة العلق.
- ٥- روى البخاري (٦/٤٧ برقم ٤٥٩٠) عن سعيد بن جبير، قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسأله عنها، فقال: «نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَقْشِرْ لِّمُؤْمِنٍ أَثْمَرَ كَلْبٍ فَجَزَأَوْهُ جِهَنَّمَ﴾ [النساء: ٩٣] هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء». كيف توجه قول ابن عباس عن هذه الآية: «هي آخر ما نزل»؟
- ٦- اعتنى من كتب في المكي والمدني بمسألة الآيات المستثناة من السور المكية والمدنية، استخرج الآيات المستثناة في السور التالية: الأنفال، النحل، يس، الأحقاف.
- ٧- راجع كتاب تفسير القرآن في صحيح البخاري، واستخرج اثنين من أسباب النزول بصيغة (فَنَزَلَتْ، أو فَأَنْزَلَ)، واثنين بصيغة (نَزَلَتْ في كذا، أَنْزَلَتْ في كذا)، ثم حاول دراستها وتحديد ما كانت السببية أو التفسير مراداً فيه.



الفصل الثاني علوم جمع القرآن

- أولاً: جمع القرآن وتدوينه .
- ثانياً: ترتيب سُور القرآن وآياته .
- ثالثاً: عدد سُور القرآن وآياته وتجزئته .
- رابعاً: رَسْم المصحف .
- خامساً: ضَبْط المصحف .

أهداف الفصل

- يُتَوَقَّع من الدارس في نهاية دراسته لهذا الفصل أن يكون قادراً على أن:
- (١) يوضِّح أنواع جمع القرآن.
 - (٢) يوازن بين جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه وعهد عثمان رضي الله عنه.
 - (٣) يبين هل ترتيب سور القرآن وآياته توقيفي أم اجتهادي؟
 - (٤) يوضح مفهوم علم عد آي السور ومصدره ومذاهبه.
 - (٥) يذكر أشهر أنواع تجزئة القرآن.
 - (٦) يبيِّن المراد برسم المصحف ومصدره وحكم الالتزام به.
 - (٧) يعلِّد قواعد الرسم العثماني.
 - (٨) يوضِّح مفهوم علم الضبط ومجالاته في المصحف.

تقدّم في الفصل الأوّل بيان كيفية نزول القرآن وتلقّي الرسول ﷺ له من جبريل عليه السلام عن ربه ﷻ ، وفي هذا الفصل نبّين كيفية تلقّي الصحابة القرآن عن النبي ﷺ وكيف جُمع حفظاً في الصدور ثم كتابةً في المصاحف والسُّطور ، وكيف اعتنّت الأمة بعد ذلك بالمصحف حتى وصل إلينا القرآن كما أنزل ، وصار باقياً إلى قيام الساعة مقروءاً ومكتوباً ، فكان ذلك تحقيقاً لوعده الله ﷻ بحفظه في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

ومن ثمّ نشأ عن عناية الأمة بجمع القرآن وتدوينه أنواع من علوم القرآن تتعلق بذلك ، من أبرزها:

- ١- جُمع القرآن وتدوينه .
 - ٢- ترتيب سور القرآن وآياته .
 - ٣- عدد آيات القرآن وسُوره وتجزئته .
 - ٤- رسم المصحف .
 - ٥- ضبط المصحف .
- وفي المباحث التالية سوف نتناول الحديث عن هذه الأنواع .



أولاً: جَمْعُ الْقُرْآنِ وَتَدْوِينُهُ

نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ فَكَانَ ذَلِكَ فِي حَقِّهِ فَضِيلَةً وَمَزِيَّةً، وَدَلِيلًا عَلَى صَدَقِ مَا جَاءَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا زَنَابَ الْمُبْتَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وَقَدْ كَانَ ﷺ يَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُلْقِي مَشَقَّةً فِي مُحَاوَلَةِ حِفْظِهِ وَاسْتَظْهَارِهِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يَحْرُكُ شَفْتَيْهِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أَحْرَكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحْرَكُهُمَا - وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحْرَكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحْرَكُهُمَا فَحَرَّكَ شَفْتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عِلْمَنَا جَمْعُهُ وَفَرَأْنَهُ﴾ قَالَ: جَمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ﴾ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا لَبَايَأُنْهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]. ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَنَاهُ جَبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جَبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ»^(١).

وَمَعَ حِفْظِهِ ﷺ لِلآيَاتِ الْمَنْزَلَةِ إِلَّا أَنَّهُ حَرِصَ أَشَدَّ الْحَرِصِ عَلَى كِتَابَتِهَا، فَاتَّخَذَ كِتَابًا لِلوَحْيِ مِنَ الصَّحَابَةِ يَكْتُبُونَ كُلُّ آيَةٍ تَنْزَلَ عَلَيْهِ، كَمَا كَانَ يُلْقِي عَلَى صَحَابَتِهِ مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ وَيَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ، وَكَانُوا رضي الله عنهم يَتْلُقُونَهُ مِنْهُ وَيَتَسَابِقُونَ لِحِفْظِهِ وَإِبْلَاغِهِ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَمِنْ ثَمَّ ظَهَرَ نَوْعًا جَمَعَ الْقُرْآنَ: حِفْظُهُ وَاسْتَظْهَارُهُ (الْجَمْعُ فِي الصَّدُورِ)، وَكِتَابَتُهُ وَتَدْوِينُهُ (الْجَمْعُ فِي السُّطُورِ)، وَفِي مَا يَأْتِي بَيَانُ كُلِّ مِنَ النَّوَاعِينِ:

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٨/١) (٥). وَمَعْنَى: (بِعَالِجٍ) مِنَ الْمَعَالِجَةِ وَهِيَ مُحَاوَلَةُ الشَّيْءِ بِمَشَقَّةٍ. (التَّنْزِيلُ) تَنْزِيلُ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ. (وَكَانَ مِمَّا يَحْرُكُ شَفْتَيْهِ) أَيِ كَانَتْ الشَّدَّةُ مِنْ كَثَرَةِ تَحْرِيكِهِ شَفْتَيْهِ، وَكَانَ ﷺ يَفْعَلُ ذَلِكَ خَشْيَةً أَنْ يَنْسِيَ مَا أَوْحِيَ إِلَيْهِ. ﴿يُؤْتِيهِ بِالْقُرْآنِ﴾ لَتَأْخُذَهُ عَلَى عَجَلٍ مُسَارِعَةً إِلَى حِفْظِهِ خَشْيَةً أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ شَيْءٌ.

أولاً: جمع القرآن في الصدور (حفظه واستظهاره)

يُطْلَقُ جمع القرآن على حفظه واستظهاره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] أي: جَمَعَهُ في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً^(١)، كما تقدم في أثر ابن عباس السابق.

وقد كان الرسول ﷺ أول من جَمَعَهُ وحَفَظَهُ، وحرص على ذلك واهتم به، حتى كان جبريل عليه السلام يأتيه كل عام مرة في رمضان يدارسه القرآن فيعرض عليه النبي ﷺ حفظه، وعرضه في عامه الذي توفي فيه مرتين كما ثبت في الصحيح^(٢).

كذلك تنافس صحابته رضي الله عنهم على حفظه واستظهاره، وتسابقوا إلى مدارسهم وتفهمه والعمل به، حتى كان ذلك معياراً للتفاضل بينهم، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: (أيهما أكثر أخذاً للقرآن). فإذا أُشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد»^(٣).

والأخبار الكثيرة تشهد على عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن وتلاوته وحفظه، حتى حفظه العديد منهم، وفي طليعتهم الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري، رضي الله عنهم أجمعين.

وكذا اعتنى بحفظه من بعدهم من التابعين وتابعيهم، ومن بعدهم من المسلمين إلى يومنا هذا، فتراهم في شتى بقاع الأرض يترنمون بهذا القرآن تلاوةً عن ظهر قلب، مع كون بعضهم لا يكاد يعرف العربية، وهذا من تيسير الله هذا الأمر على هذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر]. وتلك خاصية ومزية لا تجدها لغير القرآن، وليس هناك كتاب يحفظه أهله سوى القرآن.

وقد كان من نعمة الله على عباده المسلمين أن رتب لهم الأجر على حفظه، فكان ذلك أذعى للتنافس في هذا الميدان، نصت على ذلك الأحاديث العديدة، كقوله ﷺ:

(١) تفسير ابن كثير (٣١٩/٥).

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري (١٨٣/٤) (٦٢٨٥)، صحيح مسلم (٤/١٩٠٥) (٢٤٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٩١/٢) (١٣٤٣).

«الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْبِرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»^(١). وقوله: «يُقَالُ لَصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنْ مَنَزَلَتْكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا»^(٢).

وموضوع حفظ القرآن في الصدور من الوضوح بمكان، لذا لا يحتاج الأمر إلى مزيد تقرير.

ثانياً: جمع القرآن في السُّطور (كتابته وتدوينه)

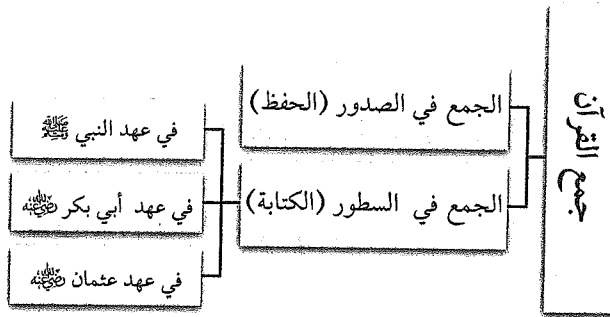
لم يكن كافياً جمع القرآن في الصدور لحفظه على مرِّ العصور، فكان لا بدَّ من وسيلةٍ أخرى للجمع أضبط للحفظ والإتقان وأسلم من الخطأ والنسيان، فكان جمع القرآن بكتابته وتدوينه، الذي مرَّ بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: في عهد النبي ﷺ.

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر ﷺ.

المرحلة الثالثة: في عهد عثمان ﷺ.

ولكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها وسماتها، ومقصودٌ معيَّن بجمع القرآن يختلف عن الآخر، وفي ما يأتي توضيحه من خلال الآثار الواردة في هذا ذلك:



(١) متفق عليه: صحيح البخاري (١٦٦/٦) (٤٩٣٧)، صحيح مسلم (٥٤٩/١) (٧٩٨) واللفظ له. ومعنى «السَّفَرَةُ»: المَلَائِكَةُ، «الكَرَامِ الْبِرَّةِ»: أي كرام على ربهم، بررة: أي مطيعون، من البر. «يتتعتع فيه» أي: يتردد في قراءته، ويتبلَّد فيها لسانه. ينظر: النهاية (١/ ١٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦٧٩٩)، وأبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الحاكم (٥٥٢/١-٥٥٣) ووافقه الذهبي.

المرحلة الأولى: جمع القرآن في عهد النبي ﷺ:

لما انتقل النبي ﷺ إلى المدينة اعتنى بكتابة القرآن أيما اعتناء، فاتخذ له كُتَّاباً للوحي معروفين، من أحصهم بذلك زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، فكان يدعوهم لكتابة ما ينزل من القرآن بمجرد أن ينقضي الوحي^(١).

وقد كان الإذن عاماً لمن أراد أن يكتب القرآن، مع النهي ابتداءً عن كتابة ما سوى القرآن خشية أن يختلط القرآن بغيره فقال ﷺ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئاً إِلَّا الْقُرْآنَ، مَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئاً سِوَى الْقُرْآنِ فَلَيْمَحُهُ»^(٢).

وقد أشار زيد بن ثابت رضي الله عنه إلى بعض وسائل الكتابة التي كانت في عصر الرسول ﷺ، بقوله في حديث جمع أبي بكر رضي الله عنه: «فَتَبَّعَتِ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ، وَالْأَكْتافِ، وَالْعُسْبِ...»^(٣).

وهذا يدل على أن القرآن لم يكن مجموعاً في مصحفٍ واحدٍ في عهد النبي ﷺ، بل كان متفرقاً في مثل هذه الأدوات التي ذكرها زيد رضي الله عنه. وهنا تردُّ علينا المسألة التالية:

لماذا لم يكتب القرآن كاملاً في مصحفٍ واحدٍ في عهد الرسول ﷺ؟

اجتهد أهل العلم في تحليل ذلك، فكان من أبرز ما ذُكر من الأسباب^(٤):

(١) والآثار الصحيحة تدل على ذلك، منها ما رواه البراء رضي الله عنه قال: «لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته فأنزل الله ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]». أخرجه البخاري (٤٥٩٣) ومسلم (١٨٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٠٠٤)، وأحمد في مسنده (٦٧٩٩) واللفظ له. ثم جاء الترخيص بكتابة الحديث في آخر حياته ﷺ. ينظر: بحوث في تاريخ السنة المشرفة (ص ٢٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١ / ٦) برقم (٤٦٧٩). الرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق ونحوه، والأكتاف: جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة. والعُسْب جمع عَسِب: وهو جريد النخل العريض. وجاء في بعض الروايات «وَاللِّخَاف»: جمع لَخْفَة، وهي الحجارة الرقاق. ينظر: فتح الباري (١٤ / ٩). الإتيان (٣٨٥ / ١ - ٣٨٦).

(٤) ينظر: البرهان (٢٣٨ / ١)، الإتيان (٢٠٢ / ١)، مناهل العرفان (٢٤٨ / ١)، المحرر في علوم القرآن (ص ١٥٢).

- ١- أنه لم تُوجد الدَّواعي لذلك في حياة النبي ﷺ ، لأُمور ، منها:
- الأمن من خوف الضَّياع أو الاختلاف ونحوه بوجود الرسول ﷺ ، الذي كان المرجع الأساس للصَّحابة ، بخلاف الحال بعد وفاته .
 - أن أغلب الأُمَّة آنذاك أمَّيون لا يعرفون القراءة .
 - أن الاعتماد كان على الحفظ أكثر من الكتابة ، والأصل في القرآن المسموع المحفوظ وليس المكتوب ، الذي هو زيادة ضَبْطٌ للمقروء فحَسْب .
- ٢- أن الجَمْع في كتاب واحد لا يصلح إلا لما قد انتهى واستقرَّ ، ولم يكن القرآن كذلك في حياته ﷺ لأُمور ، منها:
- أن القرآن نزل مفرَّقاً على ثلاث وعشرين سنة ، فيه الآيات المتفرِّقة من سور مختلفة .

- أن ترتيب آياته ليس على ترتيب نزوله .
 - أن منه ما قد يُنسخ لاحقاً فلا يُقرأ به .
 - أن نزوله لم يكتمل إلا قُبيل وفاة النبي ﷺ بليالٍ .
- ولا شكَّ أن جمعه في كتاب واحد والحال هذه فيه صعوبة بالغة لكثرة الحاجة إلى الإضافة والإزالة .

معالم جَمْع القرآن في عهد النَّبي ﷺ وخصائصه^(١):

- يمكننا أن نوجز أبرز معالم جمع القرآن في عهد النبي ﷺ في النقاط التالية:
- ١- أنه وقع جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ بنوعيه: الحفظ في الصدور ، والكتابة في السطور .
 - ٢- المقصود بجمع السُّطور في عهد الرسول ﷺ هو مجرَّد كتابته وتدوينه .
 - ٣- أن القرآن الذي نقرؤه كلّه كان مكتوباً في عهد رسول الله ﷺ ولكن لم يكن مجموعاً في مصحف واحد .

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/١٢) ، المحرر في علوم القرآن (ص ١٥١) .

٤- أنه قد يوجد من المكتوب في عهد رسول الله ﷺ ما تركت تلاوته^(١) في العرصة الأخيرة^(٢).

المرحلة الثانية: جمع القرآن في عهد أبي بكر

ب وفاة الرسول ﷺ فقدت الأمة الضمانة الأولى لحفظ القرآن، وهو الذي أمّنه ﷺ من النسيان فقال له: ﴿سَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦، ٧]، ومن هنا ألهم الله الصحابة ﷺ ليقوموا بما يضمن حفظ القرآن بعد الرسول ﷺ تحقيقاً لموعده سبحانه وتعالى بحفظه إلى آخر الزمان، فكان الجمع الأول في عهد أبي بكر.

وقد حكى زيد بن ثابت ﷺ قصة ذلك الحدث الجلل، فقال: «أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة^(٣) وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر^(٤) يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحجر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعه، وإني لأرى أن تجمع القرآن. قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت:

(١) من ذلك ما رواه مسلم (١٠٧٥ / ٢) (١٤٥٢) عن أم المؤمنين عائشة ﷺ أنها قالت: «كَانَ فِيمَا أُتِرَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرَّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ، بِخَمْسِ مَعْلُومَاتٍ، فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ». وينظر: الإتيان (١٤٤٠/٤).

(٢) العرصة الأخيرة: هي آخر ما عرضه نبينا ﷺ من القرآن على جبريل ﷺ في آخر رمضان قبل وفاته. وذلك أن جبريل ﷺ كان يدارسه القرآن كل عام مرة في رمضان، وعرضه في عامه الذي توفي فيه مرتين كما ثبت في صحيح البخاري (١٨٣ / ٤)، وقد ثبت فيها نسخ لبعض المقروء، فعن ابن عباس ﷺ قال: «كان يُعرض القرآن على رسول ﷺ في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين، فشهد عبد الله [أي ابن مسعود] فعلم ما نسخ منه وما بدّل» أخرجه أحمد في المسند: (٣٦٢ / ١)، وقال محققه شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) مقتل أهل اليمامة: أي عَقِب قتل أهل اليمامة، والمراد بأهل اليمامة هنا من قُتل بها من الصحابة في الواقعة مع مُسيلمة الكذاب في اليمامة من أرض نجد. ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٢ / ٩).

(٤) استحر: أي اشتد وكثر، وهو استعمل من الحر: الشدة. النهاية (حر).

وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، ولا تنهك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فَتَتَّبِعَ القرآنَ فاجمعه. فوالله لو كلّفتني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلتُ: كيف تفعّلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فَتَتَّبِعَتِ القرآنَ أجمعه من الرّقاع والأكتاف والعُشب وصدور الرجال، حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاريّ لم أجدهما مع أحدٍ غيره^(١) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، إلى آخرهما. وكانت الصُّحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر^(٢).

خصائص جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ ومعالمه:

من خلال حديث زيد السابق نجمل معالم الجمع البكري في ما يأتي:

١- المقصود بهذا الجمع: هو جمع المكتوب المتفرّق من القرآن في كتاب واحد، ومن هنا يتبيّن أن هذا العمل لم يكن كتابةً مبتدأة للقرآن، ولكنه إعادة لما كُتب بين يدي النبي ﷺ^(٣).

٢- سبب الجمع: الخوف من ذهاب شيء من القرآن باشتداد القتل بالقراء في المواطن^(٤).

(١) يعني لم يجدهما مكتوبتين مع غيره، وإلا فالأيتان يحفظهما زيد والصحابه ﷺ. ينظر: فتح الباري (١٣/٩)، الإتيقان (٣٨٤/٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٦٧٩، ٤٩٨٦، ٤٩٨٩).

(٣) وقد وُضِحَ الحارث المحاسبي (ت: ٢٤١) ذلك بتصوير حسيّ يُقَرَّبُ الأمر فقال: «كتابة القرآن ليست محدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرّقاً في الرّقاع والأكتاف والعُشب، وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان، وكان ذلك بمنزلة أوراق وُجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء». ينظر: البرهان (٢٣٨/١)، الإتيقان (٣٨٥/٢).

(٤) وفي هذا إشارة إلى أن ما بين أيديهم من المكتوب لا يعين على حفظ القرآن؛ لأنه غير مجموع، وأن أصل حفظ القرآن إنما هو بالمقروء في الصدور، ومن هنا حصل الخوف من ضياعه بمقتل حفظته في الصدور. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ١٥٤).

٣- المكلف بالجمع: هو زيد بن ثابت رضي الله عنه، وقد ذكر أبو بكر رضي الله عنه الصفات التي أهلت زيدا فاختاره من دون سائر الصحابة، وهي:

- المؤهلات الجسميّة: «إنك رجل شاب»، والشباب له أثره في الحيوية والنشاط.
- المؤهلات العقلية: «عقل، ولا نتهمك»: أي: لا نشك في أمانتك وحفظك وإتقانك، والعقل له دوره في رجحان العمل وصلاحه.
- المؤهلات العمليّة: «كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم».

- المؤهلات العلميّة: حفظه القرآن كاملاً، مع حضوره للعرضة الأخيرة^(١)، وهو مؤهل مهم لم يرد في حديث أبي بكر رضي الله عنه.

ويظهر أن هذه المؤهلات لم تجتمع في واحد من الصحابة رضي الله عنهم، ممّا رشح زيد رضي الله عنه لأن يكون الأولى للقيام بهذه المهمة الجليلة^(٢)، التي وصف مدى صعوبتها فقال: «فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن». لكن يسّر الله له الأمر فقام بها خير قيام في مدة وجيزة^(٣).

٤- مصادر زيد في الجمع: هي ما ذكره بقوله: «فتتبع القرآن أجمعه من الرّفاع، والأكتاف، والعُصْب، وصُدور الرّجال...»، أما هو فقد كتبه في صُحف متجانسة مرتبة يسهل ضمُّها بين دفتين بخلاف القطع التي كُتِب فيها سابقاً، يدلُّ عليه قوله في آخر الأثر: «وكانت الصُّحف التي جُمع فيها القرآن...»^(٤).

(١) فعن سمرة رضي الله عنه قال: «عرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضات، فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة». أخرجه الحاكم في المستدرک وصحَّحه (٢/٢٣٠)، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/٤٤٩)، والمقصود بقوله «قراءتنا هذه» أي: التي جمع عثمان رضي الله عنه عليها الناس وهي قراءة زيد. ينظر: الإتقان (١/٣٣٥). تحقيق موقف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود من الجمع العثماني، لمحمد الطاسان (ص ٥٢-٥٤).

(٢) ينظر: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار (ص ١٢١-١٢٢)، سير أعلام النبلاء (١/٤٨٨)، فتح الباري لابن حجر (٩/١٣).

(٣) استغرق ذلك ما يقرب من سنة واحدة، لأن معركة اليمامة كانت في أواخر عام ١١، وتوفي أبو بكر رضي الله عنه في منتصف عام ١٣. ينظر: محاضرات في علوم القرآن (ص ٦٠).

(٤) ينظر: المرجع السابق (ص ٥٨).

١- ما تضمّنه هذا المصحف: تضمّن هذا المصحف ما ثبتت قرآنيته، وزيد عليه السلام من أعلم الصحابة بالعرضة الأخيرة، والأقرب أن يكون القصد جمع القرآن الثابت، وليس كل ما قرئ بين يدي الرسول ﷺ؛ الذي لو جُمع لدخل فيه ما تركت تلاوته ^(١).

٢- ترتيب السور في هذا الجمع وما إلى ذلك: الأصل في ذلك أنه لا اختلاف في هذه الأمور، بل إنها كُتبت كما عهدوه عن النبي ﷺ ^(٢).

٣- دلّ آخر حديث زيد أنه كتب مصحفاً واحداً فقط، أودع عند أبي بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها بعد وفاته، ولم يلزم أحداً بالأخذ بما فيه، وترك ما سواه، فبقي الصحابة يُقرئون بما قرؤوا به في عهد النبي ﷺ، ومنه ما نُسخ في العرضة الأخيرة.

المرحلة الثالثة: جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه:

كانت هذه المرحلة هي خاتمة مراحل جمع القرآن المعتمد عليه عند المسلمين، وقد كانت مهمة عثمان تتمثل في نسخ مصحف أبي بكر إلى عدد من المصاحف ليعتمد عليها المسلمون، ولتكون معياراً يعلمون به صحة ما يُنسب إلى القرآن من حيث أصول حروفه وكلماته وجملته، إذ قد يصحّ عن النبي ﷺ قراءات لكنها مما ترك في العرضة الأخيرة فلم يُقرأ بها ^(٣)، وترك الناس بلا مرجع يرجعون إليه يجعلهم لا يزالون مستمرين في

(١) ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٠١٩) أن ابن عباس رضي الله عنه سئل: أترك النبي ﷺ من شيء؟ فقال: «ما ترك إلا ما بين الدفتين»، أي: لم يدع من القرآن ما يتلى إلا ما هو داخل المصحف الموجود. ينظر: الفتح (٦٥/٩).

(٢) ويستأنس في ذلك أيضاً بالأثر السابق عن ابن عباس. وقال البيهقي في شعب الإيمان (٥٤٦/٢): «وأمر أبو بكر رضي الله عنه بجمع القرآن، ونقله إلى مصحف، ثم اتخذ عثمان من ذلك المصحف مصاحف، وبعث بها إلى الأمصار، ولم يُعرف أنه أُثبت في المصحف الأول، ولا فيما نُسخ منه شيء سوى القرآن، فلذلك ينبغي أن يُعمل في كتابة كل مصحف». وينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ١٥٦).

(٣) ومن أوضح الأمثلة في ذلك ما ثبت عند البخاري في صحيحه (٢٥/٥) (٣٧٤٣) في قراءة قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ الْأُنثَى﴾ [الليل: ٣]، عن علقمة أن أبا الدرداء سأله: كيف يقرأ عبد الله رضي الله عنه [أي ابن مسعود]: =

قراءة ما تركت تلاوته فيظهر حينئذ الاختلاف كما سنرى في قصّة الجمع العثماني .

عمل عثمان رضي الله عنه في المصحف:

يمكن استخلاص عمل عثمان رضي الله عنه من الخبر الذي رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان - وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان^(١) مع أهل العراق - فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين؛ أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصّحف، ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيّين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصّحف في المصاحف ردّ عثمان الصّحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق»^(٢).

خصائص جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه ومعالمه:

من خلال حديث حذيفة السابق يمكننا أن نستخلص معالم جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه عبر النقاط التالية:

١- المقصود بهذا الجمع: نسخ عدّة مصاحف من مصحف أبي بكر رضي الله عنه، الذي هو أصل العمل، وهذا صريح في الأثر السابق: «فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا

= وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۚ فَمَرَأَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنبَلِ إِذْ يَأْتِيَنَّ﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿وَالذِّكْرُ وَالْأُنثَى﴾ قَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَقْرَأْنَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ». فحين ترجع إلى ما نسخه عثمان رضي الله عنه في المصاحف لا تجد هذه القراءة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، فتعلم حينئذ أنها مما تركت القراءة به في العرصة الأخيرة.

(١) كان ذلك في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين كما حققه الحافظ ابن حجر، وقيل: في حدود سنة ثلاثين. ينظر: فتح الباري (٩/ ١٧).

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٨٨).

بالصّحف ننسخها في المصاحف ثم نرُدّها إليك».

- ٢- سبب الجمع: الخوف من الاختلاف في قراءة القرآن، كما ذكر حذيفة رضي الله عنه بقوله: «أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى».
- ٣- المكلف بهذا الجمع: كُوت لجنة لهذا العمل العظيم من أربعة، كما في الأثر: «فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف»^(١).

٥- المنهج المتبع في الرسم حال الاختلاف: أرشدهم عثمان رضي الله عنه إلى أساس القاعدة التي يعملون بها حال اختلافهم في رسم كلمة ما - وهذا الاختلاف محتمل الحدوث في لجنة من عدة أشخاص؛ بخلاف عمل زيد في الجمع البكري؛ فقد كان بمفرده^(٢)؛ فقال للرّهط القرشيّين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم»، أي: فارسموه بطريقة نطق قريش التي نزل القرآن أول ما نزل بلغتها، وذلك أن زيد بن ثابت كان من أهل المدينة، فربّما تأثر رسمه للقرآن ببعض خصائص لهجته، مثاله ما رواه الزهري أنهم اختلفوا يومئذ في التابوت والتابوة، فقال القرشيّون: التابوت، وقال زيد: التابوة، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش^(٣).

٦- عدد المصاحف المنسوخة: قال أنس: «وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا»، وقد وقع خلاف بين العلماء في عدد هذه المصاحف، والصحيح أنها ستة: المصحف الذي استكتبه عثمان لنفسه، وخمسة أرسلت إلى الحواضر الإسلامية

(١) وقد كان هؤلاء الأربعة في سن يتمتعون فيها بالقوة البدنية والنضج العقلي الذي يتطلبه عمل كبير مثل انتساخ المصاحف، فزيد بن ثابت الأنصاري، كاتب الوحي الذي كان عمره عند وصول النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً إحدى عشرة سنة، ومعه ثلاثة من شباب قريش كلهم مولود في حدود السنة الأولى من الهجرة. ينظر: محاضرات في علوم القرآن (ص ٦٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص ٦٦)، المحرر في علوم القرآن (ص ١٦٠).

(٣) أخرج هذه الزيادة الترمذي في سننه (٢٨٤/٥) (٣١٠٤).

الكبرى؛ مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام^(١)، وقد أرسل عثمان مع كل مصحف قارئاً يُقرئ الناس ويُعلّمهم، فصار كل أهل بلد يقرؤون بما يُقرئهم إمامهم، ويرجعون في ضبط مصاحفهم إلى المصاحف المرسلة إليهم، الموحدة رسماً وترتيباً، لنشوتها من مصدر واحد، وبذلك انحسم الخلاف في قراءة القرآن.

٧- إلزام الناس بما نُسخ من مصحف أبي بكر، وأمرهم بتحريق مصاحفهم: تظهر أهمية جمع عثمان ؓ من خلال هذا الإلزام، حيث كان حاسماً قاطعاً للخلاف؛ وذلك لاتّفاق المصدر، ولولا هذه الخطوة لما حقّق هذا العمل الجليل أهدافه. وبهذا يتضح اختلاف عمل عثمان عن عمل أبي بكر ؓ، وفي ما يأتي خلاصة لأبرز الفروق بينهما:

أبرز الفروق بين الجمع البكري والجمع العثماني

معالم الجمع	الجمع البكري	الجمع العثماني
المقصود به	جمع المکتوب المتفرّق من القرآن في مصحف واحد	نسخ عدّة مصاحف من مصحف أبي بكر ؓ
سببه	الخوف من ذهاب شيء من القرآن باستشهاد حفاظه	الخوف من الاختلاف في قراءة القرآن
المكلف به	زيد بن ثابت ؓ	زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام
عدد المصاحف	مصحف واحد	ستّة مصاحف على الصحيح
الإلزام بما فيه	بقيت نسخة المصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر ؓ ولم يُلزم الناس بما فيه	أرسل إلى كل أفق بمصحف، وألزم الناس بهذه المصاحف، وأمر بتحريق ما سواها

(١) ينظر: الإتيان (١/ ٣٩٣).

موقف الصحابة رضي الله عنهم من الجمع العثماني:

تلقى الصحابة رضي الله عنهم جمع عثمان بالقبول، وأثنوا على صنيعه، فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: «أدركت أصحاب رسول الله ﷺ متوافرين، فما رأيتُ أحداً منهم عاباً ما صنع عثمان رضي الله عنه في المصاحف»^(١)، وعن سويد بن غفلة يقول: سمعت علياً يقول: «رحم الله عثمان، لو وليته لفعلت ما فعل في المصاحف»^(٢)، ولم يذكر اعتراض عن أحدٍ منهم إلا ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ابتداءً، ثم صار إلى موافقة الجماعة في آخر أمره رضي الله عنه^(٣).

وهكذا أجمعت الأمة على المصاحف العثمانية، التي صارت إماماً يعودُ الناس إليها وينسخون مصاحفهم عنها جيلاً بعد جيل، حتى وصلت بين أيدينا، نقرأ القرآن منها غصاً طرياً كما أنزل، قال الباقلاني (ت: ٤٠٣): «جميع القرآن الذي أنزله الله ﷻ وأمرنا بإثبات رسمه، ولم ينسخه ويرفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان رضي الله عنه، وأنه لم يُنقص منه شيء، ولا زيد فيه»^(٤).

ومن ثمَّ كان اعتناء العلماء بالمصاحف العثمانية وما كُتب عنها، فنشأت العلوم المتعلقة بالمصحف الشريف كعلم الرسم والضبط، وفي المباحث التالية الحديث عنها، وقبل ذلك نلقي الضوء على مسألة متعلقة بجمع القرآن في مراحل الثلاث، وهي مسألة ترتيب سُور القرآن وآياته وعدد كلٍّ منها.



- (١) أخرجه عمر بن شبة في تاريخ المدينة، تحت عنوان «كتابة القرآن وجمعه» (٣/ ١٠٠٤).
- (٢) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، تحت عنوان «جمع عثمان رحمة الله عليه المصاحف» (٩٨/ ١).
- (٣) ينظر: تحقيق موقف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود من الجمع العثماني، لمحمد الطاسان.
- (٤) الانتصار للقرآن (١/ ٥٩).

ثانياً: ترتيب سُور القرآن وآياته

يتألف القرآن الكريم من آيات، والآيات جمع آية: وهي لغةً: تُطلق على العلامة، والعبرة، والمعجزة، والدليل، وغير ذلك. أما اصطلاحاً فهي: قرآنٌ مركَّب من جُمْل ولو تقديرًا، ذو مبدأٍ ومقطعٍ مُندرج في سورة^(١).

وهذا التعريف يشير إلى أن آيات القرآن مجموعة في أقسام تُسمَّى السُّور، والسُّور: جمع سورة: وهي لغةً: المنزلة «لأنها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأخرى»^(٢)، وقيل من سُور المدينة لإحاطتها بآياتها^(٣)، وأما اصطلاحاً فهي: قرآنٌ يشتمل على آيات ذوات فاتحة وخاتمة^(٤).

الحكمة من تقسيم القرآن إلى سُور:

ولتقسيم القرآن إلى سُور حِكَمٌ عظيمة، من أبرزها^(٥):

- ١- التيسير في حفظ القرآن وتلاوته ومدارسته.
- ٢- تحقيق كَوْن السورة معجزة بمجردها وإن قُصُرَتْ.
- ٣- الإشارة أن لكل سورة موضوعاً مستقلاً.

وقد تقدّم أن القرآن نزل مفرّقاً على مدار ثلاث وعشرين سنة، كانت تنزل خلالها السورة أو الآية من السورة أو بعض آية أو الآيتين أو الجمع من الآيات، وهذا الترتيب النزولي يختلف عن الترتيب الجمعي المثبت في المصاحف، فكيف تمّ هذا الترتيب البديع، وما مصدره؟ هذا ما سنتناوله في هذا المبحث.

(١) حسن المدد للجعبري (ص ١٨). وينظر تعاريف أخرى في: مناهل العرفان (٣٣٨/١-٣٣٩)، الميسر في عد أي القرآن (ص ١٠).

(٢) القاموس المحيط (ص: ٤١١)، مادة (س و ر).

(٣) البرهان (١/ ٢٦٤).

(٤) وهو تعريف الجعبري كما في البرهان (١/ ٣٦٤)، وينظر: مناهل العرفان (١/ ٣٥٠).

(٥) البرهان (١/ ٣٦٤-٣٦٥)، الإتيان (٢/ ٤٢٩)، مناهل العرفان (١/ ٣٥١).

(أ) ترتيب آيات القرآن

ترتيب الآيات في السُّور كان بتوقيفٍ من النبي ﷺ ، ولا خلاف في ذلك^(١) ، ومما يدل عليه حديث عبد الله بن الزبير ؓ قال: قلتُ: لعثمان بن عفان: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا» [البقرة: ٢٣٤] قال: قد نسختها الآية الأخرى ، فلم تكتبها؟ أو تدعها؟ قال: «يا ابن أخي لا أُعَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ»^(٢) ، ويوضحه قول عثمان لابن عباس ؓ: «إن رسول الله ﷺ كان مما ينزل عليه من السُّور التي يُذكر فيها كذا وكذا ، فإذا أنزلت عليه الآيات يقول: ضَعُوا هذه الآيات في موضع كذا وكذا»^(٣).

كذلك كان النبي ﷺ يُقرئ الصحابة القرآن ، ويقرأ عليهم السُّور في الصلوات ، ويسمعونه منه ليلَ نهار ، ولم يُسمع من أحدهم أنه خالف في ترتيب آية من الآيات^(٤).

(ب) ترتيب سور القرآن

بخلاف مصدر ترتيب الآيات فقد وقع الخلاف في مصدر ترتيب السور ، هل كان بتوقيفٍ من النبي ﷺ أم باجتهاد من الصحابة؟ والأرجح هو القول بأن ترتيب السُّور توقيفٌ من النبي ﷺ ؛ لأدلةً نقليةً وعقليةً عديدة ؛ من أبرزها:

١- أنه قد ثبت في أحاديث عديدة ذكر سور القرآن المتوالية حسب ترتيب المصحف ، كحديث أبي أمامة الباهلي ؓ المرفوع ، وفيه: «اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ البقرة وسورة آل عمران ،...»^(٥) . ومما ورد عن الصحابة قول ابن مسعود ؓ: «بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هُنَّ من العِتَاقِ الأول ، وهُنَّ من تِلَادِي»^(٦) . وفي ما ثبت دلالة

(١) ينظر: البرهان (١/ ٢٥٦) ، الإتيان (٢/ ٣٩٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩/ ٦) (٤٥٣٠) .

(٣) سيأتي بتمامه مع تخريجه في المسألة التالية .

(٤) ينظر: الإتيان (٢/ ٣٩٧ - ٤٠٠) .

(٥) رواه مسلم (١/ ٥٣٣) (٨٠٤) .

(٦) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٥) (٤٩٩٤) .

على ما بقي؛ إذ يبعد أن يرتب الرسول ﷺ بعضها ويترك بعضاً بلا سبب واضح، ففي ما ثبت دلالة على ما لم يُذكر ترتيبه.

٢- حديث أوس بن حذيفة الثقفي رضي الله عنه في قصة قدوم وفد ثقيف، وفيه أن الرسول ﷺ احتبس عنهم ليلة عن الوقت الذي كان يأتيهم فيه، فقال ﷺ: «طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ». قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نُحْزِبُهُ ثَلَاثَ سُورٍ، وَخَمْسَ سُورٍ، وَسَبْعَ سُورٍ، وَتِسْعَ سُورٍ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبَ الْمُفْصَلِ مِنْ قَافٍ حَتَّى يُخْتَمَ^(١).

٣- حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّيِّعِ الطُّوْلَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِثِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفْصَلِ»^(٢). فإذا كان هذا التقسيم الجملي موجوداً معروفاً بينهم، منقولاً عن النبي ﷺ، فما المانع من أن يكون ما فيه من السور مرتباً كذلك بفعل النبي ﷺ^(٣).

٤- من الأدلة العقلية لهذا القول:

- عدم ترتيبه على النزول، بحيث يُقدّم المكي على المدني.

— جعل الحواميم والطواسين متتالية، بخلاف المسبّحات والمبدوءات بـ(ألَمْ) حيث لم تُجعل كذلك^(٤).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨٨ / ٢٦) (١٦١٦٦)، وأبو داود (١٣٩٣)، وابن ماجه (١٣٤٥). قال العراقي في تخريج الإحياء (٢٤٨ / ١): «ولإسناده حسن»، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود - الأم (٦٨ / ٢)، وكذا محققو المسند (٨٨ / ٢٦). وسيأتي شرحه تفصيلاً في مبحث تحزيب القرآن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٨٨ / ٢٨) برقم (١٦٩٨٢). وصححه الألباني بمجموع طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٦٩ / ٣) (١٤٨٠)، وحسنه محققو المسند (١٨٨ / ٢٨). والطول بضم الطاء جمع طولى، بالكُبرى جمع كبرى. ينظر: البرهان (٢٤٤ / ١).

(٣) ينظر: الإتيان (٤٠٩ / ٢ - ٤١٠)، المحرر في علوم القرآن (ص ١٩٩).

(٤) ينظر: الإتيان (٤١١ / ٢ - ٤١٢).

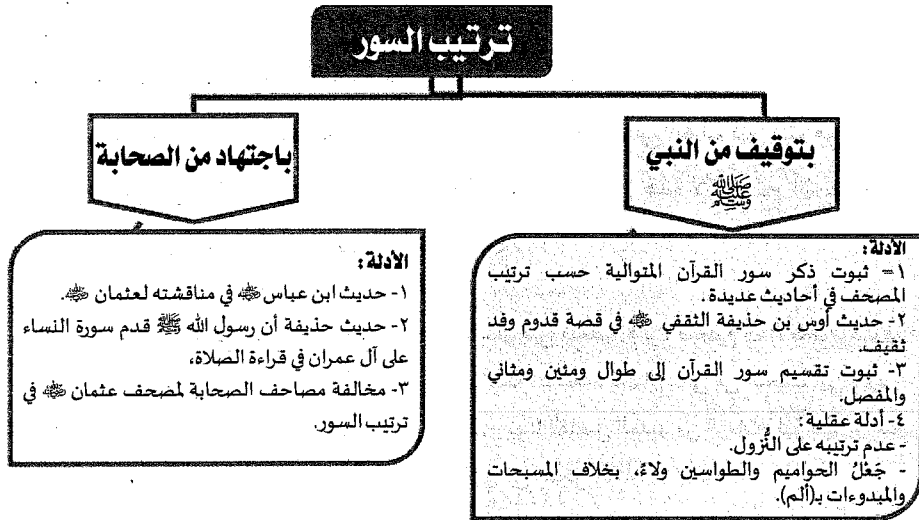
وقيل إن ترتيب سور القرآن باجتهاد من الصحابة، استدلالاً بحديث ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لعثمان بن عفان رضي الله عنه: «ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثنائي، وإلى براءة، وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سطرا: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتُموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا نُزل عليه شيء يدعو بعض من يكتبُ عنده يقول: «ضعوا هذا في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا» وينزل عليه الآيات، فيقول: «ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا» وينزل عليه الآية، فيقول: «ضعوا هذه الآية في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا»، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت فصّتها شبيهةً بقصّتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يُبين لنا أنها منها، وظننتُ أنها منها^(١)، فمن ثمّ قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطرا: بسم الله الرحمن الرحيم. ووضعتها في السبع الطول^(٢). وأجيب عنه: أنه لو صحّ؛ فإن فيه دلالة على أنه لم يبقَ لهم من معرفة التوقيف في ترتيب السور سوى الأنفال والتوبة^(٣)، وعلى هذا لا يصلح أن يُحتجّ به على أن ترتيب سور القرآن اجتهاد من الصحابة.

(١) استغرب هذا القول المروي عن عثمان رضي الله عنه، مما يدل على ضعف الأثر، فمعلوم أن الأنفال نزلت في بدر في السنة الثانية. وتأخر نزول التوبة إلى تبوك في السنة التاسعة، قال الألباني في ضعيف أبي داود - الأم (٣٠٨/١): «فتأخر نزول (براءة) كلها عن الأنفال - بهذا الفاصل المديد من الزمان - لهو دليل واضح على أنهما سورتان، لا سورة واحدة، كما قال الطحاوي في مشكل الآثار (١٥٢/٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤٦٢/١) وأبو داود برقم (٧٨٦) والترمذي برقم (٣٠٨٦) وحسنه. وصحّحه ابن حبان (٤٣) والحاكم (٢/٢٢١ و ٣٣٠) ووافقه الذهبي. وضعفه سنداً ومتناً الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد (٣٢٩/١ برقم ٣٩٩)، وكذا الألباني في ضعيف أبي داود الأم (٣٠٦/١)، ومحققو المسند (٤٦٢/١). وصحّح الحديث عبد الله الجديع في كتابه (مقدمات أساسية في علوم القرآن) (ص ١٢٤ - ١٢٧) بعد أن ردّ قول الشيخ أحمد شاكر.

(٣) ومن هنا رجّح البيهقي والسيوطي أن ترتيب جميع سور القرآن توقيفي عدا سورتي الأنفال والتوبة. ينظر: الإتيان (٤١١/٢).

كذلك استدلوا بحديث حذيفة أن رسول الله ﷺ قدم سورة النساء على آل عمران في قراءة الصلاة^(١). وأجيب عنه: أن ذلك للدلالة على جواز مخالفة الترتيب أثناء القراءة في الصلاة وغيرها^(٢)، وبالتالي لا دلالة فيه على أن ترتيب المصحف ليس توقيفياً. كما استدلوا باختلاف ترتيب مصاحف الصحابة، ونُقش بأن لا حجة فيه على أن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة، لأنه قبل إجماع الصحابة على إلزام عثمان بما أرسله للأمصار لم يكن هناك اتفاق في ما يتعلق بأمر القراءة ولا المصحف؛ لذا تجد أن بعضهم كان يُقرئ بكل ما سمع من النبي ﷺ؛ لأنه لم يبلغه أنها مما ترك في العرصة الأخيرة، كما تقدّم عند الحديث عن جمع القرآن.



(١) ونص الحديث: «أُتي النبي ﷺ في ليلة من رمضان فقام يصلي فلما كبر قال: الله أكبر ذو المَلَكوت والجبّوت والكبرياء والعظمة، ثم قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، لا يمر بآية تخويف إلا وقف عندها». أخرجه أحمد (٣٩٨/٥) واللفظ له، وأخرجه أيضاً أبو داود (٨٧٤) والنسائي (١١٤٥). والحديث أصله عند مسلم (٧٧٢).

(٢) وعلى هذا جرى عمل المسلمين، فتراهم في الكتاتيب يعلمون الأطفال من آخر القرآن.

ثالثاً: عدد سور القرآن وآياته وتجزئته

(أ) عدد سور القرآن

عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة (١١٤) سورة بالإجماع^(١)، أولها سورة الفاتحة وآخرها سورة الناس.

وثبت في حديث وائلة بن الأسقع المتقدم^(٢) أنها في أربعة أقسام: السبع الطول، والمِثُون، والمِثَانِي، والمفصّل.

قال الطبري (ت: ٣١٠): «السبع الطول: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس في قول سعيد بن جبير^(٣)،... وأما المِثُون: فهي ما كان من سور القرآن، عدد آيه مائة آية، أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً. وأما المِثَانِي: فإنها ما ثنى المِثْن فتلاها، وكان المِثُون لها أوائل، وكان المِثَانِي لها ثواني؛ وقد قيل: إن المِثَانِي سُمِّيت مِثَانِي لتثنية الله - جل ذكره - فيها الأمثال والخبر والعبر، وهو قول ابن عباس،... وأما المفصّل، فإنها سُمِّيت مفصّلاً لكثرة الفصول التي بين سورها. ببسم الله الرحمن الرحيم»^(٤).

والمفصّل من سورة «ق» إلى سورة الناس على القول المشهور، وهو ثلاثة أقسام: طوال المفصّل (من سورة «ق» إلى سورة البروج)، وأوساط المفصّل (من سورة الطارق إلى سورة الضحى)، وقصار المفصّل (من سورة الشرح إلى سورة الناس)^(٥).

(١) ينظر: الإتيان (٢/ ٤٢٢).

(٢) في المبحث السابق ص ٧٢.

(٣) كذا المروي عن غير واحد من السلف - يُنظر الإتيان (٢/ ٤١٤) - وقال الزركشي في البرهان (١/ ٢٤٤) «وآخرها [أي السبع الطول] براءة لأنهم كانوا يعدّون الأنفال وبراءة سورة واحدة...». ولعل الأولى أنها التوبة بمفردها، والله أعلم. ينظر: دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص ١١٨).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٩٨ - ١٠١). وينظر أقوال آخر في: البرهان (١/ ٢٤٥ - ٢٤٦)، الإتيان (٢/ ٤١٢ - ٤١٦).

(٥) ينظر: الإتيان (٢/ ٤١٤، ٤١٧).

(ب) عدد آيات القرآن

أما عدد آيات القرآن فقد اختلفوا فيها، مع اتفاقهم على جملة ما نزل من القرآن وألفاظ السورة الواحدة، وليس الاختلاف في زيادة ألفاظ فيها أو نقص، وإنما في تحديد رأس الآية منها، حيث أدّى ذلك إلى الاختلاف في عدد آيات السورة الواحدة.

مثال ذلك: سورة الإخلاص: أربعة آيات عند الأكثرين^(١)، كالتالي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾، وعند البعض خمس آيات^(٢)، كالتالي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾. وإذا كان الأمر كذلك فهو يسير، والاختلاف فيه محتمل ومقبول، لأنه لا أثر له في أصل القرآن.

ومن هنا نشأ علم عدّ آي القرآن الذي صار علماً قائماً بذاته له مصنفاته ومنظوماته ودروسه، ويُعدّ من أبرز العلوم المتعلقة بالقراءات، وفي ما يأتي ذكر مبادئ هذا العلم الجليل بإيجاز.

تعريف علم عدّ الآي:

هو العلم بأعداد آي سور القرآن وما اختلف في عدّه منها، معزّواً لناقله^(٣).

نشأة علم عدّ الآي وأهميته:

نشأ عدّ الآي مع نزول القرآن الكريم، ويمكن القول بأن القرآن قد أشار إليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقد جاء بيانها في قول النبي ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»^(٤). فقوله: هي السبع؛ لأن آياتها سبع.

(١) في العدد المدني والبصري والكوفي.

(٢) في العدد المكي والشامي. ينظر ما سبق: البيان في عدّ آي القرآن (ص ٢٩٦).

(٣) الميسر في علم عدّ آي القرآن (ص ١٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٧٠٣) من حديث أبي سعيد بن المعلى ؓ.

فهذا من الأحاديث التي نصَّ النبي ﷺ فيها على عدد الآيات ، وكذلك قوله : « من حفظَ عَشْرَ آياتٍ من أوَّل سورة الكَهْفِ عُصِمَ من الدَّجَالِ »^(١) . وأيضاً قوله : « إن سورة من القرآن ثلاثين آيةً شَفَعَتْ لرجُلٍ حتى غُفِرَ له ، وهي ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ »^(٢) .

ومن آثار الصحابة في النصِّ على عدد الآيات : حديث عبد الله بن عباس ؓ ، أنه باتَ عند خالته ميمونة أم المؤمنين ؓ ، وفيه قوله : « ... ثم استيقظ رسول الله ﷺ ، فجلس ، فمسحَ النومَ عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران ، ... » الحديث^(٣) .

كذلك كان الصحابة يعتمدون على عدد الآي في حساب بعض أمورهم ، من ذلك حديث أبي سعيد الخدري ؓ : « أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأولىين في كل ركعة قَدْرَ ثلاثين آية ، وفي الأخيرتين قَدْرَ خمس عشرة آية ، أو قال نصف ذلك ، وفي العصر في الركعتين الأولىين في كل ركعة قَدْرَ قراءة خمس عشرة آية ، وفي الأخيرتين قَدْرَ نصف ذلك »^(٤) .

فهذه الآثار ونحوها^(٥) تدلُّ على أن لهذا العلم أصلاً في السُّنة وعند السلف ، كما تدلُّ من جهةٍ أخرى على أهميته .

مصدر علم عدِّ الآي :

علم العدد توقيفيٌّ عن الرسول ﷺ^(٦) ، وعلى ذلك فالأصل فيه النقل والسَّماع .

الاختلاف في عدِّ الآي :

مع أن الأصل في هذا العلم أنه متلقًى عن الرسول ﷺ ؛ إلا أنه وردَ اختلاف في عدِّ أي أغلب السُّور وتحديد رأسها ومبدئها ، ويوجَّه بأن ذلك متلقًى بهذا الاختلاف عن

(١) رواه مسلم برقم (٨٠٩) من حديث أبي الدرداء ؓ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٢١/٢) ، من حديث أبي هريرة . وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٨٩١) وحسنه .

(٣) أخرجه البخاري برقم (١١٩٨) ، وأخرجه أيضاً مسلم برقم (٧٦٣) .

(٤) أخرجه مسلم برقم (٤٥٢) .

(٥) ينظر : الإتنان (٤٥٣/٢ - ٤٥٧) .

(٦) وقيل : أن أغلبه توقيفيٌّ وبعضه اجتهاديٌّ . يُنظر أدلة القولين ومناقشتها في الميسر في علم عدِّ أي القرآن (ص ٣٨ - ٤٦) .

الرسول ﷺ^(١)، وهو من باب اختلاف التنوع؛ لأن هذا النوع من الاختلاف لا أثر له في أصل القرآن^(٢).

فوائد معرفة عدد الآيات^(٣):

اجتهد أهل العلم في بيان فوائد معرفة عدد آيات السور، لعل من أهمها:

(١) اتباع السنة في الوقف على رؤوس الآي^(٤)، ولا يتأتى معرفتها إلا من خلال هذا العلم.

(٢) معرفة الآيات المحددة عددها لنيل الأجر الموعود به في بعض الأحاديث^(٥).

(٣) معرفة ما يبنى على تحديد رؤوس الآي من أحكام القراءات^(٦).

أقسام السور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها:

يمكن تقسيم السور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها إلى ثلاثة أقسام^(٧):

القسم الأول: ما لم يختلف فيه لا في إجمال ولا في تفصيل، وهو أربعون سورة.

(١) ينظر: البيان في عد أي القرآن (ص ٣٩).

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ١٨٢).

(٣) ينظر: الإتيان (٤٥١/٢)، الميسر في علم عد أي القرآن (ص ٥٩-٦٥).

(٤) يدل على ذلك حديث أم سلمة ؓ قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته: ﴿يَسْبِقُونَكَ بِالْجَنَّةِ الْمَعْمُورَةِ﴾ وفي رواية: «يقطع قراءته آية آية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف، وفي رواية: «ثم نعت قراءته فإذا هي مفسرة حرفاً حرفاً». رواه أحمد في المسند، (٢٦٥٢٦)، (٢٤٨/٤٤)، (٢٦٥٨٣)، (٢٠٦/٤٤)، وأبو داود (٤٠٠٣)، (٦٥/٤)، والترمذي (٢٩٢٧)، (١٨٥/٥)، والحاكم في المستدرک (٢٩٠٩، ٢٠٢/٢).

(٥) مثل الحديث المتقدم: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»، وقوله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين». رواه أبو داود (٥٧/٢)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤٢).

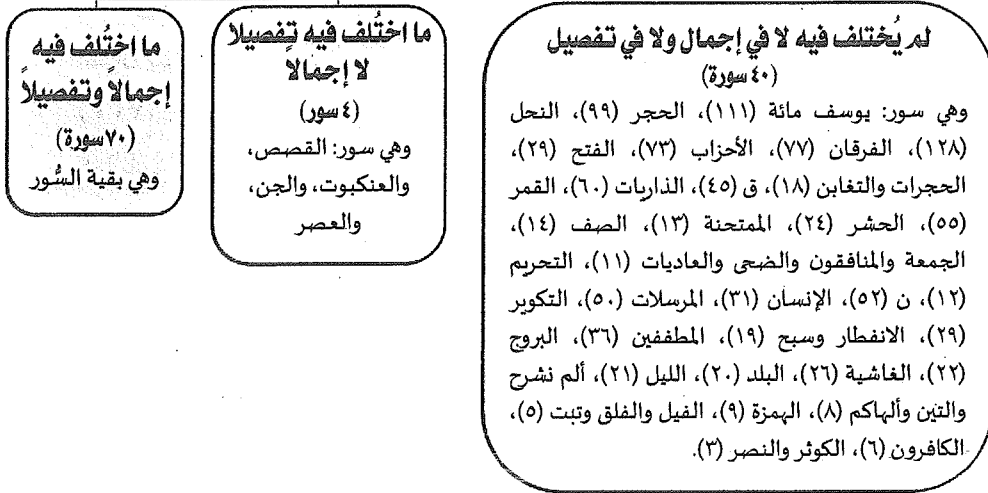
(٦) وذلك لما ورد في كتب القراءات من اختلاف حكم قراءة اللفظ إن كان رأس آية، مثل إمالة رؤوس أي سور خاصة في القرآن الكريم، فإن من القراء من يوجبها. ينظر بيان ذلك في: الميسر في علم عد أي القرآن (ص ٦٣).

(٧) ينظر: الإتيان (٢/٤٣٩-٤٤٨).

القسم الثاني: ما اختلف فيه تفصيلاً (موطن الآي) لا إجمالاً (عدد الآي جملة)^(١)، وهو أربع سور.

القسم الثالث: ما اختلف فيه إجمالاً وتفصيلاً، وهو بقية السور (سبعون سورة).

أقسام السور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها



مذاهب علم العدد والأمصار المنسوبة إليها:

الأعداد المتداولة المعمول بها ستة، وتُنسب إلى الأمصار التي أرسل إليها عثمان رضي الله عنه المصاحف، وهي: العدد المدني - وفيه عددان: المدني الأول والمدني الأخير - والعدد المكي والعدد الشامي والعدد البصري والعدد الكوفي، وقد ذكر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤) في كتابه (البيان في عدد آي القرآن)^(٢) سند كل واحد منها إلى من

(١) مثاله: سورة العصر، فقد اتفقوا على عدّها ثلاث آيات إجمالاً، واختلفوا في تفصيل ذلك، فقد عدّ المدني الأخير ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ آية دون ﴿وَالْعَصْرِ﴾، وعكس الباقون. ينظر: البيان في عدد آي القرآن (ص ٢٨٧).

(٢) (ص ٦٧ - ٧٠).

رُويَتْ عنه من الصحابة أو التابعين^(١)، ثم قال: «وهذه الأعداد؛ وإن كانت موقوفة على هؤلاء الأئمة، فإن لها لا شك مادةً تتصل بها، وإن لم نعلمها من طريق الرواية والتوقيف كعلمنا بمادة الحروف والاختلاف؛ إذ كان كل واحد منهم قد لقي غير واحد من الصحابة وشاهده وأخذ عنه وسمع منه، أو لقي من لقي الصحابة؛ مع أنهم لم يكونوا أهل رأي واختراع، بل كانوا أهل تمسك واتباع».

مجموع عدد آي القرآن:

أدّى الاختلاف في عدد آي بعض سور القرآن إلى وقوع الخلاف في مجموع عدد آي القرآن بين هذه الأعداد المنقولة المتداولة، بعد اتفاقهم على أنه ستة آلاف ومئتا آية (٦٢٠٠)، حيث اختلفوا في ما فوق ذلك، فكان مجموع عدد آي القرآن في كل مذهب كما يلي^(٢):

- ١- في العدد المدني الأول: ٦٢١٧ آية.
- ٢- في العدد المدني الأخير: ٦٢١٤ آية.
- ٣- في العدد المكي: ٦٢١٩ آية.
- ٤- في العدد الكوفي: ٦٢٣٦ آية.
- ٥- في العدد البصري: ٦٢٠٤ آية.
- ٦- في العدد الشامي: ٦٢٢٦ آية.



(١) ومن ذلك العدد الكوفي الذي عليه رواية حفص، قال الداني (ت: ٤٤٤): «وأما عدد أهل الكوفة، فرواه حمزة الزيات، عن ابن أبي ليلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب عليه السلام مرفوعاً، ورواه عن حمزة الكسائي وسليم بن عيسى وغيرهما».

(٢) ينظر: البيان في عدد آي القرآن (ص ٧٩-٨١).

مراجع معرفة عدد آي السور:

لمعرفة عدد آي السور وبيان الخلاف في رأس كل آية ومبدئها حسب الأعداد المتداولة المنسوبة إلى الأمصار = يُرجع إلى المصنّفات الخاصة في ذلك ، ومن أهمها: كتاب (البيان في عد آي القرآن) لأبي عمر الدّاني (ت: ٤٤٤) .

ومن أبرز المنظومات في هذا العلم:

- منظومة (ناظمة الزّهر في أعداد آيات السور) لأبي القاسم الشاطبي (ت: ٥٩٠) ^(١) .
- منظومة (الفرائد الحسان في عد آي القرآن) للشيخ عبد الفتاح القاضي (ت: ١٤٠٣) ^(٢) .

(ج) تجزئة القرآن وتحزيبه ^(٣)

نظراً لتفاوت سُور القرآن في الطول فقد ذهب العلماء يقسمون المصحف إلى أجزاء متقاربة القدر، مجتهدين في الوصول إلى تقسيم يُعينُ الحافظ لتيسير حفظه ، والقارئ ليختِم القرآن في وقت محدّد ، لذا عمدوا إلى تجزئة المصحف إلى أقسام ليتسنى لهم قراءته بلا فتور ولا انقطاع ، عملاً بالمنهج الذي رسمه النبي ﷺ لأُمَّته حين قال: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ» ^(٤) .

(١) وهي منظومة رائية ، مطلعها:

بَدَأْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ نَازِمَةُ الزَّهْرِ لَتَجْنِي بَعُونَ اللَّهِ عَيْنًا مِنَ الزَّهْرِ

ومن أهم شروحيها المعاصرة: (بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل) للشيخ عبد الفتاح القاضي (ت: ١٤٠٣) ، ويمتاز بالإيجاز وحسن الترتيب والتركيز على المهمات ؛ فقد درج فيه على أن يبدأ بشرح الكلمات لغة ، ثم يبين معنى البيت وما فيه من مسائل هذا الفن ؛ مفصلاً محل الاتفاق ومحل الاختلاف .

(٢) وقد شرحها الناظم في كتابه: (نفائس البيان شرح الفرائد الحسان) .

(٣) التحزيب مشتق من الحزب ، قال السّخاوي في جمال القراء (١ / ١٢٤) : «يقال: أجزاء القرآن ، والأحزاب ، والأوراد = بمعنى واحد ، وأظنّ الأحزاب مأخوذ من قولهم: حزب فلان ؛ أي: جماعته ؛ لأن الحزب طائفة من القرآن . والورد ؛ أظنّه من الورد الذي هو ضدّ الصّدر ؛ لأن القرآن يروي ظمأ القلب» . وينظر في موضوع تحزيب القرآن: فنون الأفتان (ص ١٠٧) ، وجمال القراء (١ / ١٢٤) ، وسنن القراء ومناهج المجددين (ص ١٤٢) ، والمحرر في علوم القرآن (ص ٢٤٥ - ٢٤٩) ، وتحزيب القرآن ، ومدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص ١٩٩) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٦٥) ، ومسلم (٧٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

وقد وقع في تقسيماتهم اختلاف بسبب النظر إلى عدد الأيام التي يريدون أن يقع فيها ختم القرآن، فمن قسّمه على سبعة أيام ليس كمن سيقسّمه على عشرة أيام، ولا كمن أراد قسّمته على ثلاثين يوماً.

الأصل في تحزيب القرآن وتجزئته: الأصل في تحزيب القرآن حديثان^(١):

الأول: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: «كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كلّ ليلة... الحديث. وفي آخره أن النبي ﷺ قال له: «واقرأ القرآن في كلّ شهر. قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: فاقراه في كلّ عشرين. قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: فاقراه في كلّ عشر. قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أكثر من ذلك. قال: فاقراه في كلّ سبع، ولا تزد على ذلك، فإن لزورك عليك حقًا، ولزورك^(٢) عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا^(٣). ففي هذا الحديث إشارة إلى أن من أراد أن يختم القرآن فإنه يجوز له أن يختمه في سبع، أو في عشر أو في عشرين أو في شهر^(٤)، وبطبيعة الحال فإنه سيختلف القدر المقروء بين هذه التقسيمات.

الثاني: حديث أوس بن حذيفة الثقفي رضي الله عنه المتقدم في قصة قدوم وفد ثقيف، وفيه أن الرسول ﷺ احتبس عنهم ليلة عن الوقت الذي كان يأتيهم فيه، فقال ﷺ: «طراً عليّ حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه». قال: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نُحزّبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يُختم^(٥).

(١) ينظر: تحزيب القرآن (ص ١٠٢).

(٢) أي: من يزورك من أصحابك وأضيافك.

(٣) صحيح مسلم برقم (١١٥٩).

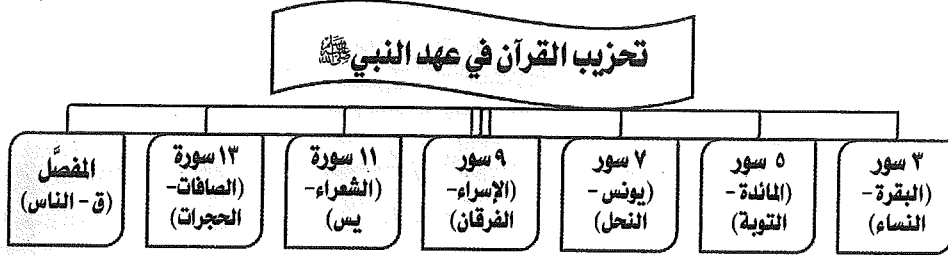
(٤) وقد استدلل ابن تيمية رحمته الله (ت: ٧٢٨) من هذا الحديث أن التحزيب المستحب هو ما بين أسبوع إلى

شهر. مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٠٧-٤٠٨).

(٥) تقدم تخريجه ص ٧٢.

تجزيب القرآن وتجزئته في عهد النبي ﷺ:

دلّت إجابة الصحابة رضي الله عنهم في حديث أوس الثقفي السابق على طريقة تجزيب القرآن وتجزئته في عهد النبي ﷺ، وأنهم كانوا يعتمدون القسمة الأسبوعية التي تعتمد التجزيب بالسُّور، فقد كانوا يُحزَّبون بها، ولا يقطعون السورة؛ لأنّه كان من سننهم إنفاذ القراءة إلى آخر السورة^(١)، وبيان هذا التقسيم بسُّور القرآن كآلآتي^(٢):



تجزيب القرآن وتجزئته بعد عصر الصحابة:

اعتنى العلماء بعد عصر الصحابة بموضوع تجزيب القرآن فعمدوا مجتهدين إلى تقسيم القرآن تقسيمات متعدّدة، تُناسب كل من أراد أن يختم في مدة معيّنة تزيد على الأسبوع، ويظهر أن ختم القرآن في شهر كان مقصداً أساساً في هذه التقسيمات؛ لأنّ الغالب عليها تقسيمه ثلاثين جزءاً، لذا كان هذا أشهر أنواع تجزئة القرآن، وهو الذي جرّت عليه المصاحف إلى اليوم.

ثم قسموه إلى أقلّ من الجزء، فجعلوا الجزء حزّين، والحزب أربعة أرباع، كما هو مشهور في المصاحف المشرقيّة اليوم.

(١) ينظر في هذا: سنن القراءة ومناهج المجودين (ص ١٧٣).

(٢) يلاحظ أن سورة الفاتحة ليست في هذا التقسيم؛ لشهرتها، ولكثرة تلاوتها في الصلاة وغيرها. وقد جمع بعض الحفاظ هذا التقسيم بعبارة: «فَمِي بِسْوَاقٍ»، فكلُّ حرف من أحرف هاتين الكلمتين يدلُّ على بداية حزب من الأحزاب السبعة المذكورة، مع اعتبار البداية بسورة الفاتحة: فالفاء تشير إلى سورة الفاتحة، والميم إلى سورة المائدة، والياء إلى سورة يونس، والباء تشير إلى سورة (بني إسرائيل)، وهي الإسراء، والشين إلى سورة الشعراء، والواو إلى سورة (والصافات)، والقاف تشير إلى حزب المُفَصَّل. ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص ٢٠١، ٢٠٢).

وهذه القسمة لا تذهب إلى تقسيم المصحف بالسُّور، بل تقسّمه إلى أجزاء قد تنتهي في وسط سورة أو في خاتمة سورة، والملاحظ أنه لم يُعتمد في هذه التقسيمات على علم الوقف والابتداء، لذا قد تقع نهاية الربع أو الحزب أو الجزء على موطن ناقص من جهة الوقف، فلا يكون وقفًا تامًّا، من ذلك نهاية الجزء الرابع بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ﴾ الآية، وبداية الجزء الخامس بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣ - ٢٤].

وسبب هذا الخلل في هذا التحزيب أنه كان مبنيًّا على عد حروف القرآن وكلماته^(١)، بخلاف تحزيب الصحابة الذي كان بمراعاة السُّور تامّة^(٢).

وهناك تقسيمات أخرى محكيّة في كتب العلماء يمكن الرجوع إليها^(٣).

مصادر معرفة تحزيب القرآن وتجزئته:

هذه التقسيمات - كما ترى - اجتهادية، وهي مذكورة في بعض كتب علوم القرآن وعدّ آيه، والقراءات، وغيرها، ومن أبرز هذه الكتب:

- ١- البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤).
 - ٢- فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧).
 - ٣- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣).
 - ٤- لطائف القراءات لفنون القراءات، للقسطلاني (ت: ٩٢٣).
 - ٥- غيث النفع في القراءات السبع، للسفاقي (ت: ١١١٧)^(٤).
- ومن أبرز الكتب المعاصرة: (تحزيب القرآن)، أ.د. عبد العزيز الحربي.

(١) الذي تمّ في العراق بأمر الحجاج بن يوسف الثقفي والي بني أمية. ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص ٢٠٢).

(٢) ولابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨) في مجموع الفتاوى (٤٠٩/١٣ - ٤١٤) كلام نفيس في نقد تحزيب المتأخّرين وترجيح الأخذ بتحزيب الصحابة.

(٣) ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، وجمال القراء، وتحزيب القرآن.

(٤) وقد اعتمدت لجان مراجعة المصاحف في العالم الإسلامي على بعض هذه الكتب المذكورة في تحديد مواضع الأجزاء والأحزاب وأرباعها. ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص ٢٠٥).

رابعاً: رسم المصحف

يرتبط رسم المصحف بموضوع (جمع القرآن) الكتابي في عهد الرسول ﷺ، ثم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم في عهد عثمان رضي الله عنه. كما أن له علاقة بالقراءات؛ لأنه جاء للدلالة على المقروء، كما هو الأصل في الرسم عموماً.

مفهوم رسم المصحف:

الرَّسْم لغةً: الأثر، ومنه رسوم الديار وهي آثارها اللاصقة بالأرض، ورسم على كذا: كتب^(١)، والرَّسْم الكتابة، وهو المقصود هنا.

ورسم المصحف: هو كتابته بالطريقة التي كتب الصحابة رضي الله عنهم المصاحف. ويُعرف بـ«الرسم العثماني» نسبةً إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أمر بنسخ المصاحف وإرسالها إلى الأمصار. وقد نشأ عن تتبع طريقتهم في كتابة المصحف ومعرفة ظواهرها علمٌ جليل قائم بذاته له مباحثه ومصنّفاته هو «علم رسم المصحف»، ويطلق عليه أيضاً: كتابة المصحف، وهجاء المصحف، وخط المصحف^(٢).

وعلم رسم المصحف: علمٌ تُعرَف به مخالفة رسم المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي، من حذفٍ وزيادةٍ وبدلٍ وفصلٍ ووصلٍ، ونحو ذلك^(٣).
أبرز معالم الرسم العثماني:

١- كان الرسم العثماني مجرداً من أيّة علامة؛ فلا نقاط على الحروف ولا علامات شكّل، ولا أيّ من علامات الضبط التي ألحقت فيما بعد^(٤).

(١) ينظر: لسان العرب (١٣٢/١٥) (رسم).

(٢) ينظر: الميسر في علم رسم المصحف وضبطه (ص ٢٥-٢٦).

(٣) المرجع السابق (ص ٢٧). والرسم القياسي: هو ما طابق فيه الخطُّ اللفظ.

(٤) وهذه هي طريقة الكتابة في ذلك العصر، كما هو واضح من موازنة خط المصحف بما وُجد من خطوط تعود إلى ذلك العهد ينظر: المرجع السابق (ص ١٩-٢٠).

٢- يتوافق الرسم العثماني مع الرسم القياسي (الإملائي) كثيراً، لكن يخالفه في جملة ظواهر منها بزيادة أو نقص أو بدل أو غير ذلك، وهي التي نشأ عنها علم رسم المصحف، واستنبط من خلالها قواعد الرسم العثماني.

قواعد الرسم العثماني:

وهي ست قواعد^(١) هي:

١- الحذف: مثل حذف الألف في مواضع كثيرة، كحذفها في: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿السَّوَاتِ﴾.

٢- الزيادة: مثل زيادة الألف في قوله تعالى: ﴿لَا أَذِبحُ﴾.

٣- الهمزات: ولها أوضاع خاصة في أول الكلمة ووسطها وآخرها، مثل ﴿وَيَمْنُونَ﴾، ﴿يَسْأَلُ﴾، وهي من أوسع أبواب الضبط وأشكلها.

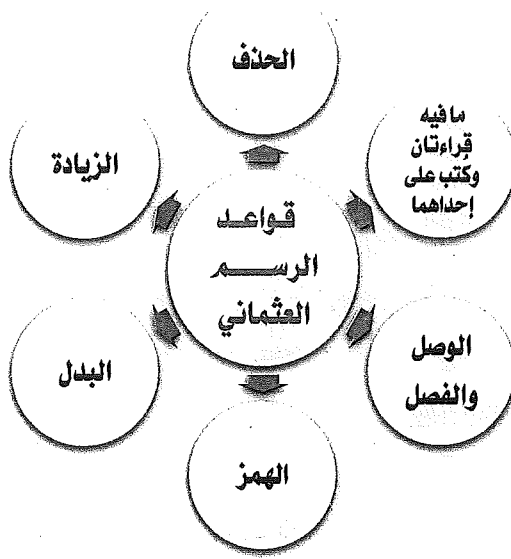
٤- البدل: مثل كتابة الواو في ﴿الصَّلَاةُ﴾ بدلاً عن الألف (الصلاة).

٥- الوصل والفصل: مثل فصل (إن) عن (ما) أو وصلهما، ففي قوله تعالى: ﴿إِن مَّا تَوْعَدُونَ لَأَن يَكُنَّ﴾ [الأنعام: ١٣٤] كُتِبَتْ مفصولة، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَوْعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: ٥] كُتِبَتْ موصولة.

٦- ما فيه قراءتان، وكتب على إحداهما، مثل قراءة (سُكَّارِي) بالألف ودونها في قوله تعالى: ﴿وَوَرَى النَّاسَ سُكَّارِي وَمَاهُمْ سُكَّارِي﴾ [الحج: ٢]، فهي تحتل الألف وعدمها.

= وخلو رسم مصاحف الصحابة من النقط والشكل وغيرها لم يكن مُشْكلاً عندهم، لأنهم يحفظون القرآن في صدورهم، ولا يعتمدون على الرسم أولاً، وإنما جاء الرسم لضبط صورة الكلام، لا للانطلاق منه إلى القراءة، فالأصل في القرآن الاعتماد على المسموع المحفوظ في الصدور لا المرسوم. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٢٢٥-٢٢٦).

(١) ينظر: الإتيان (٦/ ٢٢٠٠). وهذه القواعد مفصلة بالأمثلة في كتب الرسم، مع ضوابط واستثناءات مستنبطة بالاستقراء والتبُّع.



المصدر الأصل للرسم العثماني وطريقة نقله:

الأصل الذي يُعتمدُ في حكاية المرسوم هو المصاحف التي أمر عثمان رضي الله عنه بنسخها، وكل ما حكاه علماء الرسم المتقدمون فهو عن هذه المصاحف، أو عن مصاحف أخذت رسومها عن هذه المصاحف الأصلية، ومن هنا فمصدر الرسم بالنسبة لنا هو نقل العلماء من هذه المصاحف المعتمدة.

المصنّفات في علم (رسم المصحف):

صنّف عدد من العلماء كتباً خاصة لوصف طريقة كتابة الكلمات في المصاحف العثمانية، من أبرزها:

١- المُقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤).

٢- مختصر التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود سليمان بن نجاح (ت: ٤٩٦).

أما المنظومات في هذا العلم فمن أشهرها:

١- عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد^(١)، نظم الإمام القاسم بن فيره الشاطبي (ت: ٥٩٠هـ).

٢- مورد الظمان في رسم أحرف القرآن^(٢)، نظم الخراز: محمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٧١٨هـ).

هل الرسم العثماني توقيفي؟

تقدم أن الصحابة رضي الله عنهم كتبوا المصاحف وفق طريقة الكتابة المعهودة في عصرهم، وعليه فإنهم لم يخترعوا رسماً معيناً قصدوا به كتابة القرآن الكريم، لذا لا يصح ما قيل: إنه بتوقيف من النبي ﷺ، ويمكن الاستدلال لذلك بحديث جمع عثمان بن عفان للقرآن وأنه قال للملأ من قريش - وهم الثلاثة الذين مع زيد-: «إن اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش...»^(٣). ولو كان للنبي ﷺ شأن في الرسم لما قال عثمان هذا ولما وافقه الصحابة، مما يوضح أن الرسم كان باجتهاد من الصحابة مطلقاً.

هل تجوز كتابة المصحف بغير الرسم العثماني؟

ذهب علماء السلف إلى وجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف، لأن الرسم العثماني مما أجمع عليه الصحابة، وذلك صيانة للمصحف من أن يتعرض للتغيير بين حين وآخر. ومن هنا حُوِّظ على رسمه الأول، ولم يسر تطوُّر الرسم بعد الصحابة

(١) وهي نظم لكتاب المقنع لأبي عمرو الداني، تقع في (٢٩٨) بيتاً مطلعها:

الحمد لله موصولاً كما أمرا مباركاً طيباً يستنزل الدررا

وقد حظيت بعناية أهل العلم حفظاً وشرحاً، ومن أشهر شروحيها شرح علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) تلميذ الشاطبي المسمى: (الوسيلة إلى كشف العقيلة).

(٢) وهي أرجوزة اعتمد فيها على كتابي أبي عمرو الداني وأبي داود بن نجاح، تقع في (٤٥٤) بيتاً، مطلعها:

الحمد لله العظيم المثنى ومرسل الرسل بأهدى سَنن

وقد ألحق بها أرجوزة أخرى في الضبط، وهي في «١٥٤» بيتاً، وهي من أشهر ما نُظم في ضبط المصحف، كما سيأتي.

(٣) تقدم الحديث بتمامه ص ٦٦.

على رسمهم للقرآن ، قال أبو عمرو الداني: «... سُئِلَ مالك رَحِمَهُ اللهُ هل يُكْتَبُ المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ، فقال: لا ، إلا على الكِتْبَةِ الأولى... ، قال أبو عمرو: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة»^(١).

وُنُقِلَ عن بعض العلماء المتأخرين أنهم لم يوجبوا الالتزام برسم معين في كتابة المصاحف ، وتبعهم بعض المعاصرين^(٢).

لكن يمكن أن يُقال أنه في حالة كتابة مصحف كامل أو جزء منه فيجب الالتزام بالرسم العثماني ، أما في حالة كتابة آيات أو كلمات محدودة في كتب أو صُحُف أو مقالات فالأمر أهْوَن ولا يجب الالتزام بالرسم العثماني^(٣).

وأخيراً نبين أنه ينبغي ألا يُخلط بين مسألتَي القول بوجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصحف ، وبين القول أن الرسم العثماني توقيفي ، «فجمهور علماء الأمة من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين يقولون بوجوب اتباع الرسم والمحافظة عليه في كتابة المصاحف ، أما القول بأن الرسم توقيفي فإن المؤلفين في رسم المصحف من المتقدمين لم يتعرّضوا لهذه المسألة في كتبهم ، وظهرت عند المتأخرين والمعاصرين ، وحملوا رأي الجمهور بوجوب اتباع الرسم على أنه دليل على التوقيف ، وبين الأمرين فرق ، فلم يقصد القائلون بوجوب المحافظة على الرسم العثماني في كتابة المصحف هذا المعنى ، ولم تكن هذه القضية مثار اهتمامهم»^(٤).



(١) المقنع (ص ٩-١٠).

(٢) ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص ١٤٨-١٤٩).

(٣) المحرر في علوم القرآن (ص ٢٢٧-٢٢٨).

(٤) الميسر في علم رسم المصحف وضبطه (ص ٤٦).

خامساً: ضبط المصحف

تقدّم في المبحث السابق أن المصحف الإمام كان خالياً مما سوى رسم الكلمة ، وليس فيه شيء سوى ألفاظ القرآن ، وقد استقرّ أمر المصاحف على ما كان من رسم الصحابة في عهد عثمان رضي الله عنه ، ثم بدأ الخلل يطرأ على لغة العرب بدخول العجم فيها ، وذلك في أواخر جيل الصحابة ، وكثر الخطأ في القراءة والكتابة ، وظهرت الحاجة إلى ضبط اللسان العربي ، باستحداث قواعد تضبط اللغة ، وتصون القراءة عن اللحن ، وعلامات تضبط الخط وتصونه عن التصحيف ، لا سيما في المصحف الشريف .

وأغلب الروايات تشير إلى أن أوّل من ابتكر ذلك هو أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي (ت: ٦٩) ، كما أنه هو أوّل من نقط المصاحف ، ومن ثمّ ظهر علم ضبط المصحف الذي صار علماً قائماً بذاته ، وإليك أهم مبادئ هذا العلم .

مفهوم علم الضبط وأنواعه :

علم الضبط : هو إلحاق علاماتٍ مخصوصةٍ بالحرف لتمييزه عن غيره ، أو للدلالة على حركته ، أو نحو ذلك .

وقد كان هذا العلم ابتداءً يعرف بعلم النّقط والشّكل ، ثم غلب مصطلح الضبط بعد ذلك . واستعمل مصطلح النّقط في نوعين :

الأول : نقط الإعجام : بمعنى وضع نقاط على بعض الحروف لتمييز الحروف المتشابهة منها في الرسم .

الثاني : نقط الإعراب : بمعنى وضع علامات معيّنة على الحرف لضبط حركة إعرابه ، وهو نوعان : النّقط المدور والنقط المستطيل ، وهذا تفصيل كل منها بحسب مراحلها التاريخية : أولاً : النّقط المدور (نقط أبي الأسود الدؤلي (ت: ٦٩)) : سمي باسم واضعه أبي الأسود الدؤلي ، وهو الذي اصطلح عليه باسم (النقط المدور) ، وذكره بعضهم باسم (نقط الإعراب) ، وخلاصة طريقته : هو ضبط أواخر الكلمات بوضع نقطة فوق الحرف علامة لفتحها ، أو نقطة تحته علامة لكسره ، أو نقطة أمامه علامة لضمه ، أما في حال التنوين فتوضع

نقطتان، وهذا النّقط بمداد أحمر ليتميّز عن رسم الحروف الذي كان باللون الأسود^(١).
ثانياً: نقط الإعجام: المراد به تمييز الحروف المتشابهة في الرسم؛ كالباء والتاء
والثاء (ب، ت، ث) حيث استُخدمت النّقط على الحروف أو تحتها للتمييز بينها، ويُذكر
أن هذا النوع من النّقط قد ظهر على يد اثنين من طلاب أبي الأسود الدؤلي (ت: ٦٩)، وهما
نصر بن عاصم الليثي (ت: ٩٠) ويحيى بن يعمر العدواني (ت: قبل ٩٠)، وقد جعل بمداد
أسود لكي لا يلبس بنقط أبي الأسود الدؤلي، ولأن نقط الحرف جزء منه، وليس له صورة
فيُتَوَهَّم بسببها أن ما ليس بقرآن قرأناً^(٢).

ثالثاً: الشكل المستطيل (نقط الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠ تقريباً)): استمر العمل
بنقط أبي الأسود (ت: ٦٩) حتى جاء الخليل بن أحمد فعمد إلى حلّ الإشكال القائم
في النقط المدوّر (الذي يعتمد الدائرة واللون الأحمر)، فهي تتخذ شكلاً واحداً، ولا
تتميّز إلا باختلاف المكان فقط.

وقد أخذ الخليل بن أحمد شكل الحركات - وهي رموز قصيرة - من صور الحروف،
فالألّف تناسبها الفتحة، لكن بدلاً من أن تكون قائمة كالألّف بطحها، ووضعها فوق
الحرف (َ)، وأخذ الضمة من الواو، وجعلها فوق الحرف أيضاً (ُ)، وأخذ
الكسرة من الياء، وجعلها تحت الحرف معقوفة هكذا (ِ)، وجعل رمز الشدة (ّ)
رأس شين من غير نقاط، وأخذه من أول كلمة شديد، وجعل علامة السكون رأس خاء
مهملة، وأخذها من كلمة خفيف ﴿ ٣ ﴾^(٣).

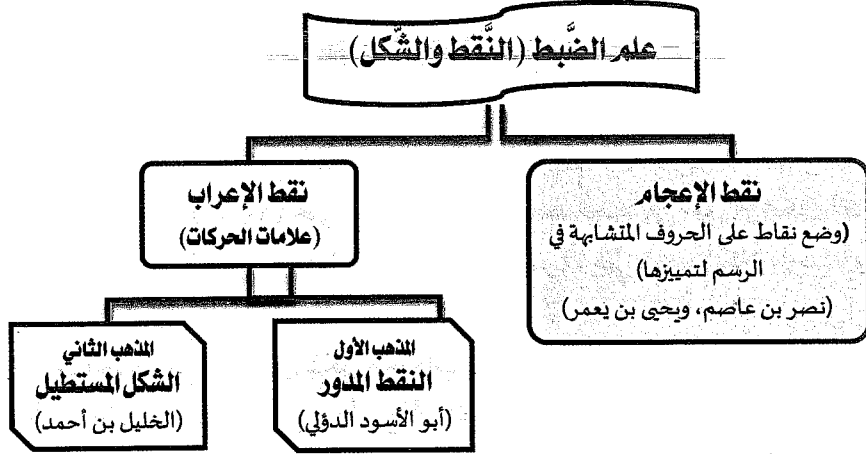
(١) ينظر: المحكم في نقط المصاحف (ص ١١ - ١٢).

(٢) وقد كان في ضبط بعض الحروف اختلاف في كَيْفِيَّة الإعجام، كالقاف التي وُضِع عليها نقطتان عند
المشاركة، وهي المتبّعة عندهم في رسم المصاحف، وُضِع فوقها نقطة واحدة عند المغاربة، بينما الغاء
وضعوا نقطة تحتها، وهي المتبّعة عندهم في رسم مصحف ورش، وهو من أبرز الفروق في علامات ضبط
الإعجام بين المشاركة والمغاربة.

(٣) ثم حصل لشكل الخليل شيءٌ من التعديل، فبدل علامة الكسرة (ِ) صارت توضع كسر بخط ممتد
تحت الحرف (ِ) كما هو متّبع الآن.

كذلك استبدلت علامة الخليل للسكون (رأس الخاء) بدائرة صغيرة (ْ) عند أغلب الكتاب كما هو متّبع
الآن في الكتابة الدارجة، إلا أن العمل في المصحف المصري المطبوع ومصحف المدينة النبوية برواية
حفص على استعمال علامة الخليل وهي رأس الخاء. وينظر: المحكم في علم نقط المصاحف (ص ٧١)،
٧٤، المبسر في علم رسم المصحف وضبطه (ص ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٠٢).

وصار يُسمَّى (نقط الخليل)، أو (الشَّكل)، أو (الشَّكل المستطيل)^(١)، ولما ظهر وانتشر بدأ الناس يتركون نقط أبي الأسود (ت: ٦٩)، ويستعملون نقط الخليل (ت: ١٧٠ تقريباً)؛ لأنه أيسر للقارئ في الإدراك من النقط المدوَّر، وهو الذي استقرَّ العمل به في المصاحف وغيرها إلى اليوم.



مجالات أخرى في ضبط المصحف:

اعتنى علماء الضبط ببعض علامات الشَّكل في المصحف لبعض العلوم المتعلقة بالتلاوة، وذلك لتعين القارئ على التلاوة الصحيحة، من ذلك:

١ - أحكام التجويد: حيث أثبتوا علامات ذات أوضاع معيَّنة تدل على الحكم التجويدي التطبيقي.

مثال ذلك: ما جاء في تقرير اللجنة العلمية الثانية لمصحف المدينة النبوية برواية حفص في اصطلاح ضبطه: «وتعرية الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف التالي تدل على إدغام الأول في الثاني إدغاماً كاملاً بحيث يذهب معه ذات المدغم وصفته، فالتشديد يدل على الإدغام، والتعرية تدل على كماله، نحو: ﴿مِنْ لَيْسَةٍ﴾ ﴿مِنْ رَّيِّكَ﴾ ﴿مِنْ نُورٍ﴾ ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ ﴿أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ﴾ ﴿عَصَاوُكَانُوا﴾ ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ﴾ ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا﴾ وكذا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾. وتعريته مع عدم تشديد التالي تدل على إدغام

(١) ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية (ص ٤٨٩).

الأول في الثاني إدغاماً ناقصاً بحيث يذهب معه ذات المدغم مع بقاء صفته نحو: ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ ﴿مِنْ وَالٍ﴾ ﴿فَرَطْتُمْ﴾ ﴿سَطَتْ﴾ ﴿أَحَطْتُ﴾ ، أو تدل على إخفاء الأول عند الثاني ، فلا هو مظهر حتى يقرعه اللسان ، ولا هو مدغم حتى يُقلب من جنس تاليه ، سواء كان هذا الإخفاء حقيقياً نحو: ﴿مِنْ تَحْتَهَا﴾ أم شفويّاً نحو: ﴿جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ على ما جرى عليه أكثر أهل الأداء من إخفاء الميم عند الباء .

٢- رسم المصحف: كما اعتنوا بضبط الحروف المحذوفة أو الزائدة في الرسم العثماني . مثال ذلك: ما جاء في تقرير اللجنة العلمية الثانية لمصحف المدينة النبوية برواية حفص في اصطلاح ضبطه: «وضع دائرة خالية الوسط هكذا (o) فوق أحد أحرف العلة الثلاثة المزيدة رسماً يدل على زيادة ذلك الحرف ، فلا يُنطق به في الوصل ولا في الوقف نحو: ﴿ءَامَنُوا﴾ ﴿تَلَوُا صُحُفًا﴾ ﴿لَا أَذْبَحْنَهُ﴾ ﴿أَوَّلَيْكَ﴾ ﴿نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿بَيْنَهُمَا بَابٌ﴾ .

٣- أنواع الوقوف ومراتبها: وسيأتي بيانها في مبحث علم الوقف والابتداء .

وغير ذلك من مظاهر العناية الفائقة ، كعلامات السكتات ، وعلامات انتهاء الآية ورقم الآية ، وعلامات الأحزاب والأجزاء . ينظر مثال بيان ذلك: اصطلاح الضبط في آخر مصحف المدينة النبوية برواية حفص .

وفي بعض هذه العلامات خلاف بين مصاحف المشاركة ومصاحف المغاربة . وتفصيل ذلك في الكتب المصنّفة في هذا العلم .

الكتب المصنّفة في علم الضبط:

اعتنى العلماء بعلم الضبط وصنّفوا فيه مصنفات عديدة ، من أهمها: «المحكم في نقط المصاحف» لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤) ، و«أصول الضبط وكيفيته» لتلميذه أبي داود سليمان بن نجاح (ت: ٤٩٦) .

كما اعتنوا بنظم مسائل هذا العلم في منظومات رصينة ، من أشهرها منظومة الخراز (ت: بعد ٧١١) (١) . كل ما سبق يدل على مدى الجهد الذي بذله علماء الأمة لضبط رسم المصحف ، صوتاً من الوقوع في تحريف حروفه واللحن في قراءته .

(١) وأهم شروحها «الطراز في شرح ضبط الخراز» للتنسي (ت: ٨٩٩) .

خلاصة الفصل الثاني (علوم جمع القرآن وتدوينه)

١- جمع القرآن

١/١ جمع القرآن نوعان: الأول: الجمع في الصدور، والمراد به حفظه واستظهاره. وقد كان الرسول ﷺ أول من جمعه وحفظه، وتنافس الصحابة فيه حتى كان معياراً للتفاضل بينهم.

٢/١ النوع الثاني: هو الجمع في السطور، وقد مرّ بثلاث مراحل: في عهد النبي ﷺ، وفي عهد أبي بكر ﷺ، وفي عهد عثمان ﷺ.

٣/١ المقصود بجمع السطور في عهد الرسول ﷺ هو مجرد كتابته وتدوينه، حيث اعتنى النبي ' بكتابة القرآن في المدينة، واتخذ له كُتَّابًا للوحي معروفين.

٤/١ في عهد النبي ﷺ كان القرآن متفرقاً في العُسبِ والرِّقَاع والخِفاف وغيرها من الأدوات، ولم يكن القرآن مجموعاً في مصحفٍ واحدٍ، وكان من أبرز أسباب ذلك أمران: أن الحاجة لم تدعُ إلى ذلك، وأن الوحي لم ينتهِ ويستقرَّ إلى قبيل وفاته ﷺ.

٥/١ المقصود بالجمع في عهد أبي بكر ﷺ جمع المكتوب المتفرق من القرآن في مصحفٍ واحدٍ، وكان سببه الخوف من ذهاب شيء من القرآن باشتداد القتل بالقرءاء في المواطن.

٦/١ كلف أبو بكر ﷺ زيد بن ثابت ﷺ بجمع القرآن، نظرًا لأنه شاب عاقل، غير متهم، من أبرز كُتَّاب الوحي.

٧/١ المقصود بالجمع في عهد عثمان ﷺ نسخُ عدَّة مصاحف من مصحف أبي بكر ﷺ. وكان سببه الخوف من الاختلاف في قراءة القرآن.

٨/١ كلف عثمان ﷺ لجنة لجمع القرآن مُكوَّنة من زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزُّبَيْر، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وقد نسخوا ستَّة مصاحف -على الصحيح- أُرسِلت إلى الأمصار، وألزم عثمان ﷺ الناس بها، وأمر بتحريق ما سواها من المصاحف حسماً للخلاف.

٢- ترتيب سور القرآن وآياته

١/٢ يتألف القرآن من آيات وسُور، والآية: هي قرآن مركَّب من جُمْل ولو تقديرًا، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة، والسورة: قرآن يشتمل على آيات ذوات فاتحة وخاتمة.

٢/٢ لا خلاف أن ترتيب الآيات كان بتوقيف من النبي ﷺ، لكن وقع خلاف قوي في مسألة ترتيب السُور، هل كان بتوقيف من النبي ﷺ أم باجتهاد من الصحابة؟

٣/٢ الراجح القول بأن ترتيب السور كان بتوقيف من النبي ﷺ، لأدلة عديدة من أبرزها:

- ثبوت ذكر سُور القرآن المتوالية حسب ترتيب المصحف في أحاديث وأثار عديدة.

- حديث أوس بن حذيفة الثقفي ؓ في تحزيب القرآن على عهد النبي ﷺ.

- حديث واثلة بن الأسقع ؓ في تقسيم سور القرآن إلى طُول ومِئين ومِثاني والمفصل.

٣- عدد سور القرآن وآياته وتجزئته

١/٣ عدد سُور القرآن (١١٤) سورة بالإجماع، وهي أربعة أقسام: السبع الطُول، والمِئين، والمِثاني، والمفصل.

٢/٣ اختلف في عدد آيات القرآن، لاختلافهم في تحديد رأس بعض الآيات من السُورة الواحدة، مع اتفاقهم على ألفاظها وجُمْل ما نزل من القرآن.

٣/٣ علم عدّ الآي: هو العلم بأعداد آي سور القرآن وما اختلف في عدّه منها، مغزؤًا لناقله. والأصل فيه النُّقل، لأنه توقيف من الرسول ﷺ.

٤/٣ نشأ عدّ الآي مع نزول القرآن الكريم، وقد أشار القرآن إلى هذا العلم، وكذلك السُّنة النبوية وأثار الصحابة.

٥/٣ لمعرفة عدد الآيات فوائد من أبرزها: اتِّباع السُّنة في الوقف على رؤوس الآي، ومعرفة الآيات المحدِّد عددها لنيل الأجر الموعود به في بعض الأحاديث، ومعرفة ما يُبنى على تحديد رؤوس الآي من أحكام القراءات.

٦/٣ ورد اختلاف في عدّ آي أغلب السور، ويوجّه بأن ذلك متلقًى بهذا الاختلاف عن الرسول ﷺ، وهو من باب اختلاف التنوع.

٧/٣ مذاهب علم العدّد المتداولة المعمول بها سِتّة: العدّد المدني الأوّل، والمدني الأخير، والعدّد المكي، والعدّد الشامي، والعدّد البصري، والعدد الكوفي.

٨/٣ السور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها ثلاثة أقسام: ما لم يختلف فيه لا في إجمال ولا في تفصيل (٤٠ سورة)، ما اختلف فيه تفصيلاً لا إجمالاً (٤ سور)، ما اختلف فيه إجمالاً وتفصيلاً (بقية السور ٧٠ سورة).

٩/٣ اتفق على أن عدد آيات القرآن ٦٢٠٠ آية واختلفوا في ما فوق ذلك، فكان مجموع عدد أي القرآن في الأعداد المنقولة المتداولة كالتالي: العدد المدني الأول: ٦٢١٧ آية، العدد المدني الأخير: ٦٢١٤، العدد المكي: ٦٢١٩ آية، العدد الكوفي: ٦٢٣٦ آية، العدد الشامي: ٦٢٢٦ آية. ١٠/٣ مراجع معرفة عدد أي السور هي المصنّفات الخاصة في ذلك، ومن أبرزها كتاب (البيان في عدد أي القرآن) لأبي عمر الداني (ت: ٤٤٤)، ومنظومة (ناظمة الزهر في أعداد آيات السور) للشاطبي (ت: ٥٩٠).

١١/٣ الأصل في تحزيب القرآن وتجزئته حديثان: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يختم القرآن في سبع أو في عشر أو في عشرين أو في شهر. وحديث أوس بن حذيفة الثقفي وفيه أن تحزيب القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتمد التّجزئة الأسبوعية بالسور بحسب ترتيبها في القرآن كالتالي: (٣-٥-٧-٩-١١-١٣ - المفصل).

١٢/٣ أشهر أنواع تجزئة القرآن إلى اليوم هو تقسيمه ثلاثين جزءاً، وهي تجزئة اجتهادية لا تخلو من ملحوظات متعلّقة بالوقف والابتداء.

١٣/٣ من أشهر مصادر معرفة تحزيب القرآن وتجزئته (البيان في عدد أي القرآن) لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤)، و(قنون الأفنان في عيون علوم القرآن)، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧).

٤- رسم المصحف

١/٤ رسم المصحف: هو كتابته بالطريقة التي كتّبت الصحابة رضي الله عنهم المصحف، وعُرف بالرسم العثماني. وعلم رسم المصحف: علمٌ تُعرَف به مخالفة رسم المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي، من حذفٍ وزيادةٍ وبَدَلٍ وفصلٍ ووصلٍ، ونحو ذلك.

٢/٤ الرسم الذي كتب به الصحابة كان مجرداً من أيّة علامة، وهو يتوافق مع الرسم القياسي (الإملائي) كثيراً، لكن يخالفه في جملة ظواهر هي التي نشأ عنها علم رسم المصحف، واستُنبط من خلالها قواعد الرسم العثماني.

٣/٤ قواعد الرسم العثماني ستّة: الحذف، والزيادة، والهَمْز، والبَدَل، والوصل والفصل، وما فيه قراءتان وكُتِب على إحدهما.

٤/٤ الأصل في علم الرّسم هو المصاحف التي أمر بنسخها عثمان رضي الله عنه، وما نُسخ عنها، ثم صار مصدر الرّسم بالنسبة لنا هو نقل العلماء من هذه المصاحف المعتمدة.

٥/٤ من أبرز المصنّفات في علم رسم المصحف: «المقنع» لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤)، و«مختصر التبيين لهجاء التّزِيل» لأبي داود سليمان بن نجاح (ت: ٤٩٦)، وأشهر منظوماته: «عقيلة أتراب القصائد» للشاطبي (ت: ٥٩٠)، و«مورد الظمان» للخزاز (ت: ٧١٨).

٦/٤ الراجح أن الرسم العثماني ليس توقيفيًا، وإنما كتبه الصحابة باجتهادهم وفق طريقة الكتابة المعهودة في عصرهم.

٧/٤ ينبغي الالتزام بالرّسم العثماني عند كتابة المصحف كاملاً أو جزء منه؛ لأنه مما أجمع عليه الصحابة، ولا يلزم عند كتابة آيات أو كلمات محدودة.

٥ - ضبط المصحف

١/٥ علم الضبط هو إلحاق علامات مخصوصة بالحرف لتمييزه عن غيره أو للدلالة على حركته أو نحو ذلك. ويعرف بعلم النّقط والشّكل.

٢/٥ استعمل مصطلح النّقط في نوعين: الأول نقط الإعجام: بمعنى وضع نقاط على بعض الحروف لتمييز الحروف المتشابهة منها في الرّسم. الثاني: نقط الإعراب: بمعنى وضع علامات معينة على الحرف لضبط حركة إعرابه، وهو نوعان: النّقط المدوّر والنّقط المستطيل.

٣/٥ النّقط المدوّر (أو نقط أبي الأسود الدؤلي): هو ضبط أواخر الكلمات بوضع نقاط خُمر للدلالة على الحركات والتّنوين. والشكل المستطيل (نقط الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠ تقريباً))؛ وهو رموز الشّكل المستعملة اليوم في الفتحة والضمة والكسرة والتّنوين والشدة والسكون.

٤/٥ اعتنى علماء الضبط ببعض علامات الشّكل في المصحف لعلوم متعلقة بالتلاوة، وذلك لتعين القارئ على التلاوة الصحيحة، مثل أحكام التجويد، ورسم المصحف، وعلامات الوقوف.

٥/٥ أشهر المصنّفات في علم ضبط المصحف: «المحكم في نقط المصاحف» لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤)، وأشهر منظوماته منظومة الخزاز (ت: بعد ٧١١).

أسئلة تقويمية

- ١- وضح نوعي جمع القرآن والمراد بكل منهما؟
- ٢- اذكر حديثاً في فضل حفظ القرآن؟
- ٣- عدد سبعة من الصحابة ممن حفظ القرآن.
- ٤- مرّ تدوين القرآن بثلاث مراحل، اذكرها.
- ٥- صف مرحلة جمع القرآن في عهد النبي ﷺ.
- ٦- ما أبرز أسباب عدم جمع القرآن في مصحف واحد في عهد النبي ﷺ؟
- ٧- هل كتب القرآن في عهد النبي ﷺ؟ وضح ذلك.
- ٨- بين المقصود بالجمع في عهد أبي بكر ﷺ؟ وما سببه؟
- ٩- من المكلف بالجمع في عهد أبي بكر ﷺ؟ وما سبب ذلك؟
- ١٠- بين المقصود بالجمع في عهد عثمان ﷺ؟ وما سببه؟
- ١١- من المكلف بالجمع في عهد عثمان ﷺ؟
- ١٢- في الجمع العثماني وضح المنهج المتبع في الرسم عند الاختلاف.
- ١٣- كم عدد المصاحف المنسوخة في الجمع العثماني؟ وأين أرسلت؟
- ١٤- وازن بين الجمع البكري والجمع العثماني من حيث: المقصود بالجمع - سبب الجمع - المكلف بالجمع - عدد المصاحف - الإلزام بما في المصحف.
- ١٥- ما الذي وقع الإجماع عليه مع التوضيح: ترتيب السور، ترتيب الآيات، عدد السور، عدد الآيات؟
- ١٦- ما الأقوال في مسألة ترتيب السور؟ وما الذي يترجّح؟ استدل لذلك.
- ١٧- حديث أوس الثقفي ﷺ في قصة قدوم وفد ثقيف فيه دلالة على مسألتين من علوم القرآن، وضحهما مع بيان وجه الدلالة.
- ١٨- ما عدد سور القرآن؟ وما أقسامها؟
- ١٩- عرف علم عد الآي.

- ٢٠- تحدّث عن نشأة علم عد الآي.
- ٢١- ما مصدر علم عد الآي والأصل فيه؟
- ٢٢- كيف توجّه الاختلاف الحاصل في عدّ آي أغلب السور؟
- ٢٣- عدّد ثلاثة من فوائد معرفة علم عد الآي.
- ٢٤- ما هي مذاهب علم العدد المعمول بها؟ وما مجموع عدد آيات القرآن في كل منها؟
- ٢٥- اذكر أقسام السور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها.
- ٢٦- عدّد ثلاثة من مراجع معرفة عدد آي السور.
- ٢٧- ما معنى تحزيب القرآن؟ وما أصله؟
- ٢٨- كيف كان تحزيب القرآن في عهد النبي ﷺ؟
- ٢٩- كيف كان تحزيب القرآن وتجزئته بعد عصر الصحابة؟ وما أشهر تلك التقسيمات؟
- ٣٠- اذكر بعض مراجع معرفة تحزيب القرآن وتجزئته.
- ٣١- ما المراد برسم المصحف؟ وما تعريف علم رسم المصحف؟
- ٣٢- وضح أبرز معالم الرسم العثماني.
- ٣٣- ما المصدر الأصل للرسم العثماني؟ وكيف وصلنا؟
- ٣٤- بيّن قواعد الرسم العثماني، مع التمثيل.
- ٣٥- اذكر أبرز الكتب والمنظومات في علم رسم المصحف.
- ٣٦- هل الرسم العثماني توقيفي؟ ناقش المسألة.
- ٣٧- هل تجوز كتابة المصحف بغير الرسم العثماني؟ علّل ودلّل.
- ٣٨- اشرح المراد بعلم الضبط؟
- ٣٩- ما أنواع النقط؟
- ٤٠- بيّن معنى النقط المدوّر، ومن وضعه.
- ٤١- بيّن معنى الشكل المستطيل، ومن وضعه.
- ٤٢- عدّد أربعة من مجالات ضبط المصحف.
- ٤٣- ما أشهر المصنفات في علم الضبط؟ وما أشهر منظوماته؟

أسئلة إثرائية

- ١- كان للنبي ﷺ في المدينة كُتَّابٌ معروفون يدعُوهم لكتابة ما ينزل من القرآن، راجع كتب السيرة واستخرج ١٠ كُتَّابٍ منهم. هل كان ابن مسعود ؓ من ضمنهم؟
 - ٢- مما ذكر في الجمع البكري أن سور القرآن لم تكن مرتَّبةً على الترتيب الذي استقرَّ عليه بعد ذلك. ناقش هذه المسألة في ضوء ما درست.
 - ٣- مما ذكر في الجمع العثماني أنه كُتِبَ على حرف واحد من الأحرف السبعة وألغى ما سواه. ناقش هذه المسألة في ضوء ما درست.
 - ٤- أرسل عثمان ؓ مع كل مصحف من المصاحف المرسلة إلى الأمصار الخمسة مقرأً. وضح سبب ذلك، مع تعداد هؤلاء القراء.
 - ٥- في حديث ابن عباس مع عثمان ؓ في ترتيب سورتي الأنفال والتوبة دلالة لِكِلَا القولين في مسألة ترتيب السور. وضح ذلك.
 - ٦- اذكر خمسة أحاديث رُتِّبَ فيها أجرٌ معيَّن على عددٍ محدَّد من الآيات.
 - ٧- خلا رسم مصاحف الصحابة من النِّقاط وعلامات الضبط وغيرها ولم يُشكِّل ذلك عليهم. كيف كان ذلك؟
 - ٨- ذهب قوم إلى أن رسم القرآن مُعْجِزٌ، وله سِرٌّ لا نعلمه. ناقش هذا الرأي، مبينًا متى ظهر وأبرز من تبناه.
 - ٩- استخرج من تقرير لجنة مراجعة مصحف المدينة النبوية برواية حفص عن عاصم في آخره ما يلي:
- المراجع في: عد الآي، تحزيب المصحف، رسم المصحف، ضبط المصحف.
 - علامات ضبط: الإدغام بنوعيه الكامل والناقص، القلب، المدود، المزيد من الحروف، المحذوف من الحروف، رؤوس الآيات.

الفصل الثالث

علوم خصائص القرآن وحقوقه

أولاً: أسماء القرآن وأسماء سُورِهِ .

ثانياً: فضائل القرآن .

ثالثاً: إعجاز القرآن .

رابعاً: تدبُّر القرآن .

خامساً: الانتصار للقرآن .

أهداف الفصل

يَتَوَقَّع من الدارس في نهاية دراسته لهذا الفصل أن يكون قادراً على أن:

- (١) يذكر أبرز أسماء القرآن ويبين مصدريها .
- (٢) يوضح فضائل القرآن وسُورِهِ ومصدرها .
- (٣) يشرح مفهوم إعجاز القرآن ويبين أبرز وجوهه .
- (٤) يُبين كيفية تدبُّر القرآن .
- (٥) يشرح كيفية الانتصار للقرآن .

خصائص القرآن هي ما يتميَّز وينفرد به القرآن الكريم عن غيره من الكلام، حتى عن كلام الله تعالى في كتبه السابقة، والأحاديث القدسيّة.. وقد حصَّ الله ﷻ كتابه الكريم بخصائص عديدة دون سائر كتبه المنزلة، ففضله بكونه مُعجزةً باقيةً، وتعهّد بحفظه، وجعله نوراً وشفاءً وشفيعاً لأصحابه. وفي هذا الفصل سنعرض لأبرز خصائصه، وهي أسماؤه وأسماء سوره، وفضائله، وإعجازه.

ولِعِظَم منزلة هذا الكتاب الذي أنزله الله ﷻ هدىً للنَّاس؛ فقد استلزم حُقوقاً له على المسلمين، من ذلك: تلاوته حقَّ تلاوته، وتفسيره ومعرفة معانيه، وتدبره والعمل بما فيه، وتعظيمه والدِّفاع عنه، وفي آخر هذا الفصل نستعرض الحَقَّين الأخيرين من هذه الحقوق، وهما تدبُّر القرآن، والانتصار للقرآن.

بينما سنُرجي الحديث عن علوم قراءة القرآن وتفسيره إلى الفصول التالية نظراً لِعِظَم أهميّتها، وكثرة مسائلها، وسعة مباحثها. وبالله التوفيق.



أولاً: أسماء القرآن وأسماء سورة

مما هو معلوم أن كثرة الأسماء تدلُّ على شرف المسمَّى، ولا شك في عِظَم منزلة القرآن وشرفه، ومن هنا فقد ذُكر للقرآن أسماء كثيرة، اعتنى العلماء ببيانها وشرحها، كذلك ذُكر لكثير من سور القرآن عدَّة أسماء، وفي هذا المبحث سنتناول ما يتعلَّق بذلك من خلال مطلبين اثنين: أسماء القرآن وأسماء سورة.

أ) أسماء القرآن

مصدر أسماء القرآن: أسماء القرآن توقيفية، لذا اجتهد أهل العلم بجمعها واستخراجها من الكتاب والسنة.

عدد أسماء القرآن: اختلف في عدد أسماء القرآن وتحديدتها، فنقل الزركشي عن شيدلة (أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك) (ت: ٤٩٤) ٥٥ اسماً^(١)، وذكر ابن تيمية (ت: ٧٢٨) ٤٧ اسماً من القرآن و٦ من السنة^(٢)، وأورد الفيروزابادي (ت: ٨١٧) ٩١ اسماً من القرآن و١٦ من السنة^(٣). ومن المعاصرين أَلَف الشيخ صالح البليهي (ت: ١٤١٠) كتاب «الهدى والبيان في أسماء القرآن» ذكر فيه ٤٦ اسماً^(٤).

وسبب هذا التفاوت في عدد أسماء القرآن هو اختلافهم في التفريق بين صفات القرآن وأسمائه، فكثير مما ذكره هؤلاء يرى آخرون أنها أوصاف للقرآن وليست أسماءً، لذا فقد ذهب الإمام الطبري (ت: ٣١٠) والماوردي (ت: ٤٥٠) وابن جزي (ت: ٧٤١) وغيرهم إلى حصر أسماء القرآن الكريم في أربعة أسماء^(٥). قال ابن جزي بعد ذكرها: «وسائر ما يُسمَّى

(١) البرهان (١/ ٢٧٣)، وأورد أن الحرالي (ت: ٦٣٨) أنهى أساميهِ إلى ثَيْف وتسعين اسماً، دون أن يذكرها.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢-١).

(٣) بصائر ذوي التمييز (١/ ٨٨-٩٦).

(٤) ينظر: دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص ٢٦)، علوم القرآن بين البرهان والإتقان

(ص ٢٢٣)، أسماء القرن وأسماء سورة (ص ٢٢-٣٥).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٨٩)، تفسير الماوردي (١/ ٢٣)، تفسير ابن جزي (١/ ١٣).

صفات لا أسماء: كوصفه بالعظيم، والكريم، والمتين، والعزیز، والمجید، وغير ذلك^(١).
وسنقتصر على ذكر هذه الأسماء المتفق عليها مع بيان وجه التسمية والتمثيل لها
بإيجاز في ما يأتي:

١- القرآن: تقدّم في مدخل الكتاب أنه لغة مصدر قرأ بمعنى تلا، وقد جاء ذكره
في مواضع عديدة من القرآن تدل على العَلَمِيَّة في سياقات مختلفة، منها: قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٢- الكتاب: وهو لغة مصدر كتب، وأصل معناه: جَمَعَ^(٢)، وسُمِّي القرآن الكتاب
لأنه جمع أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه^(٣)، ومن أمثلة وروده في
القرآن دالاً على العَلَمِيَّة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ٢]. ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ﴾ [يوسف: ١]،
﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الدخان: ٢].

وهذان الاسمان من أشهر أسماء القرآن وأكثرها وروداً فيه، وفي بيان وجه التسمية
بهما معاً يقول الدكتور محمد عبد الله دراز رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٣٧٧هـ): «رُوعي في تسميته قرآناً
كونه متلوّاً بالألسن، كما رُوعي في تسميته كتاباً كونه مدوّنّاً بالأقلام، فكلتا التسميتين
من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه. وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من
حقّه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور
والسطور جميعاً»^(٤).

(١) تفسير ابن جزى (١/ ١٣).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ١٥٨).

(٣) البرهان (١/ ١٨١). الإتيان (٢/ ٣٣٩).

(٤) النبأ العظيم (ص ٤١-٤٢). وينظر: تفسير ابن جزى (١/ ١٣).

١- الفرقان: وهو مصدر فَرَّقَ، سُمِّي القرآن بذلك لأنه فَرَّقَ بين الحق والباطل^(١)، وقد ورد في موضعين من القرآن للدلالة على اسمه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٤]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

٢- الذكر: وهو مصدر ذكر، سُمِّي القرآن بذلك «لما فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية»^(٢). وقد ورد في مواضع معدودة في القرآن للدلالة على العلميّة، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ [يس: ١١]، ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَنَنْصِيعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١].
تسمية المصحف:

أما تسمية المصحف فنسبة إلى الصُحف التي يُكتب فيها القرآن الكريم الذي هو كلام الله المنزل على النبي محمد ﷺ.

وعليه فالفرق بين القرآن والمصحف: أن القرآن: كلام الله تعالى، والمصحف: هو الصُحف التي كُتِبَ فيها كلام الله تعالى.

لكن ورد في آثار الصحابة ما يُشير إلى صحّة إطلاق أحدهما وإرادة الآخر^(٣).

(ب) أسماء السور

المقصود من التسمية تمييز المسمّى عما يشابهه، لذا تفرّدت كل سورة باسم أو أكثر يميّزها عن بقية السور، كما قد يكون فيه ملّح عن موضوع السورة.

هل تسمية السور توقيفية؟

قال السيوطي (ت ٩١١): «... قد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٨٢ - ١٨٤)، تفسير ابن جزي (١/ ١٣)، البرهان (١/ ١٨٠)، الإتيان (٢/ ٣٤٢).

(٢) البرهان (١/ ٢٧٩)، وينظر: تفسير ابن جزي (١/ ١٣)، الإتيان (٢/ ٣٤٢).

(٣) كحديث ابن عمر رضيهما الله عنهما من رواية الإمام أحمد في المسند (٢/ ٧، ٥٥): «سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو». وهو عند البخاري (برقم ٢٩٩٠) وغيره بلفظ: «أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو». وقد عنوان البخاري للباب بـ «باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو». وينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٢١٩ - ٢٢٠).

والآثار...»^(١)، ولكن لا يمنع ذلك أن تكون لبعض السور أسماء أخرى اجتهادية^(٢)، لورود ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم كما سيأتي عن ابن عباس في الفقرة التالية، ولأنه «لم يرذ النهي عن تسمية السور بأسماء تدلُّ عليها، وعلى هذا مضى السلف والخلف، حتى صار ما نرى من تسمية السورة بحكاية أولها»^(٣).
تعدد أسماء السور:

يمكننا تقسيم السور باعتبار تعدد أسمائها إلى قسمين:
الأول: ما لها اسم واحد، كسورة هود، والحجرات، والتجم، والقارة.
الثاني: ما لها أكثر من اسم.
وهي إما أن تكون مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو مما أخذ عن الصحابة.
فمن الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم تسمية الفاتحة، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ»^(٤). وهي أكثر سور القرآن أسماء^(٥).
ومن الوارد عن الصحابة، ما جاء عن سعيد بن جبير أنه قال: «قُلْتُ لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: آتَوْبَةُ؟ قال: بل هي (الفاضحة) ما زالت تنزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا أن لا يبقى منهم أحد إلا ذُكِرَ فيها. قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر. قال: قلت: فالحشر؟ قال: نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ»^(٦).

(١) الإتيان (٢/٣٤٧).

(٢) وقد أوضح السيوطي ذلك في كتابه التجميع في علم التفسير (ص ٣٦٩) فقال عن تسمية السور: «ظاهره أنه لا يجوز إلا بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد الاسم التي تُذكر به وتُشتهر، وإلا فقد سُمِّي جماعة من الصحابة والتابعين سوراً بأسماء من عندهم، كما سُمِّي حذيفة التوبة بالفاضحة وسورة العذاب...». وينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها (ص ٧٧).

(٣) المحرر في علوم القرآن (ص ١٧٠)، بتصرف يسير.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة (٨١/٦) (٤٧٠٤). وفي رواية أبي داود في سننه (٧١/٢) (١٤٥٧): «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي».

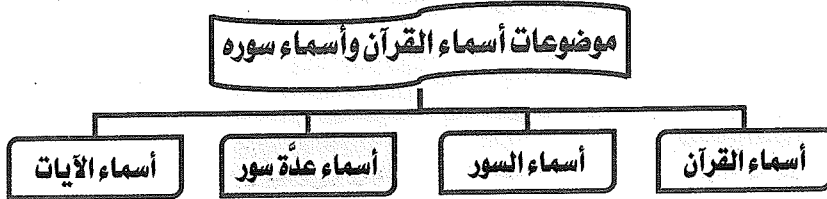
(٥) أورد السيوطي لها في الإتيان (٢/٣٤٩-٣٥٥) أكثر من ٢٠ اسماً مع تعليلها.

(٦) رواه البخاري (٤٠٢٩)، ومسلم (٣٠٣١)، واللفظ له. وفي رواية عند البخاري: «قُلْتُ لابن عباس رضي الله عنه: سورة الحشر، قال: قُلْتُ: سورة النَّضِيرِ».

تسمية سور عدّة، وتسمية بعض الآيات:

كما جاءت تسمية السورة بأكثر من اسم كذلك جاءت تسمية أكثر من سورة باسم واحد، من ذلك: تسمية سورتي البقرة وآل عمران بالزهرأوين^(١)، وتسمية سورتي الفلق والناس بالمعوذتين^(٢).

ومن أجمع ما ورد في تقسيم سور القرآن وتسمية كل قسم منها؛ حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّعِ الطُّوْلُ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِثْنِ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي، وَفُضِّلَتْ بِالْمَفْصَلِ»^(٣).
كذلك ورد تسمية بعض الآيات، ومن أشهرها آية الكرسي^(٤)، وآية الدين^(٥).



أسباب تسميات السور:

قال الزركشي (ت: ٧٩٤): «ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سُمِّيَتْ به،

(١) كما في قوله ﷺ قال: «... اقرؤوا الزهرأوين: البقرة وسورة آل عمران ...» الحديث. رواه مسلم (٥٣٣/١) (٨٠٤) من حديث أبي أمامة.

(٢) كما في قوله ﷺ: «أنزل - أو أنزلت - علي آيات لم يُر مثلهن قط، المعوذتين». رواه مسلم (٨١٤) من حديث عقبة بن عامر.

(٣) تقدم تخريجه ص ٧٢، ٧٥ مع بيان معنى كل قسم وسوره.

(٤) كما في قوله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دُبُر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» من حديث أبي أمامة. أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٨٤٨)، والطبراني (١١٤/٨) (٧٥٣٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٢٤).

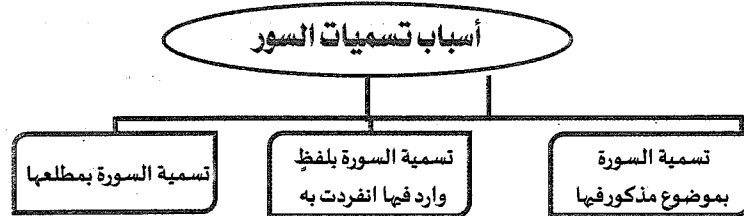
(٥) ينظر مُسَرَّد مُعْجَمِيَّ لتسميات آيات عديدة في كتاب «أسماء القرآن الكريم وأسماء سورته وآياته» (ص ١٥٥-٣٩٠).

ولا شك أن العرب تُراعي في الكثير من المسمّيات أخذ أسمائها من نادرٍ أو مستغريبٍ يكون في الشيء من خَلْقٍ أو صِفَةٍ تخصّه...، ويُسمُّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها. وعلى ذلك جرّت أسماء سُور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريئة ذكر قصّة البقرة المذكورة فيها وعَجيب الحكمة فيها...^(١). ويمكن أن نردّ أسباب تسميات السُّور إلى ثلاثة أسباب^(٢):

١- تسمية السورة بموضوع أو قصّة بارزة مذكورة في السورة، مثل سورة البقرة لورود قصة البقرة فيها- كما تقدّم عن الزركشي-، وسورة الحج لورود موضوع الحج وبعض أحكامه فيها، ويندرج في ذلك السُّور المسمّاة بأسماء أنبياء أو أشخاص أو أمم، كسورة نوح وسورة هود وسورة يوسف وسورة يونس، وسورة مريم، وسورة لقمان، وسورة سبأ.

٢- تسمية السورة بلفظ وارد فيها انفردت به، كسورة الزمر، والشورى، والجنّة، والأحقاف، والحجرات، والتغابن، والفيل، والماعون.

٣- تسمية السورة بمطلعيها، وذلك إما حكاية بنصّ المطلع، مثل: سورة برآة، طه، يس، ص، الرّحمن، تبرّك الذي بيده الملك^(٣)، قل هو الله أحد. أو اشتقاقاً من لفظ مطلع السورة؛ مثل: سورة الإسراء، التكويد، الانفطار، الزلزلة.



(١) البرهان (١/ ٢٧٠).

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ١٧٠-١٧١).

(٣) كما في قوله النبي ﷺ: «إِنَّ سُوْرَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ «تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ»». أخرجه الإمام أحمد (٣٢١/٢)، والترمذي (٢٨٩١) وحسنه.

مصادر ومراجع معرفة أسماء السور:

يمكن الرجوع في معرفة أسماء السور إلى المصادر الآتية:

- ١- الأحاديث النبوية التي ترد فيها أسماء للسور، خصوصاً ما ورد في فضائل السور.
- ٢- الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، خصوصاً ما ورد في ذكر السور المكيّة والمدنيّة.
- ٣- كتب الأحاديث المسندة، كالكتب الستّة، حيث يرّد فيها تسميات عديدة للسور.
- ٤- تفاسير العلماء، حيث يُقدّمون السورة بذكر أسمائها، وتميّزت بعض التفاسير باستقصاء أسماء السور المتعدّدة مع تعليلها، كالتحرير والتنوير لابن عاشور (ت: ١٣٩٣).
- ٥- كتب علوم القرآن الجامعة، ومن أبرزها: جمال القراء لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣)^(١)، الإتيان لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١)^(٢).
- ٦- كتب خاصة في الموضوع: كـ بعض الرسائل العلمية المعاصرة، مثل: «أسماء سور القرآن وفضائلها» للدكتورة منيرة الدوسري، «أسماء القرآن الكريم وأسماء سورة وآياته» للدكتور آدم بمبا.
- ونختتم ببيان أن أسماء السور لم تكن تُكتب في المصاحف في صدر الإسلام أخذاً بمبدأ تجريد المصحف عما سواه، وإنما كُتبت بعد ذلك^(٣).



(١) حيث عقد مبحثاً عن تعدّد أسماء السور وعن ألقاب سور القرآن (١/ ١٨٢ - ٢٠٢).

(٢) حيث عقد مبحثاً عنون له: «النوع السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء سورة»، وجعله على قسمين: الأول عن أسماء القرآن ومسائلها (٢/ ٣٣٦)، والثاني في أسماء السور (٢/ ٣٤٦-٣٦٨)، تحدث فيه عن معنى السورة ومصدر تسميات السور، وتعدّد أسماء السور، ثم سرد ما وقف عليه من أسماء للسور المتعدّدة الأسماء مع بيان علل التسميات.

(٣) ينظر: محاضرات في علوم القرآن (ص ٨٧).

ثانياً: فضائل القرآن

للقرآن الكريم منزلة كبيرة ومكانة عظيمة، فهو خاتم الكتب المنزلة وأفضلها، جعله الله مباركاً ونوراً وهدى للناس، وآية باقية، ومعجزة خالدة، وقد أظهر الله فيه فضائل عظيمة، ومزايا جلييلة، نابعة من عظم مكانته، وسمو منزلته، اعتنى أهل العلم ببيانها والتنقيب عنها والتصنيف فيها، فظهر لدينا علم جليل من علوم القرآن هو علم فضائل القرآن. مفهوم فضائل القرآن:

هي ما ورد من مزايا للقرآن كله أو بعضه، تُبين شرفه، وتُظهر منافعه في الدنيا والآخرة. وهذا يشمل ما ورد من فضائل عامة للقرآن أو لبعض سورته أو لبعض آياته. أهمية معرفة فضائل القرآن وثمرتها:

- ١- تعزيز مكانة القرآن في النفس، وزيادة تعظيم قدره.
- ٢- الترغيب في تعلم القرآن وتعليمه وتدبره، ومعرفة معانيه، والعمل به، والاستكثار من تلاوته وحفظه والاستماع إليه.
- ٣- الاستفادة منها في الدعوة إلى الله.

مصدر فضائل القرآن:

ذكر فضائل القرآن أمر توقيفي نقلي، لا مجال للاجتهاد فيه، لذا فإن مصدرها الأصل هو الكتاب والسنة^(١).

موضوعات علم فضائل القرآن ومسائله:

اعتنى أهل العلم بجمع فضائل القرآن من خلال موضوعات ومسائل متعددة، ويمكننا إجمالها في ثلاثة أقسام، إليك بيانها مع نماذج وأمثلة لها:

(١) أما ما يرد من بعض الصحابة من فضائل للقرآن أو بعض سورته وآياته فله حكم الرفع إن صح؛ لأنه مما لا يُقال بالرأي، والله أعلم. وينظر: النُّكْتُ على ابن الصلاح لابن حجر (٢/٥٣١).

١ - فضائل القرآن العامة:

جاء في الكتاب والسنة أدلة كثيرة تدل على شرف القرآن وكرام صفاته وعظم منزلته عموماً، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

ومن السنة قول الرسول ﷺ: «... إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ»^(١)، وقوله: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)، وقوله: «أُعْطِيَ مكان التوراة السبع الطول، وأُعْطِيَ مكان الزبور المئين، وأُعْطِيَ مكان الإنجيل المئاني، وفُضِّلَتْ بالمفصل»^(٣).

٢ - فضائل أهل القرآن وحملته:

وفيه ذكر ما لحفاظه وقارئيه ومعلميه ومتعلميه ومستمعيه والعاملين به من المكانة العالية والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة.

من أمثله في القرآن: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَكُونَ ۖ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]^(٤).

ومن السنة: قول الرسول ﷺ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»^(٥). وقوله: «إِنَّ

(١) أخرجه مسلم (٥٩٢/٢) (٨٦٧) من حديث جابر ؓ.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٢/٦) (٤٩٨١)، ومسلم (١٣٤/١) (١٥٢) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) من حديث واثلة بن الأسقع ؓ، وقد تقدم تخريجه ص ٧٢.

(٤) وكان مطرف بن عبد الله (ت: ٩) روى عنه يقول: هذه آية القراء. ينظر: تفسير الطبري (٣٦٥/١٩)، تفسير ابن كثير (٤٥٤/٦).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١٢٢٧٩) من حديث أنس ؓ. وصحح المنذري إسناده في الترغيب والترهيب (٢٢٠٩)، وكذا الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٣٢).

الله يَرْفَعُ بِهِذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»^(١).

وقوله: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»^(٢). وقوله: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الْمَ﴾ حَرْفٌ؛ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(٣).

وقوله: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»^(٤). وقوله: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٥). وقوله: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي مَنْ عِنْدَهُ»^(٦). والآثار في هذا الموضوع كثيرة^(٧).

٣- فضائل سُورِ الْقُرْآنِ وآياته:

ورد عن النبي ﷺ ما يدلُّ على فضائل خاصة لبعض السُّورِ أو الآيات، وكان منهج المصنِّفين في ذلك إيراد أقوال للرسول ﷺ في السور أو الآيات التي تصرَّح بفضلها، أو مواقف معينة يلمح منها بعض ذلك، من أهمها:

- بيان الرسول ﷺ لمنزلتها: كقوله عن سورة الفاتحة: «أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ»^(٨)،

(١) أخرجه مسلم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب ؓ.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي ؓ.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٧٥ / ٥) (٢٩١٠) - من حديث ابن مسعود ؓ - وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٢٧).

(٤) تقدم تخريجه وبيان ألفاظه ص ٥٩.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١٩٢ / ٦) (٥٠٢٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان ؓ، قال الراوي: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان، حتى كان الحجاج قال: وذاك الذي أفعذني مقعدي هذا.

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٧) ينظر مبحثاً موسعاً في كتاب «حلية أهل القرآن» الصادر عن مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الفصل الأول: فضائل أهل القرآن، وفيه ثلاثون حديثاً من أصح الأحاديث الواردة في فضائل أهل القرآن مع شرحها (ص ١٤-٧١).

(٨) أخرجه البخاري في (٨١ / ٦) (٤٧٠٣) من حديث أبي سعيد بن المعلى.

وقوله عن المعوذتين: «أنزل - أو أنزلت - علي آيات لم ير مثلهن قط: المعوذتين»^(١).
ووصفه لآية الكرسي بأنها أعظم آية في كتاب الله^(٢).

- ذكر الرسول ﷺ لأجر أو دفع شرّ دنيوي أو أخروي يترتب على قراءتها: كقوله: «يَعْبُجُزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»^(٣)، وقوله: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(٤)، وقوله: «مَنْ قَرَأَ بِالْأَيْتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفْتَاهُ»^(٥).

- قصد الرسول ﷺ قراءتها في وقت معين: مثل ما ورد من قراءته سورتي الكافرون والإخلاص في سنة الفجر^(٦)، أو ركعتي الطواف^(٧)، أو في الركعتين الثانية والثالثة من الوتر، وبسورة الأعلى في الركعة الأولى^(٨).

- بيان أثرها الحسي والمعنوي على المسلم^(٩)، مثل ما ورد في الرقية بسورة الفاتحة^(١٠)،

(١) أخرجه مسلم (٨١٤) من حديث عقبة بن عامر ؓ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٥٦/١) (٨١٠) من حديث أبي بن كعب ؓ.

(٣) أخرجه مسلم (٥٥٦/١) (٨١١) من حديث أبي الدرداء ؓ.

(٤) أخرجه مسلم (٥٣٩/١) (٧٨٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٥) أخرجه البخاري (١٨٨/٦) (٥٠٠٩)، ومسلم (٥٥٤/١) (٨٠٧) من حديث أبي مسعود الأنصاري ؓ.

(٦) أخرجه مسلم (٧٢٦) من حديث أبي هريرة ؓ.

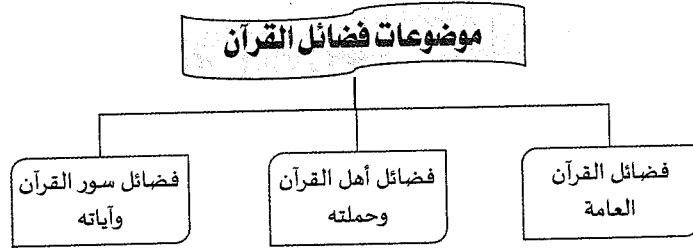
(٧) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر ؓ.

(٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٢/٢٤) (١٥٣٥٤) من حديث ابن أبيزى، وحسن ابن حجر إسناده في التلخيص الحبير (١٩/٢). كما أخرجه الترمذي (٤٦٢) عن ابن عباس، وابن ماجه (١١٧٣) عن عائشة ؓ. وصححه ابن حبان (٢٤٤٨) والحاكم (٣٠٥/١) وسكت عنه الذهبي.

(٩) ما يتعلق ببيان تأثير القرآن من جلب المنافع أو دفع المضار والرقية به وبسوره وآياته = اعتنى به أهل العلم وأفردوه كنوع من أنواع علوم القرآن عُرف بـ«خواص القرآن»، كالزركشي في البرهان (٤٣٤/١) في النوع السابع والعشرين، والسيوطي في الإتيان (٢١٧٦/٦) في النوع الخامس والسبعين، كذلك أفرده البعض بتأليف مستقل، لكن وقع في بعضها نوع من الخرافة والشطح والإلغاز. ينظر: علوم القرآن بين البرهان والإتيان (ص ٢٧٤-٢٧٧). وكتاب «خواص القرآن: دراسة نظرية تطبيقية» د. تركي الهويمل.

(١٠) أخرجه البخاري (٥٠١٤) عن أبي سعيد الخدري ؓ وفيه أن سيد حي من أحياء العرب لدغ فراقه أحد الصحابة بالفاتحة على جعل قطع من غنم، فقام كأنما نشط من عقال، فأوقوهم جعلهم، فترددوا في قسمته بينهم حتى يأتوا النبي ﷺ، وينظروا ما يأمرهم، فقدموا عليه فقال: «وما يُدريك أنها رقية؟» ثم قال: «قد أصبتم، اقسموها، واضربوا لي معكم سهماً»، فضحك رسول الله ﷺ.

وما جاء أنه ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينتفث^(١).
وفضائل سور القرآن وآياته من أكبر موضوعات فضائل القرآن وأوسع أقسامه^(٢)،
والآثار فيها كثيرة، ويلزم التنبيه فيها على أمرين:
الأول: أن سور القرآن التي ثبت فيها فضائل أقل من السور التي لم يثبت فيها فضائل^(٣).
الثاني: أنه كثّر الوضع في فضائل السور - فضائل القرآن عموماً -، ومن أشهر تلك
الأحاديث الموضوعة الحديث الطويل المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً في فضائل
سور القرآن سورة سورة^(٤)، فينبغي التنبيه لمثل تلك الأحاديث والتحذير منها ومن نشرها.



تفاضل سور القرآن وآياته^(٥):

وردت أحاديث عديدة في فضائل عموم القرآن مما دلّ على أن كلّ القرآن فاضل،

- (١) أخرجه البخاري (١٩٠/٦) (٥٠١٦)، ومسلم (١٧٢٣/٤) (٢١٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.
- (٢) ينظر: فضل القرآن الكريم: دراسة موضوعية، د. عبد السلام الجار الله (ص ٥٩).
- (٣) بل نبّه بعض أهل العلم على أنها قليلة جداً ومحصورة معدودة، بلغت خمساً عند ابن العربي، وعشراً عند ابن القيم في كتابه المنار المنيف (ص ١١٣-١١٤)، وقريباً من عشرين عند السيوطي في الإتيقان (٢١١١/٦-٢١٣٧). وينظر: فضائل القرآن: دراسة موضوعية (ص ١٩٩-٢٠١).
- (٤) وقد ذكر أن الذي وضعه أحد الزهاد الذي أراد الترغيب في القرآن فاعتمد الكذب في هذا الباب، والعياذ بالله. كما تساهل بعض المفسرين في إيداعه تفاسيرهم بذكر ما يتعلق منه بكل سورة في مقدمتها أو خاتماتها، كالثعلبي والواحدي، والزمخشري والبيضاوي. ينظر: الإتيقان (٢١٣٧/٦-٢١٣٨)، وبحث «حديث أبي ابن كعب رضي الله عنه في فضائل السور وموقف المفسرين منه»، د. ناصر المنيع، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ٦٤، (ص ٨٥-١٤٩).
- (٥) أفرد المسألة الزركشي في البرهان (٤٣٨/١) في «النوع الثامن والعشرون: هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟»، والسيوطي في الإتيقان (٢١٣٩/٦) في «النوع الثالث والسبعون: في أفضل القرآن وأفاضله».

كما وردت أحاديث خصّت بعض الآيات والسور بمزيد فضل، وأُعطي على قراءتها مزيد أجر، وهذا يفيد إثبات التفاضل بين سور القرآن وآياته، لأنّ زيادة الأجر دليل على زيادة الفضل، وجمهور أهل العلم على هذا القول، قال ابن تيمية رحمته الله (ت: ٧٢٨): «والقول بأن كلام الله بعضه أفضل من بعض هو القول المأثور عن السلف، وهو الذي عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم»^(١). واستدلوا لذلك بآيات من القرآن كقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، كما استدلوا بظاهر ما ورد من أحاديث في تفضيل بعض السور والآيات، نحو ما تقدّم من أن سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن، وأن آية الكرسي أعظم آية فيه.

مصادر معرفة فضائل القرآن وسوره:

بما أن الأصل في فضائل القرآن وسوره النّقل عن النبي صلّى الله عليه وآله؛ فإن مصادر معرفتها الأساس هي القرآن وكتب الحديث النبويّ، ويأتي بعدها مصادر أخرى فرعية.

أما المصادر الأساسية من كتب الحديث فهي على نوعين:

أ- كتب الحديث الجامعة: حيث أفرد بعضها كتاباً خاصاً ضمّتها بعنوان «فضائل القرآن»، كصحيح البخاري، وسنن الترمذي، والسنن الكبرى للنسائي. كما أورد بعضها الآخر أحاديث فضائل القرآن ضمن كتبها الأخرى كصحيح مسلم وسنن أبي داود.

ب- كتب الحديث الخاصة بفضائل القرآن، ومن أبرزها:

- ١- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤) (٢).
- ٢- فضائل القرآن، لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفري (ت: ٤٣٢) (٣).

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣).

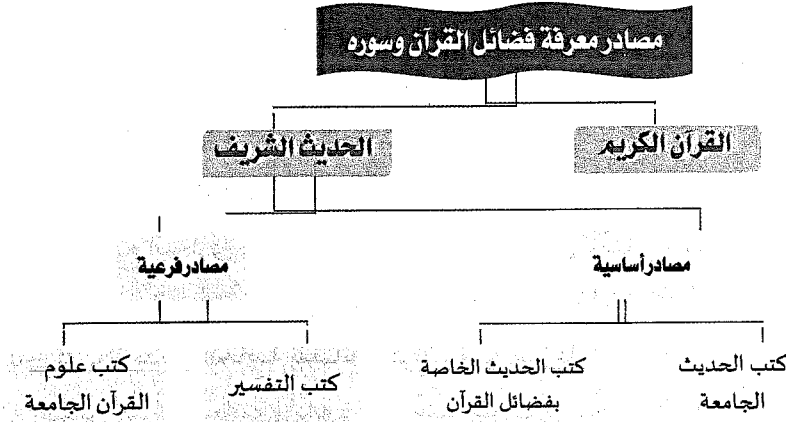
(٢) وهو كتاب مسند الآثار، من أنفس كتب فضائل القرآن، بل هو أوّل كتاب وصلنا في هذا الفن، وأوّل ما طبع من مؤلفاته، كما تميّز بوجود تعليقات نفيسة لأبي عبيد، فهو ليس كتاب رواية فحسب. وقد اشتهر تصنيفه ضمن كتب فضائل القرآن؛ لكن في حقيقته هو ثلاثة أقسام كما يتبيّن من عنوانه الدقيق، أولها في آداب القرآن، والثاني في الفضائل، بينما الثالث في أنواع علوم القرآن، ويمكننا القول أنه أول مؤلّف وصلنا في كل فنّ من هذه الفنون الثلاثة. ينظر: ما تقدم في المدخل ص ١٤، فضل القرآن الكريم: دراسة موضوعية (ص ٦٤، ٦٧-٦٧)، المحرر في علوم القرآن (ص ١٩٣).

(٣) وهو كتاب رواية من أوسع كتب فضائل القرآن. ومن الكتب الأخرى: فضائل القرآن، لابن الضريس =

أما المصادر الفرعية فمن أبرزها نوعان:

أ- كتب التفسير: حيث اعتنى كثير من المفسرين بذكر فضائل القرآن إما كمقدمة للكتاب، كابن كثير في تصنيفه الذي طُبِعَ مستقلاً بعنوان «فضائل القرآن»^(١)، وكذلك القرطبي. أو في مقدمة تفسير السورة بذكر فضائلها كصنيع الثعلبي، وابن كثير، والسيوطي في الدر المنثور. أو آخرها كصنيع البغوي والزمخشري والبيضاوي.

ب- كتب علوم القرآن الجامعة: حيث اعتنى بعضها بسرد الآثار العديدة في فضائل القرآن وسوره، مثل كتاب «جمال القراء وكمال الإقراء» لعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)^(٢)، والإتقان لجلال الدين السيوطي^(٣).



= (ت: ٢٩٤)، وفضائل القرآن لأبي بكر الفريابي (ت: ٣٠١)، وفضائل القرآن، للنسائي (ت: ٣٠٣)، وجميعها كتب رواية، وهي مطبوعة.

(١) وقيل إنه جعله خاتمة لتفسيره، وأصله شرح لكتاب الفضائل من صحيح البخاري، وهو من أنفس كتب الفضائل لما فيه من التحرير والترجيح، وبيان المسائل العلمية المتعلقة بالفضائل. ينظر: فضل القرآن الكريم: دراسة موضوعية (ص ١٦٧، ١٧٠).

(٢) حيث جعل له قسمًا من أقسام الكتاب السبعة سماه «منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم». ينظر: (١/ ٢٩٣ - ٣٨٠).

(٣) حيث أفرد فضائل القرآن في النوع الثاني والسبعين، من خلال فصلين اثنين: الأول فيما ورد في فضله على الجملة، والثاني: فيما ورد في فضل سورة بعينها. ينظر: الإتقان (٦/ ٢٠٩٩ - ٢١٣٨).

ثالثاً: إعجاز القرآن

من أظهر خصائص القرآن التي تميّز بها عن الكتب السابقة، وصار حجةً باقيةً على الناس إلى قيام الساعة، وأوضح مزاياه الدالة على صدق النبي ﷺ، ما عُرف بإعجاز القرآن. مفهوم إعجاز القرآن:

الإعجاز مصدر الفعل (أعجز)، وهو بمعنى زوال القدرة عن الإتيان بالشيء^(١)، والمراد بـ(إعجاز القرآن): إثبات عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن أو معارضة. ومنه وُصف القرآن بأنه مُعْجِزَة، واشتهر في تعريف المُعْجِزَة بأنها: «أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتحدي، سالمٌ من المعارضة»^(٢)، والمقصود بكون القرآن مُعْجِزَة الدلالة على صدقه وأنه تنزيلٌ من عند الله العزيز الحكيم.

نشأة علم إعجاز القرآن وتاريخه:

(أ) في عهد النبوة وسلف الأمة:

لم يرد مصطلح المعجزة في القرآن أو السنة، لكن جاءت مصطلحات أخرى بمعناه مثل (الآية)، و(البينة) و(البرهان) و(السلطان)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢]^(٣)، وقول الرسول ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ

(١) بصائر ذوي التمييز (١/ ٦٥).

(٢) الإتيان (٥/ ١٨٣٧).

(٣) وقد جاءت جميع هذه المصطلحات في قصة موسى ﷺ في سياقات مختلفة كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْزِلْ مَعِيَ بَيْتًا مِنْ رَبِّي ۖ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٠٤، ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿فَذَلَّلْنَاهُ بِمَنْهَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُتِينٍ ۖ﴾ [هود: ٩٦، ٩٧].

إِلَيَّ، فَارْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

«قيل إن معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة»^(٢)، وفي هذا دلالة على أن القرآن أكبر آيات النبي ﷺ، وأوضح معجزاته^(٣)، ويؤكد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١].

والمقصود أن كفار قريش انبهروا من أمر القرآن وقوة تأثيره في النفوس، لكن أبوا بمكابرتهم إلا أن يقفوا موقف المعاند، فشئوا حملات التشكيك والظعن في القرآن، وادَّعوا أن الرسول ﷺ افتراه واختلقه من عنده، ولم يدع الله ﷻ أقاويلهم الباطلة لتروج، فردَّها عليهم من الباب الذي برَّعوا فيه وأحكموا أمره، فهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، فتحدَّاهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله، أو بسورة مثله، ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بِهَذَا قُلْ لَا يَوْمُئِثٍ ۚ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِذَا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣ - ١٤]، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]. «فقطَّع لهم أنهم لن يفعلوا، وهي كلمة يستحيل أن تكون إلا من الله، ولا يقولها عربي في العرب أبداً، وقد سمعوها واستقرَّت فيهم ودارت على الألسنة، وعرفوا أنها تنفي عنهم الدهر نفياً، وتُعجزهم آخر الأبد، فما فعلوا ولا طمعوا قطَّ أن يفعلوا، وطارَت الآية بعجزهم وأسجلته عليهم ووسمتهم على ألسنتهم، فلما رأوا

(١) رواه البخاري (١٨٢/٦) (٤٩٨١)، ومسلم (١٣٤/١) (٢٣٩).

(٢) الإتيان (١٨٧٤/٥).

(٣) قال ابن حجر في شرح الحديث: «أي إن معجزتي التي تحدَّيتُ بها: الوحي الذي أنزل عليّ، وهو القرآن؛ لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدِّمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختصَّ بها دون غيره». فتح الباري (٦/٩).

هِمُّهُمْ لَا تَسْمُو إِلَى ذَلِكَ، وَلَا تُقَارِبَ الْمَطْمَعَةَ فِيهِ، وَقَدْ انْقَطَعَتْ بِهِمْ كُلُّ سَبِيلٍ إِلَى الْمَعَارِضَةِ؛ بَذَلُوا لَهُ السِّيفَ، كَمَا يَبْذُلُ الْمُحَرِّجُ آخِرَ وُسْعِهِ، وَأَخْطَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَانْصَرَفُوا عَنْ تَوْهَنِ حُجَّتِهِ إِلَى تَهْوِينِهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِكَلَامٍ مِنَ الْكَلَامِ، فَقَالُوا: سَاحِرٌ، [وَكَاهِنٌ]، وَشَاعِرٌ، وَمَجْنُونٌ، وَرَجُلٌ يَكْتَتِبُ أُسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا أَخَذَتْ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِقْرَاراً مِنْهُمْ بِالْعَجْزِ...»^(١).

لقد عجز العرب في عصر النبوة عن معارضة القرآن مع توفر الدواعي، واستمرار البواعث، بل إنهم «لما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال: ﴿لَيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] . هذا وهم الفصحاء اللد، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجة، ولم يُنقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رame...»^(٢). وها هو التحدي قائم، والإعجاز مستمر إلى أن تقوم الساعة، ولن تجد من يعارضه، فهو المعجزة الخالدة، والآية الباقية، ليست كمعجزات الأنبياء السابقين التي انقرضت بانقراض أعصارهم، مصداقاً لقوله ﷺ في الحديث السابق.

(ب) إعجاز القرآن بعد عصر السلف:

أدرك العرب -مؤمنهم وكافرهم- في عهد نزول القرآن ما تميّز به القرآن من ذرّة الفصاحة، وعلو النظم، وغاية البلاغة، وذلك بفطرتهم وبما كانوا عليه من الفصاحة والبيان، فملأت أنوار القرآن نفوس من آمن منهم، وزادهم هدى، وهكذا تلقاه التابعون وتابعوهم من بعدهم، ولم يُنقل عنهم أنهم ناقشوا قضية إعجاز القرآن لأنهم أدركوه بفطرتهم، فلم يحتاجوا إلى إعمال فكرتهم^(٣).

لكن نشأ بعد ذلك أجيال قصّرت معارفهم وأفهامهم عن إدراك معنى إعجاز القرآن

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص ١١٨) بتصرف يسير.

(٢) الإتيان (١٨٧٥ / ٥).

(٣) محاضرات في علوم القرآن (ص ٢٤١).

وفهم حقيقته، فأثيرت هذه القضية في بحث سر الإعجاز وحقيقته، وبيان وجوهه وأنواعه^(١). ومن ثم اختلف الخاضعون في ذلك على أقوال عديدة^(٢)، فقليل: إن إعجازه في تضمته الأمور الغيبية بمختلف أنواعها السابقة واللاحقة، وقيل: إعجازه في تضمته علوماً ومعارف متجددة لم تعهدها العرب من طب وفلك وتشريعات وغير ذلك.

والأصح أن الوجه المتحدى به المعجز إعجازاً تاماً في جميع آيات القرآن هو نظم القرآن البديع (لغة وبلاغة وأسلوباً)، وذلك لأمرين:

١- أنه هو الوجه الذي برع فيه العرب وتميزوا فيه، دون الأوجه الأخرى، لذا تحداهم الله على أن يأتوا بسورة من مثله.

٢- أنه الوجه الوحيد الذي ينتظم في كل سورة بلا استثناء، بخلاف الأوجه الأخرى التي توجد في بعض السور والآيات وتتخلف في البعض الآخر.

وأما ما ذكر من وجوه أخرى كإعجازه الغيبي والتشريعي فهذه كلها تعد من دلائل النبوة، وآيات صدق النبي ﷺ، وربانية القرآن، لكنها ليست مما تحدى الله به العرب. لكن للجمع بين أقوال العلماء في قضية إعجاز القرآن، وإزالة ما قد يبدو من تعارض، وعدم إهمال ما قيل من أسرار القرآن ودلائل صدقه = يمكن أن ننتهي «إلى نتيجة ملخصها أن إعجاز القرآن في عصر النبوة الذي أعجز العرب هو في نظمه وبيانه، وأن ما أدركه العلماء بعد ذلك من وجوه أخرى جاء معززاً للإعجاز ومؤكداً صدق النبوة، وأن هذا القرآن تنزيل من الرحمن الرحيم»^(٣).

(١) خصوصاً مع بروز المعتزلة في أواخر القرن الثاني ودخولهم في الجدل فيما بينهم أو مع الزنادقة الطاعنين في الإسلام، فظهر لديهم الحديث عن المعجزة، وعن وجوه إعجاز القرآن. ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ص ١٠١)، مباحث في إعجاز القرآن (ص ٤٩)، الإعجاز العلمي إلى أين؟ (ص ٨-٩).

(٢) أورد الزركشي منها ١٢ وجهاً في كتابه البرهان (١٠٦/٢)، وبلغت عند السيوطي ٣٥ وجهاً، وذلك في كتابه «معتك القرآن في إعجاز القرآن» الذي خصه بهذا الموضوع. وينظر: الإنقان (٥/ ١٨٧٩-١٨٩٥).

(٣) محاضرات في علوم القرآن (ص ٢٥٣).

(ج) إعجاز القرآن عند المعاصرين:

كما اعتنى المتقدمون بإعجاز القرن ووجوهه فقد كان للمعاصرين عناية كبيرة بهذا الميدان، بل توسّع لديهم مفهوم الإعجاز بصورة أكبر بسبب ما ظهر في العصر الراهن من مكتشفات حديثة، وعلوم جديدة، مع توفّر طرق البحث الحديثة التي أظهرت معطيات جديدة ومفاهيم دقيقة، فتنوّعت أساليبهم في تناول أوجه الإعجاز، وكان من أبرز الوجوه التي ظهرت عنايتهم بها حتى كادت أن تغطي على غيرها = ما يُعرف بالإعجاز العلمي (التجريبي). وهو يتناول آيات القرآن التي فيها إشارة لبعض القضايا العلمية المتعلقة ببعض العلوم الكونية والتجريبية^(١)، خصوصاً علم الفلك والطب وعلم النبات والحيوان، وقد شابته شيء من الخلط والتضخيم والمبالغة، ممّا يستلزم تجليله بشيء من التفصيل، وذلك من خلال النقاط التالية^(٢):

- أن المقصد الأوّل لنزول القرآن هو معرفة ربهم وكيفية عبادته، أما وجود إشارة في القرآن لبعض مسائل العلوم التجريبية فقد جاءت تبعاً وليست أصالة.
- أن كثيراً ممن خاض في هذا الاتجاه ليس متخصصاً في العلم الشرعي فضلاً عن علم التفسير، وبالتالي عدم إتقانه الرّبط بين معاني آيات القرآن وبين ما يظهر في البحث التجريبي، مما نتج عنه محاولاتهم تأويل آيات القرآن لتتناسب مع النظريات والفرضيات المكتشفة دون مراعاة مصطلحات اللغة والشريعة، ومحاولاتهم تركيب ما ورد في البحوث التجريبية في القرآن^(٣).
- أن أيّ تفسير جاء بعد تفسير السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم لا يُقبل إلا

(١) هنا ملحظ مهم ينبغي التنبّه له! وهو أن نسبة هذا الوجه من الإعجاز إلى العلم دون غيره من أوجه الإعجاز الأخرى خطأ بيّن، وهو مبنيّ على الأثر الناتج عن تقسيم أهل الغرب للعلوم إلى قسمين: علمية: ويعنون بها دراسة العلوم التجريبية، وأدبية: ويعنون بها دراسة الشرعيات واللغويات واللغات. ينظر: الإعجاز العلمي إلى أين؟ (ص ٢١).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) مثل من جعل السماوات السبع هي الكواكب السبع السيّارة، والكُرسي هو المجرة، والعرش هو الكون.

بضوابط ، وهي :

١- أن تكون القضية المفسر بها صحيحة في ذاتها ، فإن كانت باطلة فلا يصح أن يُحمَل عليها القرآن . وتظهر صحتها من ثلاثة أوجه :

- صحتها من جهة الوقوع ^(١) .

- دلالة اللغة عليها ^(٢) .

- عدم مناقضتها للشرع ^(٣) .

٢- أن لا تناقض وتُبطِل قول السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم ^(٤) .

٣- أن تحتمل الآية القضية المفسر بها ^(٥) .

٤- أن لا يُقَصِّر معنى الآية على هذا التفسير المعاصر .

ثم إنه عند التأمل في الإعجاز العلمي تجده في الحقيقة فرعاً عن الإعجاز الغيبي السابق ، إذ مآله ما غاب عن الناس مدةً من الزمن ثم انكشف للمعاصرين .

ومن الاتجاهات الجديدة في إعجاز القرآن التي ظهرت في الآونة الأخيرة وبدأت تشيع وتلقى رواجاً كبيراً لما فيها من إثارة وجاذبية ما يُسمى بالإعجاز العددي ، والمقصود

(١) والذي يدرك ذلك هو المتخصص في العلم التجريبي ، أما أن الشرطين الأخيرين فيدركهما المتخصص في التفسير ، ومن هنا لا بد من التكامل بين كلا التخصصين حتى يصح التفسير بمثل تلك المعطيات .

(٢) فيثبت ابتداء من جهة اللغة فإن لم يثبت لغة فهو تفسير مردود ، كمن يفسر الذرة الواردة في القرآن بالذرة في علم الكيمياء ، لأنه مصطلح حادث لا يثبت لغة .

(٣) كمن فسر قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا ﴾ بأنها أطوار النظرية الداروينية في النشوء والارتقاء ، وهي نظرية مصادمة للشرع ، فهي باطلة مردودة .

(٤) أما الزيادة عليه دون إبطاله فلا بأس بذلك ، ويصير قولاً مضافاً إلى أقوال السلف مما تحمله الآية ويوافق السياق .

(٥) فقد تكون تلك القضية صحيحة في ذاتها ، لا تناقض أقوال السلف ، لكن لا تحتمل الآية ولا دلالتها ،

نحو من فسر قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَيِّقًا حَرِيمًا ۖ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] بما اكتشف حديثاً أن الإنسان إذا صعد في طبقات الجو العليا يضيّق تنفسه بسبب نقص الأكسجين .

به: وجود علاقات بين أعداد وأرقام القرآن لها دلالات وإشارات ومعاني معيّنة، وقد وقعت أخطاءٌ عديدةٌ ممن خاض فيه، أدّت إلى الاستنباط من تلك العلاقات الحسابية أقوالاً غريبةً في تفسير الآيات، وادّعاء التوصل إلى معلومات غيبية مستقبلية، والزعم بكشف أسرار القرآن الخفية، مما يستلزم الحذر من تلك البحوث، وأخذ الحيلة من نتائجها، وعدم قبولها مباشرةً قبل التأمل في مؤداها وما تؤول إليه.

أبرز وجوه الإعجاز القرآني:

تقدّم تبائن أقوال العلماء في تحديد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لكن يُمكن أن تُحدّد أبرز هذه الأقوال وأشملها في أربعة وجوه هي: الإعجاز اللغوي، الإعجاز الغيبي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي (التجريبي)، وفي ما يأتي إشارة لكل منها مع أمثلة توضيحية، دون الخوض في تفاصيلها:

١- الإعجاز اللغوي: من حيث نظمته وبلاغته وفصاحته وبديع أسلوبه، ولو استعرضنا آيات القرآن الكريم من أوّل سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس على تعريف الفصاحة والبلاغة، وشروط الألفاظ الفصيحة والكلام البليغ؛ لوجدنا كلّ آية قد تحقّقت فيها الفصاحة والبلاغة في أبسط أسلوب وأوضحه وأقربه إلى الفهم والقلب.

ولنضرب مثلاً لذلك بالآية الأولى من أقصر سور القرآن الكريم؛ سورة الكوثر^(١)، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا آَعَطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ﴾، التي تضمّنت ثمانية معاني بلاغية دقيقة مُعجزة من أسمى المعاني البديعة والفصاحة والبلاغة على الرغم من كلماتها القليلة المحدودة، وهي:

الأولى: أنه دلّ على عطيةٍ كثيرةٍ مسندةٍ إلى مُعطٍ كبيرٍ، ومن كان كذلك كانت النعمة عظيمة عنده، وأراد بالكوثر الخير الكثير، ومن ذلك الخير الكثير ينال أولاده إلى يوم القيامة من أمّته...، ومن الخير الذي وعد به ما أعطاه الله في الدارين من مزايا التعظيم

(١) ينظر: مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، لابن النقيب المقدسي (ت ٦٩٨هـ) (ص ٥٢١-٥٢٢)، بتصرف يسير. وقد استخرج المؤلف من سورة الكوثر ٢١ نكتةً بلاغيةً مُعجزة.

والتقديم والثواب ما لم يعرفه إلا الله . وقيل: إن الكوثر ما اختص به من النهر الذي ماؤه أحلى من العسل وعلى حافاته أواني الذهب والفضة كالنجوم أو كعدد النجوم .

الثانية: أنه جمَعَ ضمير المتكلم ، وهو يشعر بعظم الربوبية .

الثالثة: أنه بنى الفعل على المبتدأ فدلَّ على خصوصية وتحقيق .

الرابعة: أنه صدرَ الجملة بحرف التوكيد الجاري مجرى القسم .

الخامسة: أنه أورد الفعل بلفظ الماضي دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة .

السادسة: جاء بالكوثر محذوف الموصوف ؛ لأن المثبت ليس فيه ما في المحذوف من قرط الإيهام والشياخ ، والتناول على طريق الاتساع .

السابعة: اختيار الصفة المؤذنة بالكثرة (على وزن فاعل) .

الثامنة: أتى بهذه الصفة مصدرة باللام المعروف بالاستغراق لتكون ما يوصف بها شاملة ، وفي إعطاء معنى الكثرة كاملة .

٢- الإعجاز التشريعي: وهو يتناول ما تضمَّنه القرآن من أحكام وقضايا تشريعية مُحَكَّمة ، مُحَقَّقة للعدالة ، مَرِنَة صالحة لكل زمان ومكان ، شاملة لكل جوانب الحياة ، في العقيدة والأخلاق ، وفي العبادات والمعاملات ، وفي السياسة والاقتصاد ، والأحوال الشخصية والمدنية وغيرها ، صالحة للفرد والأسرة والمجتمع ، مما لا يصدر إلا عن خالق الخلق ، العالم بما يصلحهم .

مثال ذلك: منظومة الأخلاق والقيم التي دعا إليها القرآن والتي تكفل حفظ أواصر الصلة بين أفراد المجتمع وتوثيقها ، وفي المقابل نهى عن كل ما يُفسد تلك الصلة ويقطعها ، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] ، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

وَالْقَوِيُّ وَلَا تَعَاوُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُونِ ﴿٢﴾ [المائدة: ٢] ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٣﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُسَخَّرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّكْ بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ [الحجرات: ١٠-١٢] ، ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩] .

٣- الإعجاز الغيبي: والمقصود به إخبار القرآن عن شئى المغيبات؛ الماضية والحاضرة والمستقبلية:

المغيبات الماضية: كالإخبار عن بدء الخلق، وأخبار الأمم الغابرة والأنبياء وأقوامهم. والمغيبات الحاضرة: التي كانت أثناء نزول القرآن كفضح المنافقين وكشف سوء نيات اليهود.

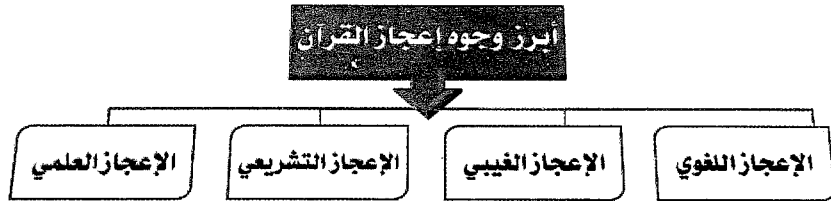
والمغيبات المستقبلية: سواء التي حصلت في العهد النبوي كانتصار المسلمين في بدر، وكغلبة الروم على الفرس، أو مما حصل ويحصل بعد ذلك كانتشار الإسلام وفتن آخر الزمان، وإخباره عن أشراط الساعة، والبعث بعد الموت، والحشر والحساب، والمصير إلى الجنة أو إلى النار، بما لا سبيل للبشر إلى معرفته إلا بوحي الله ﷻ.

٤- الإعجاز العلمي: وهو الذي يتناول ما في بعض آيات القرآن التي من إشارة لبعض القضايا العلمية المتعلقة ببعض العلوم الكونية والتجريبية، من أمثلة ذلك^(١):

- في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْدَادًا ۝ ﴾ [النبا: ٦، ٧] إشارة إلى شكل الجبل الظاهر والباطن، وأدركه العلماء بعد ذلك.
- في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن (ص ٢٩٨-٢٩٩).

عَظَمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿المؤمنون: ١٤﴾
 إشارة إلى مراحل خلق الإنسان في الرّحم ولم يُدرِكها العلماء إلا في العصور الحديثة.
 - في قوله تعالى: ﴿يَا قَلِيلِينَ عَلَى أَنْ سُويَ بَنَاهُ﴾ [القيامة: ٤] في تخصيص البنان بالذكر
 صفة تميّزه عن غيره من أعضاء الجسم لم يكتشفها العلم إلا حديثاً وهو علم البصمات.
 - وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّئَلَّا تُكْفِرُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا
 خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦] إشارة إلى ما كان مجهولاً من تحديد مصدر اللبن في
 الأنعام.



المصنّفات في إعجاز القرآن:

صنّف كثير من المتقدّمين في إعجاز القرآن كالخطّابي (ت: ٣٨٨)، والرّماني المعتزلي (ت: ٣٨٤)، ومن أشهر وأنفس ما كُتب فيه «إعجاز القرآن» لأبي بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣)، وكذلك كتاب «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، ولجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) «معتزك الأقران في إعجاز القرآن»، وجميعها مطبوعة.
 أما مصنّفات المعاصرين فمن أنفسها: «إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة» لمصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، و«النّبأ العظيم»: د. محمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ).
 وفي هذا العصر حين صار هذا العلم يُدرس استقلالاً كمادّة دراسية أُلّفت مقرّرات دراسيّة فيه من أهمها: «مباحث في إعجاز القرآن»: أ.د. مصطفى مسلم.

رابعاً: تدبر القرآن

تدبر القرآن من أهمّ حقوق القرآن على العباد، فقد أمر الله به جميع المكلفين، كلاً بحسب طاقته، فقال سبحانه: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مِيزَانًا لِنَدَّبَرُوا أَعْيُنَهُ وَيَتَذَكَّرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٦]، وهو التفسير الذي لا يُعذر أحد بجهالته الذي جعله ابن عباس رضي الله عنه أحد أقسام التفسير الأربعة^(١).

وفي هذا المبحث مقدّمة موجزة عن التدبر، نتناول فيها مبادئ هذا العلم الشريف؛ من خلال بيان مفهومه، وأركانه، وشروطه، وموانعه، وأنواعه. مفهوم تدبر القرآن:

التدبر في اللغة: مصدر (تَدَبَّرَ)، وأصل هذه المادة: (د ب ر) يدل على آخر الشيء وخلفه^(٢)؛ ودبر كل شيء: عقبه ومؤخّره. واشتقوا من (الدبر) فعلاً، فقالوا: تَدَبَّر: إذا نظر في دبر الأمر؛ أي: في غائبه أو عاقبته^(٣).

«وتدبر الكلام: أن ينظر في أوّله وآخره، ثم يعيد نظره مرّة بعد مرّة، ولهذا جاء على بناء التفعّل كالترجّع والتفهّم والتبيين»^(٤).

أما مفهوم تدبر القرآن: فهو النظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني والعبّر والمقاصد، الذي يُثمر العلوم النافعة والأعمال الزاكية^(٥).

شرح التعريف:

النظر إلى ما وراء الألفاظ: وهذا يستلزم معرفة معاني الألفاظ ابتداءً، وهو التفسير. الذي يُثمر العلوم النافعة والأعمال الزاكية: لأنه قد ورد عن جماعة من السلف

(١) ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص ٢٨٦، ٢٨٠).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (مادة دبر).

(٣) التحرير والتنوير (٥ / ١٣٧).

(٤) مفتاح دار السعادة (١ / ١٨٣).

(٥) ينظر: الخلاصة في تدبر القرآن، د. خالد السبت (ص ٧-١٣٩).

تفسير التدبر بالعمل والامثال وما إلى ذلك مما يقع في القلب ، ويظهر على الجوارح ، ولا ريب أن هذا يكون أعلى مراتب التدبر ، وإلا فقد يحصل ببعض ذلك كما لا يخفى .
مراحل التدبر :

من خلال التعريف السابق يتبين أنه لا بد للتدبر من مرحلتين أساسيتين ، باجتماعهما يتميز التدبر عن غيره :

الأولى : المرحلة النظرية : وهي تمثل الوقوف مع الآيات والتأمل فيها ، ويدخل في هذا الركن التفسير والاستنباط والتفكر والتأمل .

الثانية : المرحلة العملية : وهي تمثل التفاعل مع الآيات ، وقصد الانتفاع والامثال ، ويدخل في هذا الركن الاعتبار والاتعاظ والتذكر^(١) .
أهمية تدبر القرآن وثمراته^(٢) :

يمكن أن نستبين أهمية تدبر القرآن من وجوه عدة ؛ منها :

١- أن الله تعالى جعل ذلك مقصوداً من إنزاله ؛ كما في قوله : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ وَأُتِيَهُمْ وَلَسَدَكُرْ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ ﴾ [ص : ٢٩] .

٢- أن الله تعالى أنكر على من لم يتدبره ؛ كما في قوله ﷺ : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] ، وقوله : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] .

٣- أن تدبره وتفهمه والإقبال عليه سبيل إلى تحصيل المطالب العالية .

٤- أنه الطريق إلى معرفة العبد لخالقه جل جلاله معرفة صحيحة بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو الطريق إلى معرفة صراطه المستقيم الذي أمر العباد بسلوكه .

٥- أن تدبر القرآن من النصيحة لكتاب الله تعالى .

(١) مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم ، الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن

الكریم ، ١٤٢٩ هـ . د . محمد عبد الله الربيعه .

(٢) ينظر : الخلاصة في تدبر القرآن (ص ٢١-٢٥) .

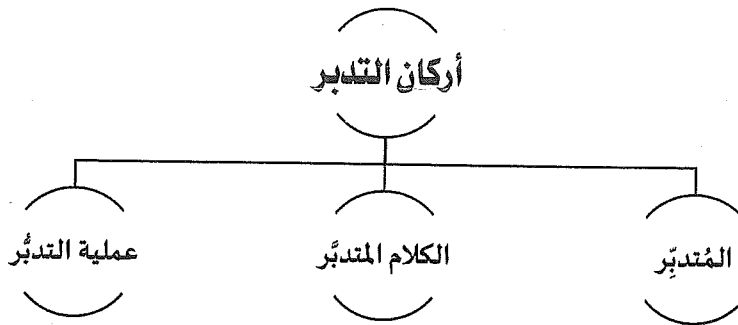
أركان التدبر^(١):

يقوم التدبر على أركان ثلاثة:

الأول: المُتَدَبِّر: وهذا لا بدَّ فيه من تحقُّق شروط وانتفاء موانع، كما يُلاحظ فيه توفر جملة من الآداب المُكَمِّلة المُعِينة على التدبر؛ ليكون المَحَلُّ قابلاً كما سيأتي.

الثاني: الكلام المُتَدَبَّر: ولا يخفى أن القرآن الكريم بالغ التأثير في النفوس، كما أنه مُيسِّر للفهم، غير أننا نعلم أن القرآن يشتمل على العقائد والأحكام والقصص والأمثال والكلام على الدنيا والآخرة، وأحوال القيامة، فقد تكون بعض هذه القضايا أكثر تأثيراً في بعض الناس، كما يكون غيرها أعمق تأثيراً لدى آخرين بحسب مقاصدهم، وعمق أفهامهم، ولطافة نظرهم.

الثالث: عملية التدبر: وذلك يُطلَب فيه جملة أمور تتعلق بالقدر المثوّل، وطريقة التلاوة، ووقتها، وما إلى ذلك؛ ولذا قال النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثِ لَمْ يَفْقَهُهُ»^(٢).



(١) ينظر: الخلاصة في تدبر القرآن (ص ٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٩١/١١) (٦٥٣٥)، وأبو داود (١٣٩٤) من حديث عبد الله بن عمرو، بسند صحيح على شرط الشيخين.

شروط التدبر^(١):

التدبر قضية نسبية يتفاوت الناس فيها، بل تتفاوت لدى الشخص الواحد في أحواله المختلفة؛ وذلك للتفاوت الحاصل في مقدّماتها.

لذا فالشروط الأساسية في المتدبر التي يتوقّف عليها حصول التدبر، تنحصر في ثلاثة أمور وذلك بحسب النظر الكُلّي:

الأول: وجود المحلّ القابل، وهو القلب الحي: لأن «القلب إذا كان رقيقاً ليّناً كان قبوله للعلم سهلاً يسيراً، ورسخ العلم فيه وثبت وأثر، وإن كان قاسياً غليظاً كان قبوله للعلم صعباً عسيراً...»^(٢). ومن هنا كان الصحابة رضي الله عنهم يتعلّمون الإيمان قبل القرآن. فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتیان حَزَازَةَ، فتعلّمنا الإيمان قبل أن نتعلّم القرآن، ثم تعلّمنا القرآن فازدَدنا به إيماناً»^(٣).

الثاني: العمل الذي يصدر من المكلف (القراءة أو الاستماع، مع حضور القلب). أما الاستماع: فيكفي في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. قال سفيان بن عيينة (ت: ١٩٨): «أَوَّلُ العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النّشر، فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم، بنية صادقة على ما يُحِبُّ الله، أفهمه كما يُحِبُّ، وجعل له في قلبه نوراً»^(٤).

وأما القراءة: فإن القارئ إذا راعى ما ينبغي له عندها، فإن ذلك يكون أدعى للتدبر والانتفاع بها؛ ومن أهم تلك الأمور:

(١) ينظر: الخلاصة في تدبر القرآن (ص ٣٨-٤٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ٣١٥).

(٣) رواه ابن ماجه (٦١)، والطبراني في الكبير (١٦٧٨)، والبيهقي في السنن (٣/ ١٢٠)، وفي الشعب

(٥٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٥٢).

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ١٧٦).

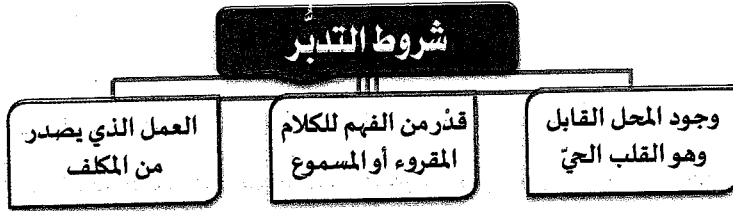
- ١- التهيؤ لها: باختيار الوقت المناسب لا سيما الليل، واختيار الحال الأصلح له، وأنفعه ما كان في حال قيام الليل، وتفرغ النفس من الشواغل المُشوّشة للفكر والقلب.
- ٢- مراعاة ما يُطلب أثناء القراءة: فيختار ما هو أدعى لتدبره: الجهر أو الإسرار بالقراءة، من المصحف أو عن ظهر قلب، وأن يقرأ بترسل وترتيل، ويكرر الآية أو الآيات.
- وفي كلا الحالتين (الاستماع أو القراءة) ينبغي التنبيه لأمر تُعين على التدبر، من أبرزها:
 - ١- إدراك أهمية التدبر وفائدته.
 - ٢- استحضار عظمة المتكلم بالقرآن.
 - ٣- استحضار أنك المُخاطب بهذا القرآن.
 - ٤- صدق الطلب والرغبة، وقوة الإقبال على كتاب الله ﷻ.
 - ٥- أن يقرأ ليمثّل.

الثالث: قُدِّر من الفهم للكلام المقروء أو المسموع.

الفهم قضية نسبية، يقع فيها التفاوت كثيراً، والمقصود هنا حصول حدٍّ أدنى من الفهم لما يقرأ أو يسمع؛ فإن من خُوطب بما لا يفهم أصلاً، لا يمكن أن يتدبر مهما كان قلبه حيّاً وأحضره حال الاستماع أو التلاوة. والأمر بتدبر القرآن والحث عليه في قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مِيزَانًا لِنَبْلُوًا أَأَنْتَ أَتَذْكُرُ أَوْ لَا أَلْبَسَ﴾ [ص: ٢٩] = أَمُرُّ عام لجميع الناس، ولم يخص ذلك بأهل العلم دون غيرهم؛ مع أن ما يحصل للعالم من ذلك لا يُقاس بما يحصل لغيره.

وقد جمعت هذه الشروط آية في كتاب الله تعالى، وهي قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، حيث صرّحت بالشرطين الأولين، وأما الثالث فهي دالة عليه لزوماً؛ وذلك أن إلقاء السمع لا بُدَّ أن يكون معه الكلام مفهوماً لدى السامع، وإلا فإن الإصغاء للكلام الذي لا يفهمه أصلاً - كالأعجمي - لا يحصل به المقصود.

أما موانع التدبر فهي ناتجة عن تخلف ما ذكر من شروط التدبر أو شيء منها.



نماذج من تدبر السلف والمفسرين:

١- قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨): «ثماني آيات نزلت في سورة النساء هُنَّ خيرٌ لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت: أولهن: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّافِينَ﴾ [٢٦]. والثانية: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [٢٧]. والثالثة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [٢٨]. والرابعة: ﴿إِنْ جَحْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [٣١]. والخامسة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية [٤٠]. والسادسة: ﴿يَعْمَلُ سُوءًا أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ نَمُرَّ بِكُمْ كَمَا نَمُرُّ بِالْحَبْلِ﴾ الآية [١١٠]. والسابعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ الآية [٤٨]. والثامنة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [١٥٢] (١).

٢- قال القرطبي (ت: ٦٧١) في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَنِيَّ ذُرِّيَّتِهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]: «إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء - حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه - فما ظنك بالمؤمنين الموحدين، المخالطين المحبين للأولياء والصالحين؟ بل في هذا تسليّة وأنس للمقصرين، المحبين للنبي ﷺ وآله خير آل» (٢).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦٦٠/٦-٦٦١)، والبيهقي في الشعب (٧١٤٥). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في التوبة. وأخرج الطبري (٦٦٠/٦) نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه لكن قال في أوّله: «خمس آيات من سورة النساء لهنَّ أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً».

(٢) تفسير القرطبي (٣٧١/١٠-٣٧٢).

٣- قال ابن القيم (ت: ٧٥١) في قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]: «... فهذا وعد الله وذاك وعد الشيطان، فليُنظر البخيل والمنفق أي الوعدَيْن هو أوثق؟ وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه؟»^(١).

٤- قال الزركشي (ت: ٧٩٤): «... وقوله حاكياً عن يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠] فلم يذكر خروجه من الجُبِّ مع أن النعمة فيه أعظم، لوجهين: أحدهما: لئلا يستحيي إخوته، والكرام يُغضي عن اللوم، ولا سيما في وقت الصفاء. والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم بخلاف الجُبِّ»^(٢).

٥- قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣): عقب تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]: «... وهذه تربية عظيمة، وهي أن يستشعر الإنسان عند مؤاخذته غيره أحوالاً كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه، كمؤاخذه المعلم التلميذ بسوء إذا لم يُقصر في أعمال جهده، وكذلك هي عظيمة لمن يمتحنون طلبة العلم فيعتادون التشديد عليهم وتطلب عثرتهم، وكذلك ولادة الأمور وكبار الموظفين في معاملة من لنظرهم من صغار الموظفين، وكذلك الآباء مع أبنائهم...»^(٣). وأخيراً ينبغي التنبيه على أن من التدبر ما يصلح لعموم الناس، ومنه ما لا يُحسُّه إلا العلماء، وبناء على ذلك فإن من الخطأ أن تتوجَّه الأذهان عند الحديث عن التدبر إلى استخراج المعاني واللطائف والنكات الدقيقة التي لم تُسبق إليها فحسب!! فإن ذلك لا يصلح إلا للعلماء، لكنَّ المؤمن -أيًّا كان- يتدبر ليرقق قلبه، ويتعرف مواطن العبر، ويعرض نفسه على ما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم من أوصاف المؤمنين، ويحذر من الاتِّصاف بصفات غيرهم، إلى غير ذلك مما ينتفع به، ويمكن حصوله لكل من تدبر كتاب الله ﷻ^(٤).

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتین (ص ٣٧٥).

(٢) البرهان (٦٦/٣-٦٧).

(٣) التحرير والتنوير (١٦٨/٥).

(٤) ينظر: الخلاصة في تدبر القرآن (ص ٣٦).

خامساً: الانتصار للقرآن

تعرّض القرآن الكريم منذ نزوله لحملاتٍ من التشكيك والطعن فيه، وتنوّعت أساليب وشبهات الطاعنين، وقد انبرى أهل العلم لردّ تلك الشبهات ونقدها، في مختلف المواقف وشتى المصنّفات، كما تنادى المعاصرون لتأسيس علم مستقلٍّ من علوم القرآن يُعنى بهذا الجانب.

مفهوم علم «الانتصار للقرآن الكريم» وموضوعه:

هو العلم الذي يبحث في معرفة الشبهات المثارة حول القرآن الكريم، والردّ عليها بالحجّة الصحيحة^(١).

أما موضوعه ففي أمرين كما يظهر من التعريف:

- ١- معرفة الشبهات المثارة حول القرآن الكريم، وتحديد أصولها، ومحصلتها.
 - ٢- معرفة طريقة الردّ عليها بالحجّة الصحيحة ببيان الحق والصواب، وذلك باتّباع منهج النّقد العلمي المتّصف بالموضوعيّة الذي يبحث في أساس الشبهة، مع الالتزام بأداب الحوار وطرق البحث والمناظرة.
- نشأة الشبهات حول القرآن والانتصار له:

أثيرت الشبهات حول القرآن منذ نزوله، حيث ادّعى كفار قريش أنه مختلق وليس من عند الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ فُقَدَجَاءُ وَظُلُمَاءُ وَزُورًا ۚ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۚ أَكُتِبَ عَلَيْهَا فِيهِ تَمَثَّلَ عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا ۚ﴾ [الفرقان: ٤، ٥]، ﴿وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا نَيِّنَّا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكُ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۚ﴾ [سبأ: ٤٣] ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ ۚ كَمَا أَرْسَلْنَا الْآلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]،

(١) علم الانتصار للقرآن الكريم وموقعه بين مباحث القرآن، د. عبد الرحمن خير الله الشريف، مجلة تبيان/

وكما تقدّم في المبحث السابق جاء الردّ عليهم بتحديثهم أن يأتوا بسورة من مثله إن كانوا صادقين في دعواهم.

ثم لما ساد الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً من مختلف الشعوب؛ برز من أراد هدمه من الداخل بالطنن في أصوله والتشكيك فيها لا سيما القرآن الكريم، خصوصاً بعد دخول علم الكلام والفلسفة وبروزها في القرن الثالث الهجري، فظهر فيثام من الزنادقة والفلاسفة والفرق المنحرفة وممن ادّعى الإسلام زوراً للطنن فيه، يشككون في القرآن بدعوى تحريفه وتغييره، ودخول الخلل فيه، وذهاب شيء منه أو زيادة أمور فيه أو تناقض كثير منه، أو عدم تناسبه، فانبرى علماء المسلمين للردّ عليها ونقضها، وظهرت عدة مؤلفات، من أهمها: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ت ٢٧٦)، و«الانتصار للقرآن» للباقلاني (ت ٤٠٣).

ومع ضعف المسلمين في القرون المتأخرة وسيطرة الغرب برز المستشرقون الذين اعتنوا بعلوم المسلمين بهدف إثارة التشكيك في دينهم، فظهروا بلبوس النقد العلمي للقرآن، وسوّدوا مئات الكتب والمقالات في ذلك، لعلّ من أشهرها: «تاريخ القرآن» للمستشرق الألماني نولدكه (ت ١٩٤٩/١٣٤٩م)، و«مذاهب التفسير الإسلامي» للمستشرق المجري جولدتسيهر (ت ١٩٢١/١٣٣٩م).

وقد ظهرت العديد من الكتب التي تردّ على دعاويهم وتدفع مطاعنهم في القرآن في ثنايا موضوعها العام، كـ«النبا العظيم» للدكتور محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، و«مناهل العرفان في علوم القرآن» للزرقاني (ت ١٣٦٧)، أو تخصيصها لذلك مثل: «دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه» د. عبد الرحمن بدوي، و«شبهات حول القرآن الكريم» د. محمد عمارة، و«نقض مطاعن في القرآن الكريم» د. محمد عرفة، و«آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره: دراسة ونقد» د. عمر إبراهيم رضوان، و«دعوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر» د. عبد المحسن بن زين المطيري.

وفي السنوات الأخيرة برز بعض العلماء من تلاميذ المستشرقين بدعوى تطبيق المنهجيات الحديثة على القرآن، وإخضاعه لها كالتخصص البشرية، وهو ما عُرف بالقراءات المعاصرة للنص الشرعي، مثل: محمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، ومحمد شحرور.

وقد انبرى كثير من الكتّاب لتفنيد شُبُهاتهم، ودفع شُبُهاتهم، من ذلك: «العلمانيون والقرآن الكريم: تاريخية النص» د. أحمد إدريس الطعان، و«القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير» د. محمد كالو. موضوعات الشُّبُهات المُثارة للطَّعن في القرآن وأبرزها:

تدور أبرز الشُّبُهات المُثارة على القرآن حول تاريخ نزوله وتدوينه، ونظمه ومعانيه، ويُمكننا ردّ المطاعن والشُّبُهات إلى أربعة أصول يتفرّع من بعضها فروع^(١)؛ وهي:

١- الشُّبُهات حول مصدر القرآن: من خلال نفي نسبة القرآن لله تعالى وادّعاء أنه من تأليف النبي ﷺ، أو أخذه من غيره، وهذه المطاعن هي أوّل ما وُجّه إلى القرآن حين نزوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [١] ﴿وَقَالُوا اسْتَطِيرُ الْأُولَى﴾ [٢] ﴿أَكْتَتَبَهَا فِيهِ ثَمَلٌ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٣] [الفرقان: ٤]، هـ]. وقد كان الانتصار للقرآن من هذه المطاعن في القرآن نفسه، حيث تولّى الله تعالى الردّ على هذه الفرية في آيات كثيرة كما تقدّم في مبحث إعجاز القرآن.

وقد ردّد هذه الفرية المستشرقون في العصر الحاضر وزعموا أنه مُقتبس من الكتب السابقة كالطوراة والإنجيل، وأن الإسلام دين مُحرّف منهما. وهذه الشُّبهة الخطيرة يتّج عنها شُّبهة أخرى؛ وهي دعوى عدم قُدسيّة القرآن وإمكانية نقده ومخالفته، وهذه الذي قصّده المستشرقون وتولّى كبره أذناهم من العلمانيين من خلال دعوى إخضاع القرآن للمقاييس النقدية التي تُحاكم بها النصوص البشرية.

٢- الشُّبُهات حول نقل القرآن، من خلال دعوى عدم حفظه، وأن القرآن الذي بين أيدينا ليس الذي أنزل على النبي ﷺ، بزعم أنه حرّف وزيد فيه أو نُقص منه، وهي دعوى قديمة أثارها الزنادقة والفرق المنحرفة متّهمين الصحابة أنهم لم ينقلوا لنا القرآن نقلًا صحيحًا. وقد أثاروا شُّبُهات عديدة حول الموضوعات المتعلقة بتاريخ القرآن كالأخرف السبعة والمكي والمدني، وجمع القرآن، والرّسم العثماني، والقراءات وتواترها، والنسخ في القرآن، ونحو ذلك.

(١) ينظر: دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر (ص ٨٦-٨٩).

وجاء المستشرقون في العصر ليردّدوا هذه الشبهات ويشيعوا هذه المطاعن بدعوى الدراسة المتجرّدة والنقد الموضوعي المُنبني على البحث والتحليل ، وقد انتصر للقرآن علماء الأُمَّة منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا ، وتولّوا الردّ عليهم في ثنایا کُتُبهم أو بمؤلّفات خاصّة كما تقدّم ، لعلّ من أهمّها کتاب «الانتصار للقرآن» للباقلاني (ت ٤٠٣هـ) ^(١).

٣- اتهام القرآن بالتناقض في آياته بعضها مع بعض: أيضاً هذه فرية قديمة منذ صدر الإسلام ، حيث ظهر في عهد الصحابة من يسأل عن متشابه القرآن إما طلباً للحقّ وإما تعنّياً ^(٢) ، وكلما تقدّم الزمن کثر مثل هؤلاء وازدادت سؤالاتهم واستشکالاتهم في بعض معاني الآيات ، ومن هنا ظهر علم «مشکل القرآن» أو «موهم الاختلاف والتناقض» كما سيأتي ، وصنّفت فيه التصانيف العديدة ، لعل من أشهرها وأقدم ما وصلنا منها: «تأویل مشکل القرآن» لابن قُتيبة (ت ٢٧٦هـ) ^(٣).

(١) قال الباقلاني في مقدمة كتابه (١/٥٦): «فقد وقفْتُ - تولّى الله عصمتكم ، وأحسن هدايتكم وتوفيقكم - على ما ذكرتموه من شدّة حاجتكم إلى الكلام في نقل القرآن ، وإقامة البرهان على استفاضة أمره وإحاطة السلف بعلمه ، وانقطاع العُدُر في نقله وقيام الحُجّة على الخلق به ، وإبطال ما يدعيه أهل الضلال ، من تحريفه وتغييره ودخول الحَلَل فيه ، وذهاب شيء كثير منه ، وزيادة أمور فيه ، وما يدعيه أهل الإلحاد وشيعتهم من منتحلي الإسلام ، من تناقض كثير منه ، وخلوّ بعضه من الفائدة ، وكونه غير متناسب ، وما ذكروه من فساد النّظم ، ودخول اللّحن به ، وركاكة التّكرار ، وقلة البيان ، وتأخّر المقدّم ، وتقديم المؤخّر ، إلى غير ذلك من وجوه مطاعنهم ، وذكر جُمَل مما روي من الحروف الزائدة ، والقراءات المخالفة لمصحف الجماعة ، والإبانة عن وهاء نقل ذلك وضعفه ، وأن الحجة لم تقم بشيء منه ، وعرفت ما وصفتموه من كثرة استطراد الضعفاء بتمويههم وعظم موقع الاستبصار والانتفاع ببعض شبههم ، ونحن بحول الله وعونه نأتي في ذلك بجُمَل تزيل الرّيب والشبهة ، وتوقف على الواضحة».

(٢) مثل صبيغ بن عسل الذي كان يسأل عن مُتشابه القرآن في عهد عمر بن الخطاب ، تُنظر قصّته في سنن الدارمي (١/٢٥٤) . وكذلك ابن الكوّاء الذي كان يسأل علي بن أبي طالب بتعنت . ينظر: تفسير عبد الرزاق (٣/٢٣٤) ، وتفسير ابن جرير الطبري (٢١/٤٨١) . وأيضاً أسئلة نافع ابن الأزرق لابن عبّاس ، وقصّته مشهورة مستفيضة .

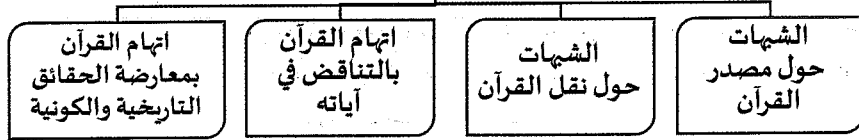
(٣) يقول ابن قُتيبة في مقدمة كتابه (ص ٢٣): «قد اعترض كتاب الله بالظن ملحدون ، ولّفوا فيه وهجروا ، وأتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنّة وإثغاء تأويله بأفهام كليله ، وأبصار عليله ، ونظر مدخول ، فحرّفوا الكلام عن مواضعه ، وعدّلوه عن سُبله ، ثم قضاوا عليه بالتناقض ، والاستحالة في اللّحن ، وفساد النّظم ، والاختلاف ، =

٤ - اتهام القرآن بمعارضة الحقائق التاريخية والكونية . أيضا هي شبهة قديمة ، منذ عصر النبوة ، وحديث المغيرة بن شعبة مثال واضح في ذلك ، وهو أنه ﷺ لَمَّا قَدِمَ نَجْرَانَ سُئِلَ : إِنِّكُمْ تَقْرَؤُونَ : ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ﴾ [مریم: ٢٨] وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا . قال المغيرة : فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ» (١) .

ولا يزال هذا النوع من المطاعن يتردد على ألسنة المستشرقين وأذئابهم من بني جلدتنا ، حيث طعنوا في قصص القرآن وادعوا أنها أساطير غير واقعية ، وشخصياتها ليست حقيقية .

ومع ظهور المكتشفات الحديثة ولجوا في مطاعنهم من ثغرة جديدة ، فادَّعوا تعارض القرآن مع الحقائق الكونية ، وكل هذه الشبهات وتلك المطاعن التي هي أَوْهَى من خيوط العنكبوت قد تصدَّى لها أهل الغيرة على الدين من المسلمين ؛ فأتوا ببيانها من القواعد ، فتهاوَّت أركانها ، وتهافَّت كتهافت الفراش في النار . ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] .

أبرز موضوعات الشبهات المثارة للطعن في القرآن الكريم



= وأذَّلُوا في ذلك بَعْلَل رَّبِّمَا أَمَالَت الضَّعِيفُ الْعَمْرُ ، والحَدَّثُ الْغَرَّ ، واعترضت بالشُّبْهَة في القلوب ، وقدَحَت بالشُّكُوك في الصُّدُور ... فَأُجِيبَتْ أَنْ أَنْصَحَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَأُزْمِيَ مِنْ وَرَائِهِ بِالْحُجَجِ النَّبِيَّةِ ، وَالْبَرَاهِينِ الْبَيِّنَةِ ، وَأَكْشَفَ لِلنَّاسِ مَا يَلْتَبِسُونَ ، فَأَلْفَتَ هَذَا الْكِتَابَ جَامِعًا لِتَأْوِيلِ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ ، مُسْتَبْنًى ذَلِكَ مِنَ التَّفْسِيرِ بِزِيَادَةِ فِي الشَّرْحِ وَالْإِيضَاحِ ، ...» .

(١) رواه مسلم (٣/ ١٦٨٥) (٢١٣٥) .

خلاصة الفصل الثالث (علوم خصائص القرآن وحقوقه)

١ - أسماء القرآن وأسماء سُورِهِ

١ / ١ أسماء القرآن توقيفية، لذا اجتهد أهل العلم بجمعها واستخراجها من الكتاب والسنة.

٢ / ١ اختلف في عدد أسماء القرآن وتحديدتها لاختلافهم في التفريق بين أسماء القرآن وصفاته، لذا حصر بعض أهل العلم أسماءه في أربعة: القرآن، الكتاب، الفرقان، الذكر، وعدوا ما سوى ذلك من صفاته.

٣ / ١ الفرق بين القرآن والمصحف أن القرآن كلام الله تعالى، والمصحف: هو الصُحُف التي كُتِبَ فيها كلام الله تعالى.

٤ / ١ ذكر أن تسمية السور توقيفية، ولا يمنع أن تكون لبعض السور أسماء أخرى اجتهدية، لوروده عن الصحابة.

٥ / ١ يمكن تقسيم السور باعتبار تعدد أسمائها إلى قسمين: ما لها اسم واحد، وما لها أكثر من اسم.

٦ / ١ ورد تسمية أكثر من سورة باسم واحد، كذلك تسمية بعض الآيات.

٧ / ١ أسباب تسميات السور: إما بموضوع مذكور فيها، أو بلفظ انفردت به، أو بمطلعها.

٨ / ١ من أبرز مصادر معرفة أسماء السور: الأحاديث النبوية التي ترد فيها أسماء للسور، والآثار الواردة عن السلف، وكُتُب الأحاديث المسندة، وكتب التفسير، وكتب علوم القرآن الجامعة، والكتب الخاصة في الموضوع.

٢ - فضائل القرآن وسُورِهِ

١ / ٢ فضائل القرآن: هي ما ورد من مزايا للقرآن كُله أو بعضه، تُبين شرفه، وتظهر منافعه في الدنيا والآخرة.

٢ / ٢ فضائل القرآن أمر توقيفي؛ لذا فإن مصدرها الأصل هو الكتاب والسنة.

٣ / ٢ يمكن إجمال موضوعات علم فضائل القرآن في ثلاثة: فضائل القرآن العامة، فضائل أهلِهِ وحملته، فضائل سُورِهِ وآياته.

٤ / ٢ ورد عن النبي ﷺ ما يدلُّ على فضائل خاصة لبعض السُّور، وذلك إما بذكر أجرٍ يترتَّب على قراءتها، أو بقصد قراءتها في وقت معيَّن، أو ببيان أثرها الحيِّ والمعنويِّ على المسلم. وهي أقلُّ من السُّور التي لم يثبُت فيها فضائل.

٥ / ٢ التفاضل بين سُور القرآن وآياته أمرٌ ثابتٌ: لورود أحاديث خَصَّت بعض الآيات والسُّور بمزيد فضلٍ.

٦ / ٢ مصادر معرفة فضائل القرآن وسُوره نوعان: أساسيةٌ: وهي القرآن والسُّنة من كُتُب الحديث الجامعة أو الخاصة بفضائل القرآن، وفرعيةٌ: وهي كُتُب التفسير وكتب علوم القرآن الجامعة.

٣- إعجاز القرآن

١ / ٣ إعجاز القرآن: هو إثبات عَجْز البَشَر عن الإتيان بمِثْلِهِ أو معارَضَتِهِ.

٢ / ٣ والمعجزة: أمرٌ خارق للعادة، مقرونٌ بالتَّحْدِي، سالمٌ من المعارضة. ولم يردْ مصطلحُها في القرآن أو السُّنة، لكن جاءت مُصطلحات أخرى بمغناه مثل (الآية)، و(البَيِّنَة) و(الْبُرْهَان) و(السُّلْطَان).

٣ / ٣ اختلف في وجوه إعجاز القرآن، والأصحُّ أنَّ الوجْه المتَّحَدِّى به المعجِز إعجازاً تامًّا هو نَظْم القرآن البديع (لغةً وبلاغةً وأسلوباً)، لأنَّه الوجْه الذي برَّع فيه العَرَبُ، وينتَظِم في كلِّ سُور القرآن.

٤ / ٣ أبرز وجوه الإعجاز في بحوث المعاصرين أربعة: الإعجاز اللُّغوي، والإعجاز النَّشْرِي، والإعجاز الغيبي، والإعجاز العلمي.

٥ / ٣ يتناول الإعجاز العلمي: آيات القرآن التي فيها إشارة لبعض القضايا العلميَّة المتعلِّقة ببعض العلوم الكونيَّة والتَّجْريبيَّة، وقد شابَهُ شَيءٌ من التَّضخيم والمبالغة لدى المعاصرين.

٦ / ٣ أيُّ تفسيرٍ جاء بعد تفسير السُّلْف من الصحابة والتابعين وأتباعهم لا يُقْبَل إلا بضوابط: أن تكون القضية المفسَّر بها صحيحةً في ذاتها، وأن لا تُبطل قول السُّلْف، وأن تحتَمِل الآية القضية المفسَّر بها، وأن لا يُقصر معنى الآية على هذا التفسير المعاصر.

٧ / ٣ من أبرز مصنَّفات المتقدِّمين في إعجاز القرآن «إعجاز القرآن» للباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، و«دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجُرْجاني (ت: ٤٧١هـ)، وللمعاصرين: «إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة» لمصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، و«النُّبأ العظيم» لمحمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ).

٤ - الانتصار للقرآن

١/٤ علم الانتصار للقرآن الكريم: هو العلم الذي يُبحث في معرفة الشُّبهات المثارة حول القرآن الكريم، والردّ عليها بالحُجَّة الصَّحيحة. ومن هنا فموضوعه: معرفة الشُّبهات حول القرآن ومعرفة كيفية الردّ عليها.

٢/٤ أُثِّرت الشُّبهات حول القرآن منذ نزوله، حيث ادَّعى كفَّار قُرَيْش أنه ليس من عند الله فَجَاء الردّ عليهم بتحليلهم أن يأتوا بسورة من مثله.

٣/٤ ظهر في القرون الأولى بعض الرُّبادة والفلاسفة والفرق المنحرفة ممن يطعن في الإسلام ويشكك في القرآن فظهرت مصنَّفات تُردُّ عليهم وتنقُض دَعاوهم، من أشهرها: «تأويل مُشكَل القرآن» لابن قُتَيْبَة (ت: ٢٧٦هـ)، و«الانتصار للقرآن» للباقلاني (ت: ٤٠٣هـ).

٤/٤ مع ضَعف المسلمين في القرون المتأخِّرة برز المستشرقون الذين اعتنوا بعلوم المسلمين للتشكيك في دينهم، فصُنِّفت كُتُب تدفع مطاعنهم في القرآن، كـ«النَّبأ العظيم» لمحمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، و«دفاع عن القرآن ضد مُنتقديه» لعبد الرحمن بدوي.

٥/٤ في السَّنَوَات الأخيرة برز بعض العلمانيِّين من تلاميذ المستشرقين بدعاوى تطبيق المنهجيات الحديثة على القرآن، وقد صُنِّفت العديد من الكُتُب للردِّ عليهم مثل كتاب «العلمانيون والقرآن الكريم: تاريخية النص»، لأحمد إدريس الطعان.

٦/٤ يُمكن ردّ المطاعن والشُّبهات حول القرآن إلى أربعة أصول: الشُّبهات حول مصدر القرآن، الشُّبهات حول نقل القرآن، اتِّهام القرآن بالتناقُض في آياته، اتِّهام القرآن بمعارضة الحقائق التاريخية والكونية.



أسئلة تقويمية

- ١- عِدِّد أسماء القرآن.
- ٢- اذكر الفرق بين القرآن والمصحف.
- ٣- هل تسمية السور توقيفية؟ ناقش المسألة في ضوء ما درّست.
- ٤- ما هي أقسام السور باعتبار تعدد أسمائها؟
- ٥- عِدِّد أقسام القرآن الواردة عن النبي ﷺ.
- ٦- وضح علل تسميات السور.
- ٧- عِدِّد خمسًا من مصادر معرفة أسماء السور.
- ٨- ما المراد فضائل القرآن؟
- ٩- هل فضائل القرآن أمر توقيفي أم اجتهادي؟ وما مصدرها الأصل؟
- ١٠- اذكر موضوعات علم فضائل القرآن.
- ١١- هل تتفاضل آيات القرآن وسوره؟ وضح ذلك.
- ١٢- هل السور التي ثبت فيها فضائل أكثر من السور التي لم يثبت فيها فضائل؟ وضح ذلك.
- ١٣- ما هي مصادر معرفة فضائل القرآن وسوره؟ اذكر مثالًا لكل صنف.
- ١٤- وضح المقصود بإعجاز القرآن.
- ١٥- عرف المعجزة.
- ١٦- تحدّث عن نشأة موضوع إعجاز القرآن باختصار.
- ١٧- ما الوجه الصحيح لإعجاز القرآن؟ علّل ذلك.
- ١٨- عِدِّد أبرز وجوه الإعجاز في بحوث المعاصرين.
- ١٩- ما المقصود بالإعجاز العلمي؟
- ٢٠- شاب دراسة الإعجاز العلمي لدى المعاصرين شيء من التضخيم والمبالغة. وضح ذلك.
- ٢١- ما هي ضوابط قبول التفسير الذي جاء بعد تفسير السلف؟
- ٢٢- ما المراد بالإعجاز العددي؟ وما رأيك فيه؟
- ٢٣- اذكر اثنين من أبرز المصنّفات في إعجاز القرآن لدى المتقدمين، وآخرين للمعاصرين.

- ٢٤- ما المراد بتدبر القرآن؟
- ٢٥- تحدّث عن أهميّة تدبر القرآن.
- ٢٦- ما هي الأركان التي يقوم عليها التدبر؟
- ٢٧- اذكر الشروط الأساسيّة في المتدبر.
- ٢٨- عرّف علم الانتصار للقرآن.
- ٢٩- اشرح موضوع علم الانتصار للقرآن.
- ٣٠- تحدّث عن تاريخ إثارة الشُّبهات حول القرآن منذ نزوله إلى العصر الحاضر ودور علماء المسلمين في ردّها.
- ٣١- تُردّد المطاعن والشُّبهات حول القرآن إلى أربعة أصول، اذكرها.

أسئلة إثرائية

- ١- استخرج ثلاثاً مما يلي:
 - آيات ذُكر فيها القرآن باسم الكتاب.
 - سُور لها أكثر من اسم.
 - آيات ذُكر فيها القرآن باسم التّكر.
 - من أسماء سورة الفاتحة.
 - آيات لها تسميات خاصّة.
 - سور سُمّيت لقصّة ذُكرت فيها.
- ٢- ما علّة تسمية كل من السُّور التالية: المائدة، الأنفال، يوسف، الأحزاب، سبأ، فاطر، الحديد؟
- ٣- حاول حصر السور التي ثبّت وصحّ فيها فضائل خاصّة.
- ٤- اذكر ثلاثة أحاديث في كلّ ممّا يلي:
 - فضل تلاوة القرآن - فضل تعلم القرآن - فضل حفظ القرآن - فضائل خاصّة لسور بذكر
 - أجر يترتّب على قراءتها - فضائل خاصّة لسور قصّد الرسول ﷺ قراءتها في وقت معيّن.
- ٥- عُدّ إلى كتاب «معتك القرآن في إعجاز القرآن» للسّيوطي، واستخرج منه ١٥ وجهاً مما ذكره من وجوه إعجاز القرآن.

الفصل الرابع علوم قراءة القرآن

- أولاً: الأحرف السبعة .
- ثانياً: علم القراءات .
- ثالثاً: علم التجويد .
- رابعاً: علم الوقف والابتداء .
- خامساً: آداب قراءة القرآن .

أهداف الفصل

يُتَوَقَّع من الدارس في نهاية دراسته لهذا الفصل أن يكون قادراً على أن:

- (١) يوضّح المراد بالأحرف السبعة .
- (٢) يعرف بالقراءات العشر .
- (٣) يتحدّث عن علم التجويد ومراحل نشأته .
- (٤) يبيّن علم الوقف والابتداء ومصطلحاته في المصحف .
- (٥) يذكر أبرز آداب تلاوة القرآن .

القرآن كلام الله ﷻ، أنزله هدى للناس ونوراً مبيناً، ومنجاةً من الضلالة، وهادياً إلى الحق، ورتب على تلاوته فضلاً كبيراً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ ۖ لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

وجعل على تلاوة حرف منه أضعافاً مضاعفة من الحسنات: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الْحَاءُ﴾ حَرْفٌ؛ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(١).

لذا كانت قراءته من أهم ما يحرص عليه المسلمون، حتى ينهلوا من هذا المورد العذب، وينالوا ذلك الفضل الكبير، ويبلغوا تلك المنزلة السامية، ولا شك أن بلوغ ذلك إنما يحصل بقراءة القرآن قراءةً صحيحة كما أنزل، لذا أقبل المسلمون على تعلّمه وتعليمه والمداومة عليه، وتنافسوا في ذلك، ومن هنا نشأت أنواع من علوم القرآن ومسائله يُعين الإلمام بها على الوصول إلى تلك المنزلة العالية في هذه العبادة الجليلة، ومن أهمّها:

١- الأحرف السبعة.

٢- علم القراءات.

٣- علم التجويد.

٤- علم الوقف والابتداء.

٥- آداب قراءة القرآن.

وفي هذا الفصل بيان موجز لمبادئ كلّ منها، وتوضيح لأهمّ مسائله:

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٣٢٧).

أولاً: الأحرف السبعة

نزل القرآن الكريم ميسراً على الأمة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وكان من صور تيسيره نزوله على سبعة أحرف، وقد تواترت الأحاديث النبوية بذلك^(١)، منها قوله ﷺ: «إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تيسَّر»^(٢)، وقوله ﷺ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أُسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ سَبْعَةُ أَحْرَفٍ»^(٣).

فما المراد بالأحرف السبعة؟ وهل بقيت؟ هذا ما ستناوله بإيجاز في هذا المبحث.
أولاً: مفهوم الأحرف السبعة:

اختلف كثيرا في المراد بالأحرف السبعة^(٤)، غير أن ظاهر الأحاديث يدل على أنها متعلقة بالألفاظ القرآنية في جانب الأداء وأوجه التلاوة، كالإدغام والإظهار، والمد والقصر، والفتح والإمالة، وتحقيق الهمز وتسهيله وإبداله، والإبدال بين الحروف، واختلاف الإعراب والتذكير والتأنيث، ونحو ذلك، لذا فإن الأقرب في بيان المراد بالأحرف السبعة أنها: وجوه قرائية منزلة متغايرة، أفصى حد يمكن أن تبلغه هو سبعة أوجه في الكلمة القرآنية الواحدة^(٥).

(١) ينظر: الإتقان (٣٠٨/١).

(٢) متفق عليه من حديث عمر رضي الله عنه صحيح البخاري (١٢٢/٣) (٢٤١٩)، وصحيح مسلم (١/٥٦٠) (٨١٨). وسبب ورود الحديث فيما رواه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ بْنَ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا اقْرَأُوهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَ بِهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَجْعَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبِيتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتِيبَهَا، فَقَالَ لِي: «أَرْسِلْنِي»، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ»، فَقَرَأَ، قَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ»، ثُمَّ قَالَ لِي: «اقْرَأْ»، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تيسَّر».

(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، صحيح البخاري (١١٣/٤) (٣٢١٩)، صحيح مسلم (١/٥٦١) (٨١٩).

(٤) أوصلها السيوطي في الإتقان (٣٠٩/١-٣٣٣) إلى أربعين قولاً.

(٥) ينظر: حديث الأحرف السبعة (ص ٦٥).

شرح التعريف^(١):

- وجوه قرائية: وهذا ظاهر من ألفاظ الأحاديث حيث دلت على أن هذه الأحرف شيء متعلق بالقراءة، نحو: «فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ»، «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ». - منزلة: من عند الله، كما دلت عليه الأحاديث كقوله ﷺ: «هكذا أنزلت»، وهذا يتضمن منع التصرف في الألفاظ دون تقيده بما أنزل.

- متغايرة: إشارة إلى وجود الاختلاف بين هذه الوجوه. - أقصى حد يمكن أن تبلغه هو سبعة أوجه في الكلمة القرآنية الواحدة: الوجوه القرائية - فيما يظهر - أكثر من سبعة وجوه كما تقدّم في تعداد بعضها قبل التعريف، لكن المقصود هنا أنه لم يجتمع في الكلمة الواحدة ضمن نوع واحد من أنواع الاختلاف أكثر من سبعة أوجه، لأن ذلك أقصى ما تصل إليه هذه الوجوه المنزلة، فقد يكون في الكلمة الواحدة وجه أو وجهان أو ثلاثة إلى سبعة أوجه قرائية، ولا يمكن أن تزيد؛ والعدد سبعة مقصود في التحديد كما نصت عليه الأحاديث، وليس المراد به التكاثر. مثال ذلك في سورة الفاتحة^(٢):

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: قُرِئَتْ في القراءات العشر على وجهين: مَلِكٌ وَمَالِكٌ. ﴿الصِّرَاطَ، صِرَاطٌ﴾: قُرِئَتْ في القراءات العشر على ثلاثة أوجه: بِالصَّادِ وَالسَّيْنِ، وبين الصاد والزَّاي (صاد مجهورة).

﴿عَلَيْهِمْ﴾: فيها نوعان من أنواع الاختلاف:

- ١- الهاء: وفيها وجهان قرائيان: الكسر والضم.
 - ٢- ميم الجمع: قُرِئَتْ بوجهين: الإسكان، أو الضم مع وصلها بواو لفظاً.
- هل اشتملت المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة؟
ذهب جمهور السلف والخلف إلى أن المصاحف العثمانية في مجموعها تشتمل

(١) ينظر: حديث الأحرف السبعة (ص ٦٥ - ٧٧).

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧١).

على ما ثبت في العَرَضَة الأخيرة من الأحرف السبعة^(١)، مما يحتمله رسم هذه المصاحف، فليس كل مصحف بمفرده يشتمل على جميع الأحرف السبعة، بل الثابت من الأحرف السبعة منتشر في المصاحف العثمانية كلها^(٢).

الحكمة من رخصة الأحرف السبعة:

نصت الأحاديث على أظهر الحكم من رخصة الأحرف السبعة وأهمها وهو التيسير على الأمة، لأن القرآن نزل على أمة عربية ذات قبائل متعددة مختلفة اللهجات، مما يقع بعضهم في المشقة والحرَج إذا ألزم بأن يقرأ بما يخالف لهجته^(٣)، فجاء التيسير بأن يقرؤوا بما يتيسر من الأحرف السبعة، فعن أبي بن كعب، قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل، فقال: يا جبريل إني بُعِثت إلى أمة أميين: منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف^(٤).



(١) القراءات التي وصلت إلينا تدلُّ على أنه قد تُرك بعض القراءات التي كان يُقرأ بها؛ لأن أعلى ما وصلنا من الوجوه القرائية المتواترة في الكلمة الواحدة لا تصل إلى سبعة أوجه، وهذا التُّرك لبعض الأوجه وقع في العَرَضَة الأخيرة، مثل كثير من أفراد القراءات التي ثبتت بأسانيد مُفردة، كقراءة (وَالذِّكْرُ وَالْأُنْثَى) التي ثبتت عن ابن مسعود وأبي الدرداء رضي الله عنهما كما تقدّم ص ٦٥، ح ٣. وينظر: حديث الأحرف السبعة (ص ٧٦، ١١٦ - ١١٧)، المحرر في علوم القرآن (ص ٩٥).

(٢) ينظر: النشر (٣١/١)، الإتيان (٣٣٤/١).

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن (ص ٣٨)، النشر (٢١/١).

(٤) أخرجه أحمد (١٣٢/٣٥) (٢١٢٠٤)، والترمذي (٤٤/٥) (٢٩٤٤)، وقال: حسن صحيح.

ثانياً: علم القراءات

مفهوم القراءات:

القراءات جمع قراءة، وهي مصدر «قرأ»، بمعنى تلا. وعلم القراءات: هو علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزواً لتأويله^(١). وموضوع هذا العلم - كما في التعريف - يتناول كلمات القرآن من حيث النطق بها، وكيفية قراءتها على اختلاف ذلك ما بين مدٍّ وقصر، وإدغام وفكٍّ، وفتح وإمالة، وتسهيل وتحقيق، إلى غير ذلك من أصول القراءة، إضافة إلى الفرش. ومعنى «معزواً لتأويله» أي: نسبة هذه الكيفية إلى من قرأ بها من القراء، والنسبة إليه لدوامه على تلك القراءة ولزومه لها، وليست نسبة اختراع واجتهاد. مصدر القراءات والعلاقة بينها وبين الأحرف السبعة:

القراءات هي جملة ما بقي من الأحرف السبعة، والوجوه المتكاثرة في القراءات إنما تشعبت من الأحرف السبعة التي نزلت على النبي ﷺ، فمصدر القراءات هو الوحي^(٢)، فهي مما نزل على النبي ﷺ فأقرأه أصحابه، الذين أقرؤوا من بعدهم، ومن ثم تم نقلها بالتلقي والسماع والمشافهة حتى وصلت إلينا، لأن «القراءة سنة»، يأخذها الآخر عن الأول^(٣).

تاريخ القراءات:

يمكن القول بأن القراءات مرت بثلاث مراحل أساسية:

(١) مرحلة التلقي: تلقى الصحابة ﷺ القرآن عن النبي ﷺ، وحين توفي ﷺ تفرقوا في البلاد فاتحين ومعلمين، فأقرأ كل منهم في البلد الذي نزل فيه بما قرأ على النبي ﷺ، وحين حصل اختلاف في القراءة بين بعض تلامذتهم وحدهم عثمان ﷺ على ما

(١) منجد المقرئين (ص ٤٩).

(٢) المدخل إلى علم القراءات، د. عبد القيوم السندي (ص ٢٠-٢٢).

(٣) السبعة في القراءات (ص ٤٧)، النشر في القراءات العشر (١/ ٤٢٩)، منجد المقرئين (ص ٥٣).

اشتملت عليه العرْضة الأخيرة، وألزمهم بما في المصاحف التي وجهها إليهم كما تقدّم في مبحث جمع القرآن، وهكذا مضى جيل الصحابة والنّاس يُقرّون بما في المصاحف على ما أقرأهم الصحابة رضي الله عنهم، وكثُر الآخذون عنهم مع تعدّد الأوجه التي تضمّنتها العرْضة الأخيرة مما بقي من الأحرف السبعة.

(٢) مرحلة الاختيار: كانت القراءة تُنسب ابتداءً إلى بعض الصحابة أو إلى الأمصار التي نزلوا بها، فيقال قراءة زيد أو قراءة أهل المدينة، ثم صارت تُنسب إلى بعض أعلام نقلتها من التابعين وأتباعهم، وذلك لأن هؤلاء القراء درسوا القراءات واختار كلٌّ منهم قراءةً مما درس فداوم عليها ولزمها فتُسبت إليه، فقليل قراءة عاصم، وقراءة نافع، وقراءة ابن كثير، وتلك نسبة اختيار ومداومة، وليست نسبة اختراع وإنشاء، لأن أصولها مستمدة من قراءات الصحابة الذين قرؤوا على النبي صلى الله عليه وآله.

(٣) مرحلة تحديد القراءات وتدوينها: مع مُضي القرن الثاني ثم الثالث كثُر القراء وتعدّدت اختياراتهم وكثرت القراءات المنسوبة إليهم، فتصدّى بعض الأئمة لضبط ما روي من القراءات، فكان أول إمام معتبر جمّعها في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤)، وجعلهم خمسة وعشرين قارئاً مع السبعة^(١)، ثم في مطلع القرن الرابع صنّف الإمام أبو بكر بن مجاهد (ت: ٣٢٤) كتابه «السبعة»، مقتصرًا فيه على سبعة قراء أجمع الناس على قراءاتهم^(٢)، وذلك من الأمصار الخمسة التي أرسل إليها عثمان رضي الله عنه المصاحف، واختار لكل قارئ منهم راويين اثنين ممن اشتهروا بالضبط والعدالة والإتقان، وهؤلاء القراء هم:

١- نافع المدني: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت: ١٦٩)، وراويه هما: قالون (عيسى بن مينا: ت: ٢٢٠)، وورْش (عثمان بن سعيد المصري: ت: ١٩٧).

٢- ابن كثير المكي: عبد الله بن كثير الداري (ت: ١٢٠)، وراويه هما: البرقي (أحمد ابن محمد بن عبد الله بن القاسم ابن أبي بزة، ت: ٢٥٠)، وقُنبَل (محمد بن عبد الرحمن المخزومي مولاهم، ت: ٢٩١).

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٣٤).

(٢) ومن هنا ظهر مصطلح القراءات السبع، التي هي جزء مما بقي من الأحرف السبعة اختارها هؤلاء الأئمة السبعة وضبطوها وداوموا عليها وأقرأوا بها فتُسبت إليهم.

٣- أبو عمرو البصري: زيان بن العلاء المازني البصري (ت: ١٥٤)، وراوياه الدوري (حفص بن عمر الدوري، ت: ٢٥٦)، والسوسي (صالح بن زياد السوسي، ت: ٢٦١).
 ٣- ابن عامر الشامي: عبد الله بن عامر اليحصبي (ت: ١١٨)، وراوياه هشام (بن عمار الدمشقي، ت: ٢٤٥) وابن ذكوان (عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان القرشي الدمشقي، ت: ٢٤٢).

٤- عاصم الكوفي: عاصم بن أبي النجود الأسدي مولا هم (ت: ١٢٧)، وراوياه شعبة (أبو بكر بن عياش الكوفي، ت: ١٩٣)، وحفص (بن سليمان بن المغيرة الأسدي، ت: ١٨٠).
 ٥- حمزة الكوفي: حمزة بن حبيب الزيات (ت: ١٥٨)، وراوياه خلف (بن هشام البزاز، ت: ٢٢٩)، وخلاّد (بن خالد الصيرفي، ت: ٢٢٠).

٦- الكسائي الكوفي: علي بن حمزة الأسدي مولا هم (ت: ١٨٩)، وراوياه: أبو الحارث (الليث بن خالد المروزي البغدادي، ت: ٢٤٠)، والدوري (حفص بن عمر الدوري راوي أبي عمرو المتقدم، ت: ٢٥٦).
 فهؤلاء سبعة قراء وأربعة عشر راوياً.

وتبع ابن مجاهد في الاختصار على السبعة كثير ممن صنف في القراءات، من أبرزهم أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤) في كتابه (التيسير في القراءات السبع).
 وقد استدرك بعض المصنفين^(١) على ابن مجاهد ثلاثة قراء آخرين هم على شرط ابن مجاهد، ولقراءاتهم من الشهرة والاستفاضة والقبول والاعتبار ما للسبعة، وهم:
 ٧- أبو جعفر المدني: يزيد بن القعقاع المخزومي مولا هم (ت: ١٣٠)، وراوياه هما: ابن وردان (عيسى بن وردان، ت: ١٦٠)، وابن جهماز (سليمان بن محمد بن مسلم بن جهماز، ت: ١٧٠).

٨- يعقوب البصري: يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مولا هم (ت: ٢٠٥)، وراوياه رؤيس (محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، ت: ٢٣٨)، ورفح (بن عبد المؤمن البصري، ت: ٢٣٤).

(١) ومن أبرزهم ابن الجزري (ت: ٨٣٣).

٩- خَلَفَ العاشر: خَلَفَ بن هشام البزار البغدادي، راوي حَمَزَة المتقدم (ت: ٢٢٩)، وراويها إسحاق (بن إبراهيم المروزي البغدادي، ت: ٢٨٦)، وإدريس (بن عبد الكريم الحداد البغدادي، ت: ٢٩٢).

فهؤلاء ثلاثة قُراء متممون للعشرة^(١)، وستة رُواة تمام العشرين.
وهكذا في القرون المتأخرة انحصرت القراءات الصحيحة المعتبرة في القراءات العشر، وهي ما بقي بين أيدينا اليوم من القراءات الصحيحة المتواترة، وعدّها ما سواها شاذّاً لا تصحّ القراءة به؛ لعدم توفّر شروط القراءة الصحيحة بها.

القراء العشرة ورواتهم

خلف العاشر	يعقوب البصري	أبو جعفر المدني	الكسائي الكوفي	حمزة الكوفي	عاصم الكوفي	ابن عامر الشامي	أبو عمرو البصري	ابن كثير المكي	نافع المدني
إسحاق	ربيع	ابن وردان	أبو الجارث	خلف	شعبة	هشام	الدوري	الزبي	قالون
إدريس	روح	ابن جمار	الدوري	خلاد	حفص	ابن ذكوان	الموسمي	قنبل	وريش

القراءة الصحيحة والقراءة الشاذة:

عندما بدأ العلماء التصنيف في القراءات والتمييز بينها استندوا في اختيارهم إلى شروط معتبرة، وأركان لا بدّ أن تتضمنها القراءة حتى تصحّ، ومن ثمّ صارت كلّ قراءة توفّرت فيها تلك الشروط قراءة صحيحة مقبولة، يُقرأ ويُتعبّد بها، ولا يجوز ردّها، وما خالف تلك الشروط فهي قراءة شاذّة، لا تصحّ القراءة والتعبّد بها، وشروط القراءة الصحيحة هي:

- ١- صحة السند إلى الرسول ﷺ.
- ٢- موافقة خطّ المصحف ولو احتمالاً.
- ٣- موافقة اللّغة العربية ولو بوجه من الوجوه^(٢).

(١) ومن هنا ظهر مصطلح القراءات العشر، والقراء العشرة.

(٢) وقد جمعها ابن الجزري في منظومته طيبة النشر بقوله:

أبرز كُتُب القراءات ومنظوماتها:

ظل كتاب «السبعة» لابن مجاهد هو العُمدة في القراءات حتى ظهر كتاب «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني الأندلسي (ت: ٤٤٤) فاشتهر واعتنى به أهل العلم وطلبته، وكان من أكبر مظاهر العناية به نُظْم أبي القاسم بن فيره الشاطبي (ت: ٥٩٠) له في قصيدته اللامية الموسومة بـ: «حِرْز الأمانى ووجه التهاني»^(١) المشهورة بـ«الشاطبية»، التي صارت عُمدة في تلقي القراءات السبع إلى يومنا هذا، ونالت عناية كبيرة من القراء وطلبة العلم حفظاً واستظهاراً، وشرحاً وتحريراً^(٢).

وفي أواخر القرن الثامن برز ابن الجزري (ت: ٨٣٣) فاستدرك على تيسير أبي عمرو الداني القراءات الثلاث المتممة للعشر في كتابه «تحرير التيسير»، ونظم القراءات الثلاث في منظومته الموسومة بـ«الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المرضية»^(٣). ثم اجتهد رحمه الله في العناية بالقراءات العشر، وتنبع أسانيدُها وحرر طرقها، واستخلص أوجهها أخرى مما لم يذكره أبو عمرو الداني والشاطبي، واستوعب ذلك في كتابه «النشر في القراءات العشر»، ثم نظمته في منظومته «طيبة النشر في القراءات العشر»^(٤).

فَكُلُّ مَا وَاقَقَ وَجْهَ نَحْوِي وَكَانَ لِلرَّسْمِ اخْتِمَالًا يَخْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ
وَحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَتَيْتِ شُدُودَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّيِّعَةِ

(١) وهي في (١١٧٣) بيتاً، جمعت أصول القراءات السبع وفقرشها، مطلعها:

بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللَّهِ فِي النَّظْمِ أَوَّلًا تَبَارَكَ رَحْمَانًا رَحِيمًا وَمَوْئِلًا

(٢) ومن أشهر شروحها: فتح الوصيد لعلم الدين السخاوي تلميذ الشاطبي (ت: ٦٤٣)، وكَنَز المعاني لشعلة الموصلي (ت ٦٥٦)، وإبراز المعاني لأبي شامة المقدسي (ت: ٦٦٥)، ومن الشروح المعاصرة: الوافي لعبد الفتاح القاضي (ت: ١٤٠٣).

(٣) وهي في (٢٤١) بيتاً، نظمها على وزن الشاطبية وقافيتها، مطلعها:

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَحَدَهُ عَلَاً وَمَجْدُهُ وَأَسْأَلُ عَوْنَهُ وَتَوَسَّلَا

(٤) وهي في (١٠١٥) بيتاً، مطلعها:

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ يَا ذَا الْجَلَالِ اِرْحَمْهُ وَأَسْتَرْ وَأَغْفِرْ

وهكذا صارت مؤلفات ابن الجزري عمدة المتأخرين في القراءات إلى العصر الحاضر، ومن ثمَّ تحدّد تلقّي القراءات العشر في مستويين: القراءات العشر الصغرى، وذلك من طريق منظومتى الشاطبية والدرة المضيّة، والقراءات العشر الكبرى من طريق النشر.

القراءات المشهورة في العصر الحاضر:

تلقت الأئمة القراءات الصحيحة بالقبول على درجة واحدة في الثبوت والصحة والفصاحة، ولم يوجب أحدُ القراءة بقراءة معيّنة منها أو بجمعها، وإنما كان أهل العلم يجمعون عدداً من القراءات ويعتنون بذلك، أما عامة الناس فكانوا يكتفون بقراءة واحدة يتعبّدون بها، لذا انتشرت قراءات معيّنة في بعض البلاد، وظلّ الحال ما بين انتشار قراءة وانحسار أخرى حتى سادت في القرون المتأخّرة أربع روايات من ثلاث قراءات هي:

١- قراءة نافع المدني بروايته عن قالون وورش: وذلك في بلاد المغرب العربي عموماً، وأغلب مصاحفهم تُطبع بإحداهما.

٢- قراءة أبي عمرو البصري برواية الدوري، وذلك في السودان وبعض الدّول الإفريقية الأخرى.

٣- قراءة عاصم الكوفي برواية حفص، وهي أكثر الروايات انتشاراً اليوم على الإطلاق، يُقرأ بها في البلاد العربيّة المشرقيّة، وجميع الدول الإسلامية الآسيويّة كتركيا والهند وباكستان وأفغانستان وأندونيسيا، وأغلب المصاحف المطبوعة اليوم وفق هذه الرواية.

فوائد تعدّد القراءات واختلافها:

اختلاف القراءات هو اختلاف تنوّع وتغاير لا اختلاف تضادّ وتناقض، فإن هذا مُحالٌ أن يكون في كلام الله تعالى، وقد قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقد ذكر أهل العلم فوائد عديدة لتنوّع القراءات واختلافها، فمن ذلك^(١):

١- التّخفيف على الناس بالقراءة على الوجه المتيسّر لهم، وهذا تبع لُرخصة الأحرّف السبعة.

(١) ينظر في ذلك: النشر في القراءات العشر (١/٤٩-٥٢).

- ٢- إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يُفَرِّغون جهدهم في دراسة القراءات وإحكام أوجهها، وتتبع معانيها، واستنباط الحكم والأحكام من دلالات ألفاظها.
- ٣- قال ابن الجَزَرِي: «في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كُلُّ قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدثها لم يخف ما كان في ذلك من التَّطويل»^(١).
- ٤- الاستفادة منها في التفسير بتبيين المَجْمَل^(٢)، أو تعدد المعاني^(٣)، أو غير ذلك، إذ كُلُّ قراءة بمنزلة الآية كما هو مُتَقَرَّر عند أهل العلم، وهذا من كمال الإعجاز كما تقدَّم في كلام ابن الجَزَرِي.



-
- (١) المرجع السابق (١/ ٥٢)، ومن أمثلة ذلك: اختلاف القراءة في كلمة «وَأَرْجَلَكُمْ» من قوله تعالى: «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجَلَكُمْ إِلَى الْكُمْبَيْنِ» [المائدة: ٦] بالنصب «وَأَرْجَلَكُمْ» والجر «وأرجلكم»، ففي قراءة النصب بيان لحكم غسل الرِّجْل حيث يكون العَطْف على معمول فعل الغسل «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ»، وفي قراءة الجر بيان لحكم المسح على الخُفَّين عند وجود ما يقتضيه؛ حيث يكون العطف على معمول فعل المسح «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجَلَكُمْ».
 - (٢) كما في قوله تعالى: «وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ» [البقرة: ٢٢٢]، قُرِئت «يَطْهَرْنَ» بالتشديد والتخفيف، فقراءة التشديد مبيِّنة لمعنى قراءة التخفيف، عند الجمهور، فالحائض لا يحلُّ وطؤها لزوجها بالطَّهر من الحيض، أي بانقطاع الدَّم، حتى تنطهر اغتسالًا بالماء.
 - (٣) كما في قوله تعالى: «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ» [التكوير: ٢٤] أي ببخيل في تبليغ الوحي، بمعنى أن النبي ﷺ مؤثَمَّنٌ على الوحي ما صَنَّ به على الناس بل نَشَره وبلغه وبذَّله لكل من أَرادَه، وقُرِئت أيضا «بِظَنِّينَ» بالظاء، أي بمتَّهم على ما يُخبر به من الوحي.

ثالثاً: علم التجويد

مفهوم علم التجويد وبيان موضوعاته:

علم التجويد: هو العلم الذي يُعرَف به إعطاء الحروف حقّها ومستحقّها من المخارج والصفات.

موضوعات علم التجويد: تتضمّن موضوعات علم التجويد مبحثين أساسيين: مخارج الحروف وصفاتها، والأحكام الناشئة عن التركيب بينها، وهذا يشمل ترفيق الحروف وتفخيمها، والإدغام بينها - ومن ضمنه أحكام الثّون الساكنة والتّنين -، والمدّ وأحكامه.

وألحقوا بهما مبحثاً ثالثاً يتعلّق بالوقف والابتداء^(١)، وموضع تفصيل ذلك هو كُتب التجويد.

حكم التجويد والغاية منه:

الغاية من علم التجويد هو صَوْن اللّسان عن الخطأ في تلاوة كتاب الله، واجتناب اللّحن الخفيّ المتمثّل في عدم إعطاء الحروف حقّها من الصفات اللازمة فيها أو العارضة لها، لذا لا بُدّ لقارئ القرآن أن يُلمّ بأحكامه حتى يقرأ القرآن بصورة صحيحة كما أنزل، وحتى يكون ماهراً في القرآن فينال أجر ذلك، ومن ثمّ أوجب جمهور أهل العلم على القارئ تعلّم التجويد، قال ابن الجزري:

وَالْأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتَّى لَا يَزِمَ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثِمٌ
لَأَنَّهُ بِهِ إِلَهِهُ أَنْزَلَ وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا
وَهُوَ أَيْضًا حِلْيَةُ التَّلَاوَةِ وَزِينَةُ الْأَدَاءِ وَالْقِرَاءَةِ

(١) يتضمّن كَيْفِيَّةُ الوقف والابتداء وبعض الأحكام المتعلقة بمواضع الوقف والابتداء، وكذلك ما يتعلّق بالقراءة من أحكام رَسْم المصحف. والأقرب أن ذلك ليس من أصول علم التجويد الذي يُعْنَى بنطق الحروف، وإن كان متممًا لفنّ الأداء القرآني، وسيأتي أن الوقف والابتداء مرتبطٌ بالمعنى والتفسير.

الفرق بين علم التجويد وبين علم القراءات:

يمكننا تجلية الفرق بين القراءات والتجويد بما يلي:

١- كان علم التجويد ابتداءً قبل أن يستقلَّ جزءاً من علم القراءات، حيث إنَّ علم القراءات ينقسم إلى قسمين: الأصول والفرش؛ وعلم التجويد في كثير من مباحثه يُعتبر من الأصول التي بحثها القراء.

٢- علم التجويد يُعنى بحقائق تُطَقُّ الحروف وقواعدها من خلال معرفة مخارجها وصفاتها وإعطاء كل حرف حقه ومستحقه، وما يتبع ذلك في التركيب من أحكام، بصرف النظر عن اختلاف القراء ونسبته إليهم، بينما علم القراءات يُعنى بضبط وجوه النطق بالفاظ القرآن ومعرفة اختلاف الروايات مع نسبة ذلك إلى روايتها.

٣- أحكام التجويد في معظمها موضع اتفاق بين أهل الأداء، بخلاف علم القراءات، ومن هنا وصفوا كُتُبَ التجويد بأنها كُتُبُ دراية واتفاق، بينما كتب القراءات كتب رواية واختلاف^(١).

نشأة علم التجويد:

يمكن القول بأن علم التجويد مر بثلاث مراحل أساسية:

(١) مرحلة التلقّي الشفهي: وذلك قبل عصر التدوين، حيث اعتنى القراء من الصحابة والتابعين بالظواهر الصوتية المتعلقة بمخارج الحروف وصفاتها وضبطها والتمييز بينها أثناء التلقّي الشفهي حال القراءة والإقراء.

(٢) مرحلة التدوين ضمناً في كُتُب اللّغة والقراءات: حيث ظهر البحث في مخارج الحروف وصفاتها في وقت مبكر وذلك من خلال كُتُب اللّغة، ومن أقدمها وأبرزها «الكتاب» لسيبويه (ت: ١٨٠) الذي خصّص باباً لدراسة الأصوات اللّغوية.

كذلك اعتنى بها بعض القراء في مصنفاتهم في علم القراءات، لكن لم يفرّدوا ذلك بكتب خاصة ابتداءً.

(١) ينظر: شرح المقدمة الجزرية، أ.د. غانم قدوري الحمد (ص ١٠٧).

(٣) مرحلة بروز علم التجويد كفنٍّ مستقلٍّ: مع مطلع القرن الرابع ظهر من علماء القراءة من حاول أفراد تلك المباحث في مصنّف مستقلٍّ، أطلق عليه لاحقاً علم التجويد^(١)، وذكروا أن أوّل مؤلّف فيه هو القصيدة «الخانقانية» التي نظمها أبو مزاحم موسى بن عبّيد الله الخاقاني البغدادي (ت: ٣٢٥).

ثم في مطلع القرن الخامس بدأت تبرز معالم هذا العلم وعنوانه وتتحدّد من خلال مؤلّفين نفيسين جامعين، لإمامين جليلين من أبرز علماء القراءات في ذلك القرن، هما: كتاب «الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق ألفاظ التلاوة» لمكيّ بن أبي طالب (ت: ٤٣٧)، وكتاب «التّحديد في الإتقان والتّجويد» لأبي عمرو الدّاني (ت: ٤٤٤).

ثم تتابعت مؤلّفات هذا العلم عبر القرون، حتى عصرنا الحالي الذي شهد عناية كبيرة واهتماماً واضحاً بعلم التجويد، تعلّماً وتعليماً ونشراً وتأليفاً، وذلك ثمرة لما تشهده الأمة من عودة إلى كتاب الله ﷻ وتلاوته وتعلّمه، يظهر ذلك جلياً من خلال حلقات تحفيظ القرآن في المساجد والمعاهد والدور القرآنية، وكان من نتاج ذلك العشرات من المؤلّفات في علم التجويد، حتى صار أبرز علوم القرآن عنايةً من مختلف فئات المسلمين؛ كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، عرباً وعجماً.

أبرز مصنّفات التجويد:

من المصنّفات المتقدّمة كتابا مكيّ بن أبي طالب (ت: ٤٣٧)، وأبي عمرو الدّاني (ت: ٤٤٤) المتقدّم ذكرهما، وكذلك كتاب «التّمهيد في علم التجويد» لابن الجزري (ت: ٨٣٣).

ومن المصنّفات المعاصرة: «أحكام قراءة القرآن» لمحمود خليل الحصريّ (ت: ١٤٠١)، «هداية القاري لتجويد كلام الباري» لعبد الفتّاح المرصفيّ (ت: ١٤٠٩)، «فنّ التّرتيل وعلومه» لأحمد الطويل.

أما المنظومات في علم التجويد فأبرزها على الإطلاق منظومة «المقدّمة في ما على

(١) على خلاف في تحديد من أوّل من أطلق هذا الاسم على هذا العلم.

قارئ القرآن أن يَعْلَمَهُ» لابن الجَزَرِيِّ (ت: ٨٣٣) المشهورة بالمقدمة الجَزَرِيَّة^(١)، التي طارت شُهْرَتُهَا فِي الْآفَاقِ، وَاعْتَنَى بِهَا أَهْلُ الْعِلْمِ -الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْهُمْ وَالْمُعَاصِرُونَ- حَفْظًا وَاسْتَظْهَارًا وَشَرْحًا وَتَحْرِيرًا وَتَعْلِيمًا وَتَعْلِيمًا^(٢)، تَلِيهَا مَنْظُومَةُ «تُحْفَةُ الْأَطْفَالِ وَالْعُلَمَانِ فِي تَجْوِيدِ الْقُرْآنِ» لِسُلَيْمَانَ الْجَمْزُورِيِّ (ت: بعد ١١٩٨)^(٣).



(١) وهي في (١٠٧) أبيات، مطلعها:

يَقُولُ رَاجِي عَفْوِ رَبِّ سَامِعٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْجَزَرِيِّ الشَّافِعِي

(٢) وقد حُظِّتْ بِالْعَشْرَاتِ مِنَ الشُّرُوحِ وَالْحَوَاشِي، وَمِنْ أَشْهَرِهَا: «الدَّقَائِقُ الْمَحْكَمَةُ فِي شَرْحِ الْمَقْدَمَةِ» لَزَكَرِيَّا الْأَنْصَارِيِّ (ت: ٩٢٦)، و«الْمِنْحُ الْفِكْرِيَّةُ فِي شَرْحِ الْمَقْدَمَةِ الْجَزَرِيَّةِ» لِمُلَّا عَلِيِّ الْقَارِيِّ (ت: ١٠١٤)، وَمِنْ أَوْسَعِ الشُّرُوحِ الْمُعَاصِرَةِ «شَرْحُ الْمَقْدَمَةِ الْجَزَرِيَّةِ» لِلْأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ غَانِمِ قُدُّورِيِّ الْحَمْدِ الصَّادِرِ عَنْ مَعْهَدِ الْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ فِي ٧١٠ صَفْحَاتٍ.

(٣) وهي في (٦١) بيتًا، مطلعها:

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ الْعَفْوِ دَوْمًا سُلَيْمَانُ هُوَ الْجَمْزُورِيُّ

وقد شرحها النَّاطِمُ فِي كِتَابِهِ «فَتْحُ الْأَقْفَالِ بِشَرْحِ مَثْنِ تُحْفَةِ الْأَطْفَالِ».

رابعاً: علم الوقف والابتداء

مفهوم الوقف والابتداء:

للقوف والابتداء عند القراء مفهومان:

الأول: معرفة كيفية الوقوف في القراءة وكيفية الابتداء، وهذا متعلق بكيفية الأداء، ومحلّه كُتُب علم التجويد والقراءات.

الثاني: معرفة ما يُوقف عليه وما يُبتدأ به، وهو متعلق بالمعنى، وهو المراد بهذا العلم إذا أُفرد بالتصنيف غالباً^(١)، وهو الذي سنتناوله في هذا المبحث بالتفصيل.

لذا يمكن تعريف علم الوقف والابتداء بأنه: علم يُعرف به القارئ المواضع التي يصلح الوقوف عليها أو لا يصلح، والمواضع التي يصلح الابتداء بها أو لا يصلح^(٢). والمراد بالوقف في قراءة القرآن: قطع الصوت على الكلمة زمنًا يُتنفّس فيه عادةً بنية استئناف القراءة^(٣).

أما الابتداء: فهو الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف^(٤).

أهمية علم الوقف والابتداء:

علم الوقف والابتداء من العلوم المهمة للمُقرئ والقارئ^(٥)، إذ به تتبيّن المعاني، وهذا هو الهدف من هذا العلم، قال أبو جعفر النّحاس (ت: ٣٣٨): «... فقد صار في معرفة القطع والائتناف [أي الوقف والابتداء] التفريق بين المعاني، فينبغي لقارئ القرآن أن يتفهّم ما يقرؤه، ويشغل قلبه به، ويتفكّد القطع والائتناف، ويحرص على أن يفهم

(١) ينظر: النّشر (١/ ٢٢٤)، ووقوف القرآن وأثرها في التفسير (ص ١٤).

(٢) ينظر: وقوف القرآن وأثرها في التفسير (ص ١٨).

(٣) أما إذا لم ينو الاستئناف فهو القطع في اصطلاح المتأخرين.

(٤) ينظر: النّشر (١/ ٢٣٩، ٢٤٠).

(٥) كذلك صار له علاقة بكتابة المصاحف وضبطها، إذ دخلت رموز أنواع الوقف في المصحف كما سيأتي.

المستمعين في الصلاة وغيرها، وأن يكون وقفه عند كلام مستغني أو شبهه، وأن يكون ابتداءه حسناً، ولا يقف على الموتى في قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى﴾ [الأنعام: ٣٦]، ولا أمثاله؛ لأن الوقف ههنا قد أشرك بين السامعين والموتى، والموتى لا يسمعون ولا يستجيبون، وإنما أخبر عنهم أنهم يُعْتَوْنَ...»^(١).

أصل علم الوقف والابتداء وأبرز العلوم لمعرفة:

مواضع وقوف القرآن مبنية على الاجتهاد، وأساس علم الوقف والابتداء هو علم التفسير واختلافات المفسرين التي يُعرف بها المعنى، فيعرف الواقف أين يقف بناءً على أقوال التفسير.

ومن أشهر الأمثلة في بيان ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فمن فسر «التأويل» بما تؤول إليه حقائق القرآن فإنه يقف على لفظ الجلالة^(٢)؛ لأن علم الحقائق مما يختص به الله. ومن فسر «التأويل» بالتفسير جاز له أن يصل لفظ الجلالة بما بعده ويقف على لفظ (العلم)؛ لأن الراسخين في العلم يعلمون تفسيره.

فاختلاف الوقف هنا ترتب على اختلاف التفسير، وأصل ذلك راجع إلى المعنى المراد بالتأويل، فالمعنى أولاً، ثم يجيء الوقف تبعاً للمعنى، فمعرفة المعنى هي التي تُرشد إلى مكان الوقف من عدمه، وليس كغيره من مسائل التجويد مما يحتاج إلى رياضة لسان^(٣).

(١) القطع والائتاف (ص ٩٧).

(٢) وهذا هو الراجح الذي عليه جمهور العلماء، إذ هو المعنى الغالب في إطلاق القرآن، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِي كَسَبُوا...﴾ الآية [الأعراف: ٥٣]، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩]. والحمل على الغالب أولى من الحمل على غيره كما حققه الشنقيطي في أضواء البيان (١/ ٣٢٨). وعلى هذا القول جاء ضبط المصاحف بوضع علامة الوقف اللازم (م) على لفظ الجلالة، أو وضع علامة (قلى) أي: الوقف أولى.

(٣) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٢٥٣).

مصادر الوقف والابتداء:

علم الوقف والابتداء قديم النشأة، بدأ مع نزول القرآن، واعتنى به الصحابة والتابعون في إقراءهم وقراءتهم، كما ظهر التدوين فيه منذ وقت مبكر، ومن هنا يمكن القول بأن مصادر الوقف والابتداء نوعان:

الأول: المصادر الشفوية: وهي التلقي عن المشايخ الأثبات حال القراءة عليهم، قال ابن الجزري: «وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف ويشيرون إلينا فيه بالأصابع، سنة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين...»^(١).

الثاني: المصادر المدونة: وقد ظهرت ثلاثة طرق لتدوين مواضع الوقف:

(أ) التدوين الضمني: وذلك ضمن كتب علوم أخرى، من أبرزها كتب التفسير والقراءات، فمن أمثلة كتب التفسير: تفسير الأذفوي (ت ٣٨٨) المسمى «الاستغناء في علوم القرآن» وتفسير المهدوي (ت نحو ٤٤٠) المسمى «التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، ومن كتب القراءات: «التذكرة في القراءات الثمان» لظاهر بن غلبون (ت ٣٩٩)، و«لطائف الإشارات في فنون القراءات» للقسطلاني (ت ٩٢٣).

(ب) التدوين المستقل: حيث اعتنى أهل العلم منذ عهد أتباع التابعين بتصنيف الكتب الخاصة التي تحدد وقوف القرآن، فقد ذكرت المصادر أنه صنف فيه عدد من أئمة القراء؛ كنافع المدني (ت ١٦٩)، ويعقوب الحصري (ت ٢٠٥). ومن أبرز ما وصلنا من تلك المصنفات:

- ١- «إيضاح الوقف والابتداء»، لأبي بكر ابن الأنباري (ت: ٣٢٨).
- ٢- «القطع والائتناف»، لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨).
- ٣- «المكتفى في الوقف والابتداء»، لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤).
- ٤- «منار الهدى في الوقف والابتداء»، للأشموني (من أعيان القرن الحادي عشر).
- ج) تحديد الوقوف في المصاحف: من كمال عناية العلماء بالمصاحف وتيسير

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢٥).

التلاوة فيها بطريقة صحيحة إدخال علامات الوقف فيها برموز خاصة؛ للدلالة على مواضع الوقوف التي ينبغي الوقف عليها، وسيأتي بيان مثال لذلك في الفقرة التالية، أما بداية وضعها في المصاحف فيظهر أنه كان في أوائل القرن السادس الهجري^(١). مصطلحات العلماء في الوقف ومناهجهم:

اختلفت مناهج ومصطلحات المصنفين في وقوف القرآن، ويمكننا تقسيم مصطلحاتهم إلى قسمين رئيسيين^(٢):

الأول: تحديد مواضع الوقوف الجائزة دون مراتب: وعلى ذلك كتاب (التمام) لنافع (ت ١٦٩)، ويعقوب الحضرمي (ت: ٢٠٥)، وعلى هذا سار المغاربة حتى اليوم، فهم لا يدونون في مصاحفهم إلا المكان الصالح للوقف دون تقسيم له إلى مراتب، وذلك باعتماد علامة وقف واحدة هي (ص) أو (صه)، وقد عملوا بوقوف محمد بن جمعة المعروف بالهبطي (ت: ٩٣٠).

والكتابة على هذا النحو قليلة مقارنة بالقسم الثاني.

الثاني: تقسيم الوقوف إلى مراتب: وهي تقسيمات مبنية على المعنى من حيث تمامه أو نقصه، وبين التمام والنقص مراتب اختلف العلماء في تقديرها اختلافاً كبيراً، وأشهر هذه التقسيمات نوعان:

(أ) القسمة الرباعية، وهي: الوقف التام، والوقف الكافي، والوقف الحسن، والوقف القبيح، وهو تقسيم مبنية على اللفظ والمعنى، ويُنظر فيه إلى تمام الانقطاع من عدمه. فالتام: ما انقطع عنه ما بعده لفظاً (إعراباً) ومعنى^(٣).

(١) ينظر: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف (ص ١٧٥).

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٢٥٤-٢٦٠).

(٣) كالوقف على ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] لا علاقة لها بما قبلها لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ، فلو ابتدأت بالقراءة بها لأفهمت معنى تاماً، ولا حاجة لك بأن تبدأ بما قبلها.

والكافي: ما تعلق به ما بعده من جهة المعنى دون اللفظ (الإعراب) ^(١).

والحسن: ما تعلق به ما بعده من جهة اللفظ (الإعراب)، مع كون الجملة الموقوف عليها تامة في ذاتها ^(٢).

والقيح: ما اشتد تعلقه بما بعده الذي لا يفهم إلا به، أو ما أدخل في جملة تامة فصار في حكمها وهو ليس منها ^(٣).

وهذا التقسيم هو الذي سار عليه أغلب المصنّفين في الوقف والابتداء كالأنباري (ت: ٣٢٨)، والنحاس (ت: ٣٣٨)، والداني (ت: ٤٤٤)، والأشموني (من أعيان القرن الحادي عشر).

ب) وقوف المصحف المصري ومن تبعه ورموزها:

من أشهر أنواع الوقوف في المصاحف المعاصرة؛ الوقوف التي اختيرت في المصحف

(١) من أمثله الوقف على رأس الآية من قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنْزِلْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، ثم البدء بقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، فالجملة الأولى من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] مستقلة بمعناها بحيث لو قطع السامع قراءته عليها لأفهم معنى واضحاً مستقلاً، فلو قرأ بقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] ابتداءً، لظهر للسامع أن هذه الجملة مرتبطة بما قبلها من جهة المعنى دون الإعراب، فهي مستقلة إعراباً، ومرتبطة معنى بدلالة الضمير في قوله ﴿قُلُوبِهِمْ﴾، حيث يعود على ظاهر سابق، وهو قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

(٢) من أمثله: الوقف على قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، ثم البدء بقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْكَافِرِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فجملة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مستقلة بنفسها معنى وإعراباً، بحيث لو لم يكن بعدها كلام لكان الوقف تاماً، لكن جملة ﴿رَبِّ الْكَافِرِينَ﴾ مرتبطة إعراباً بالجملة قبلها، فـ ﴿رَبِّ﴾ صفة للفظ الجلالة، ولا يُوقف على الموصوف دون الصفة؛ لأن البدء بها يدل على انقطاعها عما قبلها مع أنها تامة الاتصال.

(٣) من أمثلة ما اشتد تعلقه بما قبله بحيث لا يفهم منه معنى: الوقف على قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ يُؤْمِنُهَا مِنْ كُفْرٍ وَرِزْقًا﴾ [البقرة: ٢٥]؛ فإن الكلام ناقص؛ لأن قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ هو تمام الكلام.

ومن أمثلة ما أدخل في جملة تامة فصار في حكمها وهو ليس منها عدم الوقف في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى﴾ [الأنعام: ٣٦]؛ لأن الموتى لا يسمعون، بل لهم حكم آخر، وهو ﴿وَالْمَوْتَى يَسْمَعُهُمُ اللَّهُ﴾.

المصري الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٣٤٢هـ^(١)، وهي ستة مراتب كما يلي:

١- الوقف اللازم، ورمزه (هـ): وهو ما لو وصل فيه طرفاه لأدى إلى فساد المعنى أو أوهم غير المراد.

٢- الوقف الجائز، ورمزه (ج): وهو ما يجوز فيه الوصل والفصل لتساوي الطرفين.

٣- الوقف أولى، وعلامته (قلى)، وهو الوقف الجائز مع كون الوقف أولى، إذ فيه موجبان، موجب الوقف وموجب الوصل، وموجب الوقف هو المترجّع، فيقدم هذا الموجب، ويكون الوقف أولى لهذا السبب.

٤- الوصل أولى، وعلامته (صلى)، وهو الوقف الجائز مع كون الوصل أولى، ويقابل الوقف أولى^(٢).

٥- الوقف الممنوع، ورمزه (لا): وهو ما يمنع الوقف عليه؛ لاشتداد تعلق الطرفين ببعضهما، بحيث لا يفهم منه معنى عند الوقوف عليه^(٣).

٦- وقف التعائق، وهو الذي يكون فيه وقفان متغايران في المعنى، بحيث إذا وُقف على الموضع الأول أعطى معنى غير المعنى الذي يكون على الوقف في الموضع

(١) جاء في التعريف بهذا المصحف أن بيان وقوفه وعلاماتها أُخذت مما قرّره الأستاذ محمد بن علي الحسيني شيخ المقارئ المصرية في وقته. ويظهر أن الحسيني قد استفاد من وقوف السجاوندي (ت: ٥٦٠)؛ ومن كتاب «كنوز ألفاظ البرهان في رموز أوقاف القرآن» لمحمد الصادق الهندي، والله أعلم. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٢٥٩).

(٢) ومن أمثلة الرموز السابقة في مصحف المدينة النبوية - الإصدار الأول - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِيلُنَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهْتُمْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَحْسَنَ الْجَمِيعِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٨-١١٩].

(٣) كان يُوقف بين الشَّرط وجزائه، وبين المبدل وبدله، وبين المبتدأ وخبره، وبين المنعوت ونعته... إلخ. ومن أمثلة علامة الوقف الممنوع في مصحف المدينة النبوية - الإصدار الأول - قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْثَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رِيشٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: ٣١].

الثاني، وعلامته (* *)، فالكلمة التي تكون بين هذه النقاط هي التي يقع عليها التعاقب^(١).

وقد تبعت لجنة مصحف المدينة النبوية برواية حفص لجنة المصحف المصري في هذه الرموز، وإن خالفوها في بعض مواطن الوقف^(٢)، أما الإصدار الثاني من مصحف المدينة النبوية فقد حذفت لجنته الوقف الممنوع^(٣).



(١) مثل كلمة «فيه» من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٢٥٩، ٢٨٩).

(٣) وقع الخلاف في الوقوف بين الإصدارين الثاني والأول من مصحف المدينة برواية حفص في الأمور الآتية:

- ١- حذف الوقف الممنوع بالكلية.
- ٢- حذف بعض المواضع من بعض الوقوف.
- ٣- إضافة بعض مواضع جديدة في الوقوف. ينظر: المحرر في علوم القرآن (ص ٢٨٩).

خامساً: آداب قراءة القرآن

كما يلزم من أراد أن يقرأ القرآن أن يتعلم ألفاظه ويُقيم حُرُوفه ؛ كذلك ينبغي له أن يتأدب بآداب تلاوته، ويتحلّى بسُنَن قراءته، ويراعي أحكامه، حتى يُقيم هذه العبادة الجليلة على الصورة الأتم، والوجه الأكمل، ولا يتأتى ذلك إلا بعد تعلّم تلك الآداب، ومعرفة هذه الأحكام من مظاهرها.

مفهوم آداب قراءة القرآن:

هي جُمْلَةٌ من الأخلاق والسمات المحمودة التي ينبغي لقارئ القرآن أو مُقرئه أو مستمعيه أن يتحلّى بها ظاهراً وباطناً^(١).

مصادر آداب تلاوة القرآن:

أصل هذا النوع من أنواع علوم القرآن عبارة عن أحكام فقهية، وآداب شرعية، وسُنَن نبوية، متعلّقة بعبادة تلاوة القرآن وتعلّم أدائه. مصادرُها هي كتاب الله ﷻ، وسُنّة رسوله ﷺ، وأقوال صحابته رضي الله عنهم، وأقوال أهل العلم^(٢).

مظان وجود آداب تلاوة القرآن والمؤلّفات فيها:

مسائل آداب تلاوة القرآن منشورة في بعض كتب القراءات، وفضائل القرآن، والأذكار، وكتب الفقه، وشروح الحديث، والآداب الشرعية، وغيرها^(٣).

كما جرّت عادة المصنّفين في علوم القرآن إفرادها بنوعٍ مستقلٍّ من أنواع علوم القرآن تُجمع فيه تلك الآداب والأحكام، كالزركشي (ت: ٧٩١) في كتابه «البرهان في علوم القرآن»^(٤)، وأيضاً السيوطي (ت: ٩١١) في كتابه «الإتقان في علوم

(١) ينظر: حلية أهل القرآن (ص ١٠).

(٢) كذا أصل الآجري رحمه الله مصادر تشريع آداب حملة القرآن في كتابه «أخلاق حملة القرآن» (ص ٦).

(٣) ينظر: حلية أهل القرآن (ص ١١-١٢).

(٤) في النوع التاسع والعشرين: الذي عنوان له بـ «في آداب تلاوته وكيفيتها» (١/ ٤٤٩-٤٨١).

القرآن»^(١).

ولما لهذا النوع من أنواع علوم القرآن من أهمية كونه متعلقاً بأشرف الكتب وأعظم الكلام؛ وأرجى العبادات، فقد أفرد به بعض أهل العلم بمؤلفات خاصة شملت آدابه واستوعبت أحكامه، من أبرزها: كتاب «فضائل القرآن ومعالمه وآدابه» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤)^(٢)، وكتاب «أخلاق حملة القرآن» لأبي بكر الأجرى (ت: ٣٦٠)، وكتاب «التبيان في آداب حملة القرآن» لمحبي الدين النووي (ت: ٦٧٦)، ومن المؤلفات المعاصرة كتاب «حلية أهل القرآن في آداب حملة القرآن» من إعداد مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي.

موضوعات آداب حملة القرآن:

تدور آداب حملة القرآن حول مسائل يمكن إجمالها في ثلاثة موضوعات:

١- آداب تعلم القرآن وتعليمه.

٢- الآداب العامة مع القرآن، من حيث تلاوته، وتعاهده، وتدارسه وتدبره، وتعظيمه.

٣- أحكام التعامل مع المصحف الشريف.

ولعله يحسن أن نورد في ما يأتي مختصراً لأبرز مسائل آداب تلاوة القرآن وأحكامها ليسهل تناولها، ومن أراد التفاصيل والاستزادة فعليه بالمؤلفات السابقة.

١- يُسْتَحَبُّ الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ

(١) في النوع الخامس والثلاثين الذي عنون له بـ «آداب تلاوته وتاليه» (٢/ ٦٥٧-٧٢٦)، وقد قال في مقدمته: «أفرد بالتصنيف جماعة منهم النووي في التبيان، وقد ذكر فيه وفي شرح المهدب وفي الأذكار جملة من الآداب، وأنا ألخصها هنا وأزيد عليها أضعافها وأفصلها مسألة مسألة ليسهل تناولها».

(٢) تقدم معنا في المدخل أن هذا الكتاب اشتهر بتصنيفه ضمن كتب فضائل القرآن؛ لكن الأولى أن يُعَدَّ من كتب علوم القرآن الجامعة، لأنه في حقيقته يتضمن ثلاثة أقسام كما يتبين من عنوانه الدقيق، أولها في آداب القرآن، لذا يمكننا القول أيضاً أنه من أول المصنفات التي أفردت آداب القرآن. وينظر: ص ١٤، ١٥، ١١٥.

اللَّهُ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا زَكَاةً وَسِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ﴿١١﴾
لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٢﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].
والأولى أن يَخْتِمَ القرآن في أسبوع وهو الأفضل^(١)، إلى شهر^(٢).

٢- تعلم القرآن وتعليمه وحفظه من أعظم الطاعات وأجلها؛ لقوله ﷺ في حديث عثمان رضي الله عنه : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٣).

٣- ينبغي لمن حفظ القرآن تعاهدَه ومراجعتَه؛ لقوله ﷺ في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَقَصُّبًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا»^(٤).

آداب ما قبل القراءة^(٥):

٤- قراءة القرآن على طهارة: يُسْتَحَبُّ للقارئ أن يقرأ القرآن على طهارة، فإن قرأ مُحْدِثًا حَدَثًا أَصْغَرَ جاز ذلك بالإجماع، لكن لا ينبغي أن يحمل المصحف إلا على طهارة، على رأي جمهور أهل العلم، أما إن كان مُحْدِثًا حَدَثًا أَكْبَرَ فلا يجوز له قراءة القرآن سواء كان من مُصَحِّفٍ أو من حَفِظَهُ، والعمل عليه عند جمهور أهل العلم^(٦).

٥- تحرِّي الأوقات الفاضلة للقراءة: تُشْرَعُ قراءة القرآن في كل وقتٍ من ليلٍ أو نهار، لكن ينبغي على القارئ أن يتحرَّى الأوقات الفضلى التي تتضاعف فيها الحسنات، كرمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، وآخر الليل.

٦- اختيار المكان المناسب للقراءة: ينبغي للقارئ أن يقرأ في موضع طاهر نظيف، ولهذا استحبَّ جَمْعٌ من العلماء القراءة في المسجد، لشرفه وطهارته وعظم

(١) كما تقدّم في حديث عبد الله بن عمرو وحديث أوس الثقفي رضي الله عنه ، في مبحث تحزيب القرآن ص ٨٢.

(٢) كما يُستفاد من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم. وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٤٠٧).

(٣) تقدم تخريجه ص ١١٢. وينظر مبحثاً موسعاً في حلية أهل القرآن (ص ٣٨-٥٧، ٦٢-٦٧).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٣٣). وينظر تفاصيل المسألة في المرجع السابق (ص ١٥٧-١٥٨).

(٥) ينظر تفاصيل المسألة في المرجع السابق (ص ١٢٥-١٣٠).

(٦) ينظر تفاصيل المسألة في المرجع السابق (ص ١٨٣-١٩٠).

مكانته، كما يُستَحَبُّ له أن يعمُر بيته بقراءة القرآن^(١).

الآداب أثناء القراءة^(٢):

٧- الاستعاذة والبسملة: تُسنُّ الاستعاذة قبل القراءة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أي: أردت قراءته، كما تُسنُّ البسملة بعد الاستعاذة في أوّل كل سورة، سوى سورة التوبة.

٨- القراءة بأحكام التجويد: ينبغي على قارئ القرآن أن يُجوّد القراءة، ويراعي شروط الأداء وقواعد التلاوة.

٩- معرفة أحكام الوقف والابتداء: وقد تقدّم بيان مدى أهميته.

١٠- تحسين الصّوت والترتيل مع التدبُّر: يُستَحَبُّ للقارئ أن يحسّن صوّته حال القراءة ما استطاع^(٣)؛ كما يُسنُّ له الترتيل أثناء قراءة القرآن، لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]^(٤)، مع التدبُّر والتفهّم، إذ هو المقصود الأعظم الذي تُشرّح له الصدور وتستشير به القلوب، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩].

١١- الاستماع لقراءة القرآن: كذلك يُسنُّ الاستماع لقراءة القرآن، والإصغاء لتلاوته، وترك اللّغظ والحديث بحُضور القراءة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

(١) لقوله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة». رواه مسلم. وينظر تفاصيل المسألة في حلية أهل القرآن (ص ٦٨-٧١، ١٢٨-١٢٩).

(٢) ينظر تفاصيل المسألة في المرجع السابق (ص ١٣٠-١٤٤).

(٣) لقوله ﷺ: «لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغنّى بالقرآن». أخرجه البخاري (٤٧٣٦، ٤٧٣٥، ٧٠٤٤، ٧١٠٥) ومسلم (٧٩٢).

(٤) قال ابن عباس ؓ وقادة في تفسير الآية: بيّنه تبييناً، وقال سعيد بن جبير: فسّره تفسيراً، وقال مجاهد: ترسّل فيه ترسّلاً. ينظر: تفسير الطبري (٣٦٣/٢٣، ٣٦٤). موسوعة التفسير المأثور: (٣٣٨-٣٣٧/٢٢). وروى أبو داود وغيره عن أمّ سلمة أنها نعتت قراءة النبي ﷺ: قراءة مفسّرة حرفاً حرفاً. وفي البخاري عن أنس أنه سُئل عن قراءة ﷺ فقال: كانت مدّاً، ثم قرأ: ﴿يَسْأَلُ اللَّهَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمَ﴾ ويمدُّ ﴿اللَّهُ﴾ ويمدُّ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ويمدُّ ﴿الرَّحِيمَ﴾.

١٢- سُجُود التَّلَاوة: يُسَنُّ السُّجُود للقارئ والمستمع بعد تلاوة آيات سَجْدَة التلاوة، ولا يُشترط له ما يُشترط للصلاة على الصحيح.

وآيات سَجْدَة التلاوة أربَع عشرة آية، هي: الآية (٢٠٦) من الأعراف، و(١٥) من الرعد، و(٤٩ - ٥٠) من النحل، و(١٠٧ - ١٠٩) من الإسراء، و(٥٨) من مريم، والآيتان (١٨) و(٧٧) من سورة الحج - وهي السورة الوحيدة المفضلة بسجدةًتين -، و(٦٠) من الفرقان، و(٢٥ - ٢٦) من النمل، و(١٥) من السجدة، و(٣٧ - ٣٨) من فصلت، و(٦٢) من النجم، و(٢١) من الانشقاق، و(١٩) من العلق. وأما الآية (٢٤) من سورة (ص) فاختُلف في كونها من عزائم السجود، أي: متأكّداته^(١).



(١) ومما ورد في فضل سجود التلاوة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اغْتَرَزَ الشَّيْطَانُ بِنَبِيٍّ، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ» أخرجه مسلم (٨٧/١) (٨١).

خلاصة الفصل الرابع (علوم قراءة القرآن)

١ - الأحرف السبعة

١/١ الأحرف السبعة هي وجوه قرائية منزلة متغايرة، أقصى حدٍ يُمكن أن تبلغه هو سبعة أوجه في الكلمة القرآنية الواحدة.

٢/١ المصاحف العثمانية في مجموعها تشتمل على ما ثبت في الغرصة الأخيرة من الأحرف السبعة، مما يحتمله رسم هذه المصاحف.

٣/١ الحكمة من رخصة الأحرف السبعة هو التيسير على الأمة.

٢ - القراءات

١/٢ علم القراءات: هو علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزواً لتأويله.

٢/٢ مصدر القراءات هو الوحي.

٣/٢ مرَّ علم القراءات بثلاثة مراحل أساسية: مرحلة التلقي، ومرحلة الاختيار، ومرحلة تحديد القراءات وتدوينها.

٤/٢ أول من حدّد القراءات السبع هو أبو بكر بن مجاهد (ت: ٣٢٤) في كتابه «السبعة».

٥/٢ استدرّك بعض المصنّفين على ابن مجاهد القراءات الثلاث المتّمة للعشر.

٦/٢ القراء العشرة هم: أبو جعفر ونافع المدنيان، وابن كثير المكي، وابن عامر الشامي، وأبو عمرو ويعقوب البصريان، وعاصم وخمزة والكسائي وخلف الكوفيون.

٧/٢ شروط القراءة الصحيحة: صحّة السند إلى الرسول ﷺ، وموافقة خطّ المصحف ولو احتمالاً، وموافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه.

٨/٢ تُعدّ اليوم ما سوى القراءات العشر قراءات شاذة لا تصحّ القراءة بها؛ لعدم توفّر شروط القراءة الصحيحة بها.

٩/٢ أشهر كتّيب القراءات: «السبعة» لابن مجاهد (ت: ٣٢٤)، و«التيسير في القراءات السبع»

لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤)، «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (ت: ٨٣٣). وأشهر

منظوماتها: «جزز الأمانى ووجه التّهاني» في القراءات السبع للشاطبي (ت: ٥٩٠)، و«الدّرة المضيئة في

القراءات الثلاث المرصّية»، و«طيّبة النشر في القراءات العشر» كلاهما لابن الجزري (ت: ٨٣٣).

١٠/٢ القراءات المنتشرة اليوم هي: قراءة نافع المدني بروايته عن قالون وورش، وقراءة أبي عمرو البصري برواية الدوري، وقراءة عاصم الكوفي برواية حفص، وهي الأوسع انتشارًا. ١١/٢ من فوائد تعدد القراءات واختلافها: التخفيف على الناس بالقراءة على الوجه المتيسر لهم، وإعظام أجور هذه الأمة في دراسة القراءات، والاستفادة منها في التفسير.

٣- التجويد

١/٣ علم التجويد: هو العلم الذي يُعرف به إعطاء الحروف حقها ومستحقها من المخارج والصفات.

٢/٣ تتضمن موضوعات علم التجويد بحثين أساسيين: مخارج الحروف وصفاتها، والأحكام الناشئة عن التركيب بينها، وألحقوا بهما بحثًا ثالثًا يتعلق بالوقف والابتداء.

٣/٣ الغاية من علم التجويد هو صَوْن اللِّسان عن الخطأ في تلاوة كتاب الله، لذا وجب تعلمه على القارئ عند جمهور أهل العلم.

٤/٣ كان علم التجويد جزءًا من علم القراءات ابتداءً قبل أن يستقل، وهو يُعنى بحقائق تُطَق الحروف وقواعدها، بصرف النظر عن اختلاف القراء ونسبته إليهم.

٥/٣ مرَّ علم التجويد بثلاثة مراحل أساسية: مرحلة التلقي الشفهي، ومرحلة التدوين ضمناً في كُتُب اللغة والقراءات، ومرحلة بروزه كفنٍ مدوّن مستقل، في أوّل مؤلّف فيه وهو القصيدة الخاقانية، وذلك في مطلع القرن الرابع.

٦/٣ أبرز مصنفات المتقيمين في التجويد: كتاب «الرعاية» لمكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧)، وكتاب «التحديد في الإتقان والتجويد» لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤)، وأبرز منظوماته: «المقدمة الجزرية» لابن الجزري (ت: ٨٣٣)، و«تحفة الأطفال» للجزموري (ت: بعد ١١٩٨).

٤- علم الوقف والابتداء

١/٤ علم الوقف والابتداء: علم يُعرف به القارئ المواضع التي يصلح الوقوف عليها أو لا يصلح، والمواضع التي يصلح الابتداء بها أو لا يصلح.

٢/٤ الوقف في قراءة القرآن: قطع الصوت على الكلمة زمنًا يُتنفّس فيه عادةً بينة استئناف القراءة، أما الابتداء: فهو الشروع في القراءة بعد قطع أو وقف.

٣/٤ مواضع وقوف القرآن مبنية على الاجتهاد، ومصدرها الأساس هو علم التفسير.

٤/٤ مصادر الوقف والابتداء نوعان: الأول: المصادر الشفوية، الثاني: المصادر المدونة: وفيها ثلاثة طرق: التدوين الضمني. والتدوين المستقل: ومن أشهر كتبه «المكتفى في الوقف والابتداء» لأبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤). وتحديد الوقوف في المصاحف.

٥/٤ مصطلحات العلماء في الوقف قسماً: الأول: بيان أماكن الوقوف الجائزة دون النظر إلى مراتبها، الثاني: تقسيم الوقوف إلى مراتب، بناءً على اللفظ والمعنى.
٦/٤ أشهر التقسيمات المبنية على اللفظ والمعنى هي القسمة الرباعية: الوقف التام، والوقف الكافي، والوقف الحسن، والوقف القبيح.
٧/٤ أشهر أنواع الوقوف في المصاحف المعاصرة الوقوف التي اختيرت في المصحف المصري، وهي ستة مراتب: الوقف اللازم (م)، الوقف الجائز (ج)، الوصل أولى (صلى)، الوقف أولى (قلى)، الوقف الممنوع (لا)، وقف التعانق (٨).
٥- آداب قراءة القرآن

- ١/٥ آداب قراءة القرآن: جملة من الأخلاق والسمات المحمودة التي ينبغي لقارئ القرآن أو مُقرئه أو مستمعه أن يتحلّى بها ظاهراً وباطناً.
٢/٥ مصادر آداب قراءة القرآن هي كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، وأقوال صحابته رضي الله عنهم، وأقوال أهل العلم.
٣/٥ مسائل آداب قراءة القرآن منثورة في بعض كتب القراءات، وفضائل القرآن، والأذكار، وكتب الفقه، وشروح الحديث، والآداب الشرعية، وقد أفردت في كتب علوم القرآن الجامعة كنوع من أنواعه، كما أفردت ببعض التصانيف، من أبرزها: «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي (ت: ٦٧٦).
٤/٥ تدور آداب حملة القرآن حول ثلاثة موضوعات: آداب تعلم القرآن وتعليمه، الآداب العامة مع القرآن، أحكام التعامل مع المصحف الشريف.
٥/٥ يُستحب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته.
٦/٥ من أعظم الأعمال تعلم القرآن وتعليمه وحفظه.
٧/٥ يُستحب للقارئ أن يقرأ القرآن على طهارة، ويجوز على كل حال إلا أن يكون محدثاً حدثاً أكبر، ولا ينبغي أن يمس المصحف بلا طهارة.
٨/٥ تُسن الاستعاذة ثم البسملة قبل القراءة، كما ينبغي أثناء القراءة العناية بأحكام التجويد ومراعاة أحكام الوقف والابتداء.
٩/٥ يُستحب للقارئ أن يحسن صوته بالقراءة، كما يُسن الاستماع لتلاوته، وسجود كل من القارئ والمستمع بعد تلاوة آيات سجدة التلاوة.

أسئلة تقييمية

- ١- اشرح المراد بالأحرف السبعة.
- ٢- هل تشتمل المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة؟
- ٣- ما الحكمة من رخصة الأحرف السبعة؟
- ٤- عرف علم القراءات.
- ٥- ما مصدر علم القراءات؟
- ٦- تحدث عن مراحل نشأة علم القراءات.
- ٧- من أول من حدّد القراءات السبع؟
- ٨- اذكر القراء العشرة. وعيّد روايتهم.
- ٩- عيّد شروط القراءة الصحيحة.
- ١٠- يَمُ تُوَصَّف اليوم قراءات ما بعد العشر؟
- ١١- ما أشهر الكتب والمنظومات في: القراءات السبع، القراءات الثلاث، القراءات العشر.
- ١٢- ما هي القراءات والروايات المنتشرة اليوم؟
- ١٣- اذكر ثلاثة فوائد لعلم القراءات.
- ١٤- عرف علم التجويد.
- ١٥- وضح موضوعات علم التجويد الأساسية.
- ١٦- ما حكم تعلم علم التجويد والغاية منه؟
- ١٧- وضح الفرق بين علم القراءات والتجويد.
- ١٨- تحدث عن مراحل نشأة علم التجويد.
- ١٩- ما أول مؤلف في علم التجويد؟
- ٢٠- عيّد ثلاثة من أبرز كتب التجويد.
- ٢١- اذكر أبرز منظومات علم التجويد.
- ٢٢- ما المراد بعلم الوقف والابتداء؟
- ٢٣- اشرح معنى الوقف والابتداء في قراءة القرآن.
- ٢٤- تحدث عن أهمية علم الوقف والابتداء في قراءة القرآن.

- ٢٥- للوقوف عند القراء مفهومين، وضحهما.
- ٢٦- هل مواضع وقوف القرآن مبنية على الاجتهاد أم التوقيف؟ وضح ذلك.
- ٢٧- ما العلم الأساسي في معرفة وقوف القرآن؟ وضح بمثال.
- ٢٨- مصادر الوقف والابتداء نوعان. اشرح ذلك مع التمثيل.
- ٢٩- ما الأقسام الرئيسية لمصطلحات العلماء في الوقف؟ مثل بكتاتين لكل منها.
- ٣٠- من أشهر مراتب الوقف القسمة الرباعية. وضحها مع ذكر مثال لكل منها.
- ٣١- عدد أنواع وقوف المصحف المصري مع ذكر رموزها.
- ٣٢- وضح المراد بالرموز التالية في وقوف بعض المصاحف: م، ج، قلى، صلى، لا، (....)؟
- ٣٣- ما المراد بأداب قراءة القرآن؟
- ٣٤- ما مصادر آداب قراءة القرآن؟ عدد أربعة منها.
- ٣٥- في أي المصنفات تجد آداب قراءة القرآن؟ اذكر أبرز ما صُيِّف فيها.
- ٣٦- تدور آداب حَقلة القرآن حول ثلاثة موضوعات، اذكرها.
- ٣٧- عدد خمسة من مستحبات تلاوة القرآن.
- ٣٨- هل تجوز قراءة القرآن دون طهارة؟ فصل القول في ذلك.
- ٣٩- ما حكم الاستعاذة والبسملة عند القراءة؟ ومتى تكون؟
- ٤٠- ما الذي ينبغي لقارئ القرآن العناية به من أحكام؟

أسئلة إثرائية

- ١- من أشهر الأقوال في الأحرف السبعة أن المراد بها سبع لغات (لهجات) من لغات العرب المشهورة. وضح ذلك مع بيان هل تلك اللغات متفرقة في القرآن أم مجتمعة في الكلمة الواحدة.
- ٢- من القراءات المشهورة: القراءات الأربع المتبعة للأربع عشرة، ما هي هذه القراءات وما حكمها؟
- ٣- ابحث أسباب انتشار رواية حفص عن عاصم اليوم في أغلب بلاد المسلمين.
- ٤- عدد ١٠ مصنفات معاصرة في علم التجويد.
- ٥- استأثرت منظومة المقدمة الجزرية بمعظم جهود علماء التجويد المتأخرين، عدد ٥ شروح لها.
- ٦- عُدْ إلى تقرير لجنة مراجعة مصحف المدينة النبوية في كل من روايتي حفص عن عاصم وورش عن نافع، واستخرج ما يلي: سند القراءة، مصادر الوقوف، أنواع الوقوف ورموزها، بيان سجّدات التلاوة ومواضعها.

الفصل الخامس

علوم تفسیر القرآن

- أولاً: عِلْمُ التفسير .
ثانياً: عِلْمُ أصول التفسير .
ثالثاً: عِلْمُ مناهج المُفسِّرين .
رابعاً: عِلْمُ أحكام القرآن .
خامساً: عِلْمُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ في القرآن .
سادساً: عِلْمُ متشابه القرآن .
سابعاً: عِلْمُ مُشْكِلات القرآن .
ثامناً: عِلْمُ مبهمات القرآن .
تاسعاً: عِلْمُ المناسبات في القرآن .
عاشراً: تَرْجُمة القرآن .

أهداف الفصل

أهم ما يهدف إليه هذا الفصل أن يكون الدارس قادراً على أن:

- (١) يفرق بين التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر.
- (٢) يُحدِّد مسائل علم أصول التفسير.
- (٣) يُميِّز بين اتجاهات المفسرين في التفسير.
- (٤) يُبيِّن علاقة علم أحكام القرآن بتفسير القرآن.
- (٥) يُبيِّن أنواع النسخ في القرآن.
- (٦) يُفرق بين متشابه القرآن ومشكله.
- (٧) يُعلِّل وجود المتشابه والمشكل والمهم في القرآن.
- (٨) يوضِّح معنى المناسبات في القرآن.
- (٩) يُبيِّن حكم ترجمة القرآن.

التفسير من أبرز علوم القرآن وأوسعها، وهو متعلّق بدلالات ألفاظ القرآن ومعانيها، بخلاف علوم التلاوة التي تتعلّق بطريقة أداء ألفاظ القرآن وقراءتها.

وفي هذا الفصل سيتمّ الحديث مفصّلاً عن مبادئ علم تفسير القرآن من حيث تعريفه، وبيان نشأته وتاريخه ومراحل تدوينه، وأبرز تصنيفه.

ثم ننتقل للحديث عن علوم التفسير الأخرى، وهذه العلوم مبنوثة في كتب التفسير حيث يتفاوت المفسّرون في إيرادها والعناية بها، وتتفاوت أهميّة هذه العلوم ومدى الحاجة إليها في بيان معاني آيات القرآن، ولهذا يلزم المبتدئ دراسة أبرز هذه العلوم دراسة تأصيليّة ليقف على أهميّتها ومكانتها والمصنّفات فيها^(١).

وقبل الحديث عنها يحسُن أن يعقّب مبادئ علم التفسير علمان تأصيليّان من علوم التفسير اكتملت العناية بهما لدى المعاصرين، وإن كانت بداياتهما وأطرافهما وملاحمهما مبنوثة في كتب المتقدمين، وهما أصول التفسير، ومناهج المفسّرين.

ومن هنا سوف ينتظم هذا الفصل على النحو التالي:

- ١- علم التفسير.
- ٢- علم أصول التفسير.
- ٣- علم مناهج المفسّرين.
- ٤- علم أحكام القرآن.
- ٥- علم النسخ والمنسوخ في القرآن.
- ٦- علم متشابه القرآن.
- ٧- علم مُشكّل القرآن.
- ٨- علم مُبهمات القرآن.
- ٩- علم المناسبات في القرآن.
- ١٠- ترجمة القرآن.

ومما يجدر ذكره أن أكبر مصادر تفسير القرآن هو اللّغة، ومن ثمّ ظهرت علوم عديدة انبثقت من التفسير اللّغوي وكانت خادمة له، لذا رأينا أفراد أبرزها في الفصل التّالي الذي خصّص لّلغة القرآن وأساليبه.

(١) يجدر التنبيه إلى أن من أهمّ علوم التفسير علم أسباب النزول الذي تقدّم الحديث عنه في الفصل الأوّل بما يُغني عن إعادته في هذا الفصل. ينظر: ص ٤٢.

أولا : علم التفسير

تعريف التفسير:

التفسير من مادة (فسر)، ومعانيها تدور حول الكشف والإيضاح والبيان.
والمراد بالتفسير هنا (تفسير القرآن)^(١)، وعلى هذا فالتفسير في الاصطلاح: بيان معاني القرآن الكريم.

خرج بقولنا: (بيان معاني) ما كان بياناً لغير المعاني، كبيان كيفية الأداء الذي هو من علم القراءات، أو بيان عدد آي السورة الذي هو من علم عدد الآي، أو بيان الفوائد المستنبطة، الذي يدخل في باب الاستنباط.

الفرق بين التفسير وعلوم القرآن:

تقدم في التمهيد أن التفسير وعلومه جزء من علوم القرآن، ولكي ندرك الفرق بين علوم التفسير وما سواها من علوم القرآن ننظر إن كانت المعلومة القرآنية تؤثر في فهم معنى آيات القرآن فهي من علوم التفسير، ومن علوم القرآن من باب أولى، مثل معرفة مفردات القرآن، كلفظ ﴿الضَّكَمُ﴾ في سورة الإخلاص.

أما إن كانت المعلومة القرآنية لا أثر لها في فهم المعنى، فهي من علوم القرآن وليست من علوم التفسير؛ كمعرفة فضائل سورة الإخلاص.

الفرق بين التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر:

التأويل: من الأول، ومعناه لغة يدور على معنى الرجوع^(٢)، وتأويل الكلام هو الرجوع به إلى مراد المتكلم، وهو في الكتاب والسنة على معنيين:

(١) غلب استخدام لفظ (التفسير) على بيان معنى كلام الله، ولفظ (الشرح) على شرح كلام رسول الله ﷺ، وعلى شرح الأشعار، وعلى شرح الكتب.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (١/١٥٨).

١- الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يُظُنُّونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَسَبُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

٢- بيان مراد المتكلم، وهذا هو التفسير^(١)، ومنه قول الرسول ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»^(٢).

وعلى هذا يتبين أن المفهوم الثاني للتأويل يوافق معنى التفسير^(٣).

الاستنباط: من مادة «نبط»، التي تدور على أصل واحد وهو استخراج الشيء وتطلبه لأجل حصوله^(٤).

والاستنباط من القرآن: هو استخراج المعاني المترتبة على المعنى المراد من الآية بطريق صحيح^(٥).

وعلى هذا فالاستنباط من الآية مرتبة تأتي بعد تفسيرها وبيان معناها والمراد منها، وذلك من خلال ربط كلام له معنى بمدلول الآية، بأي نوع من أنواع الربط، كدلالة الإشارة أو دلالة المفهوم ونحو ذلك من دلالات الألفاظ كما سيأتي في الفصل الأخير. ومن هنا يتبين لنا أن الاستنباط غير التفسير، وحده خارج عن حد التفسير الذي هو بيان المعنى المراد من الآية، لذا تجد كثيراً مما يرد في كتب التفسير من نكات بلاغية، ولطائف لغوية، ومُلح علمية، وآداب تربوية، وأحكام فقهية خفية، وهدايات قرآنية = خارج عن حد البيان الذي هو التفسير، لكنه داخل ضمن علم الاستنباط من القرآن،

(١) ويكلا المعنيين فسر السلف التأويل في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. وتقدم بيانه في مبحث الوقف والابتداء ص ١٦٢.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٥/٤) (٢٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٣/٦) (٢٥٨٩).

(٣) أما ما شاع لدى المتأخرين من التفريق بينهما بكون التأويل صَرف اللفظ عن ظاهره، أو عن الاحتمال الراجع إلى المرجوح، ونحو ذلك = فليس بسديد؛ لاعتماده على مُصطلح حادث عند المتأخرين في معنى التأويل، ولم يرد في الكتاب والسنة واللغة وتفسير السلف. ينظر كتاب «مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر»، (ص ٩١-١٥٥).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٣٨١/٥).

(٥) ينظر: منهج الاستنباط من القرآن الكريم (ص ٤٥)، علم الاستنباط من القرآن: المفهوم والمنهج (ص ١٤).

الذي لا حدَّ له ، وقد يفتح الله به على عباده في عصرٍ ما لم يفتحْه على من قبلهم^(١) .
التدبرُ: تقدّم في مبحث تدبر القرآن أن معناه: النظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني
والعبر والمقاصد ، الذي يثمر العلوم النّافعة والأعمال الزاكية . وهذا صريحٌ بأن تدبر
القرآن غير تفسيره الذي هو بيان معانيه ، بينما التدبر هو النظر إلى ما وراء المعاني من
العبر والمقاصد ، ثم التفاعل مع الآيات ، وقصد الانتفاع والامتنال ، فهو مرحلة تأتي
بعد الفهم والتفسير ، إذ لا يمكن أن يُطلب منك تدبر ما لا تعقله .
نشأة علم التفسير ومراحلها:

الأصل في العلوم الإسلامية - خصوصاً المتعلقة بالقرآن - أن يكون منشؤها منذ عهد
الرسول ﷺ ، ثم تبدأ في النمو شيئاً فشيئاً حتى تكتمل وتؤلف فيها المؤلفات ، ومن ثم
فأول المفسرين هو الرسول ﷺ ، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ
لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] .

ثم جاء بعده الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين نزل القرآن بلغتهم ، وشهدوا التنزيل ،
وعرفوا أحوال من نزل فيهم الخطاب من المشركين وأهل الكتاب ، فتصدى بعضهم
لعلم التفسير ، وتميّزوا به ، وعقدوا المجالس العلمية الخاصة فيه ، كعبد الله بن مسعود
(ت: ٣٢) ، وعبد الله بن عباس (ت: ٦٨) ، مما يدلُّ على أن التفسير علم قائم بذاته
منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم^(٢) .

ثم لحق بالصحابة أعلام التابعين ممّن تتلمذ عليهم ، وبرز في علم التفسير ؛ كسعيد
ابن جبّير (ت: ٩٥) ، ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٢) ، وعكرمة مولى ابن عباس (ت: ١٠٥) ،
وقتادة بن دعام (ت: ١١٧) ، وغيرهم .

ثم حمل التفسير بعدهم في جيل أتباع التابعين عددٌ من أعلام المفسرين ؛ كمقاتل
ابن سليمان (ت: ١٥٠) ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت: ١٨٢) ، ويحيى بن سلام
(ت: ٢٠٠) ، وغيرهم .

(١) ينظر كتاب «مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر» (ص ١٥٩ - ١٨٢) .

(٢) وهذا خلاف ما اشتهر لدى المعاصرين من أن التفسير بدأ كِتَابٍ من أبواب الحديث ، ثم استقلَّ .

وهذا هو تفسير السلف الذي تضمن تفسير هذه الطبقات الثلاث (الصحابة والتابعين وأتباعهم) إضافة إلى التفسير النبوي، وقد عُرف بالتفسير المأثور، واعتنى بنقله المتقدمون من نقلة التفسير وقصروا التفسير المأثور عليه^(١)، وعلى هذا فالتفسير المأثور: ما أثر من تفسير عن رسول الله ﷺ وعن صحابته والتابعين وعن أتباع التابعين، وبه تُختم المرحلة الأولى من مراحل التفسير، وذلك في القرن الأول والثاني، أما القرن الثالث فاقْتَصِر فيه على نقل تفسير السلف، وقُلَّ أن تجد فيه من كان مشهوراً بالتفسير والاجتهاد.

ثم جاءت المرحلة الثانية؛ مرحلة توسع التفسير واختلاف مناهجه، وذلك أنه لما تنوّعت المعارف والعلوم، وتشكّلت مسائل كلِّ علم؛ كالْفقه، وأصوله، والنحو، واللغة والبلاغة، والتاريخ وغيرها = شارك في التأليف في التفسير من تميّز بعلم من هذه العلوم، وصيغ تفسيره بتخصّصه الذي برز فيه، يساعده في ذلك إمكانية التوسع في كتابة التفسير، مما لا ضابط له، وهذا ما جعل كُتُب التفسير تفتّرق في المناهج، وتتوسّع توسّعاً كبيراً وتزيد أحجامها بسبب الاستطرادات الواردة في مسائل متعلّقة بتلك العلوم^(٢)، وسيأتي تفصيل ذلك في مبحث مناهج المفسرين.

تدوين التفسير وأبرز تصانيفه:

يمكن تقسيم مرحلة تدوين التفسير إلى الأقسام الآتية:

أولاً: تدوين التفسير في عصر السلف:

١- عصر الصحابة والتابعين: لم يعتنِ الصحابة بالتدوين، لكن تلاميذهم من

(١) كابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧)، الذي قال في مقدمة تفسيره (١/ ١٤): «... فإن لم أجِدْ عن الصحابة وَجَدْتُهُ عن التابعين عَمِلْتُ فيما أجِدُ عنهم ما ذكرته من المثال في الصحابة، وكذا أجعل المثال في أتباع التابعين وأتباعهم». وعلى هذا سار جُلُّ من نقل تفسير السلف كعبد بن حميد (ت: ٢٤٩)، والطبري (ت: ٣١٠)، وابن المنذر (ت: ٣١٨)، ومن المتأخرين السيوطي (ت: ٩١١) الذي ظهر مصطلح (المأثور) في عنوان كتابه (الدُر المنثور في التفسير بالمأثور).

(٢) ينظر كلام السيوطي في الإقناع (٤/ ٢٤٣) حَوْل هذه المرحلة مع أمثلة لتفسيرات استطرّدت في بعض تلك العلوم.

التابعين المعاصرين لهم بدؤوا بالتدوين ، لذا يمكن القول بأن تدوين التفسير بدأ في أواخر عهد الصحابة ، وعلى ذلك فإن التفسير من أوائل العلوم الشرعية تدويناً ، فقد جاءت روايات تُفيد أن مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤) كَتَبَ التفسير بين يَدَي شَيْخه ابن عباس (ت: ٦٨) رضي الله عنه ^(١) ، وكذا كَتَبه سعيد بن جبیر (ت: ٩٥) بناء على طلب الخليفة عبد الملك بن مروان (ت: ٨٦) ^(٢) . ثم تتابع التابعون على التدوين في التفسير . وقد كانت غالب تلك التفاسير صُحُفاً ونُسَخاً غير شاملة للقرآن تُروى بالأسانيد ، وقد استوعبها أمّهات كُتُب التفسير المأثور اللاحقة .

٢- عصر أتباع التابعين: شهد عصر أتباع التابعين نشاطاً كبيراً في تدوين مختلف العلوم ، حيث تطوّر من مجرد الجَمْع والتدوين إلى مرحلة التّصنيف والترتيب والجَمْع والتبويب ، ومن ثَمَّ كان أتباع التابعين أكثر تدويناً للتفسير ممن سبقهم من التابعين ، ومن أشهر من رُوِيَ عنهم الكتابة فيه: ابن جُرَيْج (ت: ١٥٠) ، ومقاتل بن سُليمان (ت: ١٥٠) ، ويحيى بن سلام (ت: ٢٠٠) .

ويمكن تصنيف الكتابة في التفسير في مرحلة تفسير السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى قِسْمَيْن:

- (أ) الكتابات الجزئية للتفسير: ومِمَّا وصلنا منها: تفسير مجاهد بن جبر ^(٣) (ت: ١٠٤) ، وتفسير سُفيان الثوري (ت: ١٦١) ، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١) .
- (ب) الكتابة الشاملة لجميع القرآن ، ومما طُبِعَ من تفاسير هذا النوع: تفسير مقاتل بن سُليمان (ت: ١٥٠) ، وهو أقدم تفسير كامل مطبوع ، وتفسير يحيى بن سلام البصري (ت: ٢٠٠) .

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٨٥) .

(٢) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ٣٣٢) في ترجمة عطاء بن دينار .

(٣) يرى البعض أن تفسيره المطبوع الموسوم بـ«تفسير مجاهد» هو تفسير آدم بن أبي إياس (ت: ٢٢٠) -وهو من طبقة اتباع التابعين- لأن أغلب رواياته من طريق آدم ، الجدير بالذكر أن أغلب آثار هذا التفسير تدور حول تفسير مجاهد . ينظر: استدراقات على تاريخ التراث العربي (قسم التفسير) ، للأستاذ الدكتور جِكْمَتُ بَشِير ياسين (٢/ ٢٣ ، ١٠٣) .

ثانياً: ما بعد عصر أتباع التابعين إلى عصر ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠):

من أبرز أنواع الكتابة في التفسير التي ظهرت في هذه الحقبة ما يلي:

١- كُتِبَ التفسير المأثور: لا يزال التصنيف من علماء السنة قائماً في التفسير، لكنه اتخذ طابع الرواية، وغلب عليه كما تقدّم، ومن أبرز تلك التفاسير: تفسير عبد بن حميد (ت: ٢٤٩).

٢- التفسير في تصانيف المحدثين: في هذه المدة شارك بعض المحدثين في تدوين التفسير في كتبهم الحديثية، فجعلوا التفسير في أبواب تضمّنتها كتبهم، ومن أبرزهم: - سعيد بن منصور (ت: ٢٢٤)، وقد جعل كتاب التفسير جزءاً من كتاب السنن له، وهو مطبوع.

- البخاري (ت: ٢٥٦) في كتابه الصحيح، وقد جعل كتاب التفسير أحد كتب مصنّفه.

٣- التفسير اللغوي: حيث ظهر بعض علماء العربية في عصر أتباع التابعين ومن بعدهم ممن فسّر القرآن من جانب لغوي، ومن أبرز تلك المدونات المطبوعة: - معاني القرآن، للفرّاء (ت: ٢٠٧).

- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٨).

- غريب القرآن، لابن قتيبة (ت: ٢٧٦).

ثالثاً: عصر الإمام محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠):

إمام المفسرين حقاً، ومُقدّمهم، وتفسيره الموسوم بـ«جامع البيان في تأويل القرآن» من أبرز كتب التفسير على الإطلاق، وقد شهد كثير من أهل العلم أنه لم يُصنّف مثله، وقد نهج فيه التوسّع في ذكر روايات التفسير المأثور مُسنّدة مع الترجيح بينها، عبر قواعد منضبطة، ومعايير واضحة، كما اعتنى بذكر القراءات وتوجيهها، وإيراد الأعراب والأساليب العربية، والشواهد اللغوية.

كذلك برز في عصر الطبري وبعده بقليل عددٌ من كتب التفسير المأثور، من أهمّها:

تفسير ابن المنذر (ت: ٣١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧).

رابعاً: ما بعد عصر ابن جرير الطبري:

بعد عصر ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠) تتابع التصنيف في التفسير، وكثرت كُتبه حتى صارت تُعدُّ بالمئات، وتضمّنت ما صَفَى وما كَدَّر، وكَثُرَ القول بالرأي، واعتماد المذهب الذي ينتمي إليه المفسّر، إضافة إلى اصطباغ تفسيره بتخصّصه الذي برّز فيه. كذلك ظهرت أقوال كثيرة مخالفة لما عليه سلف الأمة، واستمرّ التأليف إلى يومنا هذا، وكل واحد يحرص على أن يندرج في سلك المبيّنين عن كتاب الله، والموصّلين معانيه لجمهور الأمة بما يراه أمثل السبل في ذلك.

وما كتبه العلماء في التفسير يفوق الحَصْر، لكن يحسُن أن نذكر أهم هذه الكتب في ما يأتي:

١- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، لأبي محمد عبد الحق ابن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢)، وهو كتاب قد حمل من عنوانه الشيء الكثير، وفيه من التحرير ما لا تجده في غيره، ومن توجيه عبارات السلف في التفسير وبيان ما فيها من الفقه التفسيري.

٢- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١)، وهذا الكتاب فيه عناية بنقول أقوال السلف، ومن أهم ما يميّز به حسن التنظيم والترتيب، وعنايته بالأحكام القرآنية إلى حدّ الاستطراد في ذكر مسائل الفقه في كتابه، حتى إنه لا يكاد يُوجد باب من أبواب الفقه، وليس له فيه كلام.

٣- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للقاضي ناصر الدين البيضاوي (ت: ٦٨٥)، وقد استفاد من تفسير الزمخشري، ومن تفسير الراغب الأصفهاني، ومن غيرهما، وليس فيه عناية بالآثار، لكن فيه عناية في حلّ المشكلات بالإشارة إليها إشارة وجيزة مُختصرة.

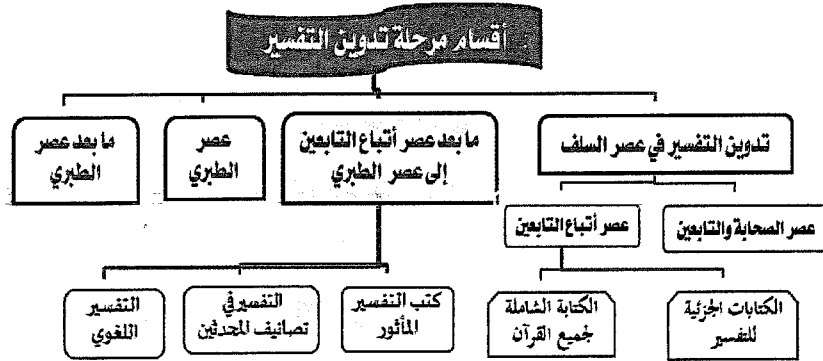
٤- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، لإسماعيل ابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤)، وهو من أشهر كتب التفسير وأنفسها، وله عناية ببيان القرآن بالقرآن، وبالسنة بطُرُق بدیعة، حتى لا يكاد يقاربه في ذلك مُفسّر، كما أن له عناية بأقوال السلف، ولم يتوسّع

في الأحكام الفقهيّة، بل يغلب عليه بيان الحُكْم المنصوص عليه في الآية، وبيان المذاهب فيها باختصار، مع بيان الرَّاجح أحياناً، كذلك لم يَعتنِ بالقراءات أو الإعراب أو البلاغة، ونحوها.

وقد استفاد طريقة التفسير من شيخه ابن تيمية (ت: ٧٢٨)، وذكر من رسالته في أصول التفسير طرفاً في مقدّمة تفسيره، ثمّ قام بتطبيقها في تفسيره هذا.

وله عناية بسرد أسانيد الحديث، وبيّن درجتها في بعض الأحيان، ويتّخذ بعض الإسرائيليات، وبعض القصص الوارد في كُتُب التفسير. وقد طرَحَ الله لهذا التفسير القبول، وكثرت طبّعاته وتعدّدت.

٥- تفسير ابن عاشور (التحرير والتّأويل)، لمحمد الطاهر بن عاشور الثونسيّ (ت: ١٣٩٣)، وهو أنفس تفاسير المعاصرين، وفيه من العناية بالمفردة، والبلاغة القرآنيّة، وحلّ مُشكلات التفسير الشّيء الكثير الذي لا يكاد أن يجتمع في كتاب.



ثانيًا: علم أصول التفسير

مفهوم أصول التفسير^(١):

يتكوّن مصطلح أصول التفسير من كلمتي: أصول، وتفسير، والأصول جمع أصل، وهو لغة: أسفل الشيء، واصطلاحًا: ما يُبنى عليه غيره. ومن هذا التعريف أخذ تعريف «الأصول» في العلوم، إذ هي الأسس التي يعتمد عليها علم ما بحسب إضافته إلى علم من العلوم. وإذا كان التفسير هو: «بيان معاني القرآن» - كما تقدم - فأصول التفسير: هي الأسس العلمية التي يرجع إليها المفسر حال بيانه لمعاني القرآن، وتحريره للاختلاف في التفسير^(٢). أهمية أصول التفسير:

من خلال التعريف يتبين أهمية أصول التفسير، لأنها تقي المفسر للقرآن من الخطأ في الفهم، وتمنعه من أن يأتي بمعنى غير صحيح، وتُمكنه من ردّ القول الضعيف فما دونه بأسلوب علمي.

مسائل أصول التفسير وموضوعاته:

أهم مسائل هذا العلم ثلاثة أمور كُلية^(٣):

الأول: مصادر التفسير (وهي القرآن والسنة وأقوال السلف واللغة)، وطرقه (وتشمل طريقتي النقل والاجتهاد).

الثاني: الاختلاف في التفسير (ويشمل أسبابه، وأنواعه).

الثالث: قواعد التفسير (وهي قسمان: القواعد العامة، وقواعد الترجيح).

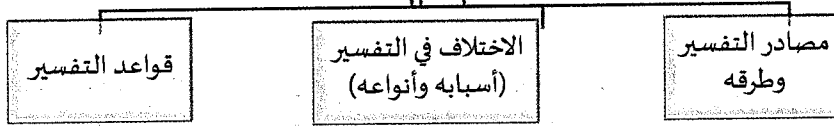
وليس المقام هنا لتفصيل تلك المسائل، لكن يحسن بنا الحديث بإيجاز عن كيفية تفسير القرآن نظرًا لأهميته ولما شاب بعض مسائله من خلط عند بعض المعاصرين، وذلك بعد الحديث عن نشأة علم أصول التفسير والمصنفات فيه.

(١) تقدم في التمهيد بيان الفرق بين أصول التفسير وعلوم التفسير وعلوم القرآن بما بغني عن إعادته.

(٢) ينظر: التحرير في أصول التفسير (ص ١٥-١٧).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص ١٩).

مسائل أصول التفسير



نشأة علم أصول التفسير والمصنّفات فيه:

وردت في الأحاديث النبوية وآثار السلف الكرام إشارات إلى مسائل أصول التفسير، وحين بدأ عصر التدوين دوّنت مسائل أصول التفسير ضمن عدد من علوم الشريعة، وكانت منتشرة في عدد من الكتب، من أبرزها: كتب التفسير سواء في مقدماتها أو بطونها، ويتبوأ تفسير ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠) مكانة كبيرة في هذا الشأن، كذلك انتشرت في كتب علوم القرآن، خصوصاً كتابي البرهان والإتقان^(١).

وهكذا بدأ علم أصول التفسير يتكوّن شيئاً فشيئاً؛ حتى صار علماً متميّزاً له كتبه الخاصة، لكن تأخر استقلاله كعلم مقارنة بالعلوم الأخرى، ومن أبرز تلك الكتب وأكثرها تأثيراً: «مقدمة في أصول التفسير»، لابن تيمية (ت: ٧٢٨)^(٢).

أيضاً كان للمعاصرين اعتناء كبير بالتأليف في هذا العلم وجمع شتاته، فمن ذلك:

١- أصول التفسير وقواعده، خالد بن عبد الرحمن العك (ت: ١٤٢٠).

٢- أصول التفسير ومناهجه، أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرّومي.

٣- التفسير: أصوله وضوابطه، أ.د. علي بن سليمان العبيد.

(١) فالزركشي في البرهان (٢/ ١٤٧-٢١٤) ذكر في النوع الحادي والأربعين (معرفة تفسيره وتأويله) جملة من مسائل أصول التفسير، مثل: الفرق بين التفسير والتأويل، وأمّهات مأخذ التفسير، وأحسن طرق التفسير. والسُّيوطي في الإتقان (٤/ ١٢٦٦، ٦/ ٢٢٧٤، ٢٢٦١، ٢٣٢٥) أورد مسائل عديدة، خصوصاً في عناوين بعض الأنواع، مثل: النوع الثاني والأربعين: قواعد مهمة يحتاج إليها المفسّر. والنوع السابع والسبعين: معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه. والنوع الثامن والسبعين: شروط المفسّر وآدابه، والنوع الثمانين: طبقات المفسّرين.

(٢) وهو أوّل كتاب يمكن أن يكون من هذا النوع، وفي الأصل هو جواب على سؤالٍ وجّه لابن تيمية.

٤- فصول في أصول التفسير.

٥- التحرير في أصول التفسير ، كلاهما للأستاذ الدكتور مساعد بن سليمان الطيار .
كيفية تفسير القرآن^(١):

لتفسير القرآن طريقان رئيسان في كَيْفِيَّتِهِ: النَّقْل والاجتهاد.
أولاً: النَّقْل عن الغير:

ولا يخرج النَّقْل عن طريقين: الإسناد الشَّفاهي ، وهو ما يعتمد على الحفظ كما كان لدى متقدمي السلف . أو النَّقْل من الكتب .

ثانياً: الاجتهاد (التفسير بالرأي)^(٢):

التفسير بالرأي قديم ، وبذوره منذ عهد رسول الله ﷺ^(٣) ، وقد استمرَّ بعد ذلك ؛ لأن علماء الصحابة صاروا هم المرجع للمسلمين الجُدد ، فوقع منهم الاجتهاد حسب

(١) ينظر: التحرير في أصول التفسير (ص ١٩٥-٢١٨).

(٢) هنا يلزم التنبيه إلى ما تتابع عليه كثير من المعاصرين في عدِّ التفسير بالرأي مقابل التفسير المأثور ، باعتبار أن التفسير المأثور (هو تفسير القرآن بالقرآن ، وبالسنة ، وبأقوال الصحابة وبأقوال التابعين) ، وهو مُسَلَّك غير صحيح ؛ لأن التفسير المأثور هو: بيان معاني القرآن الكريم الوارد عن رسول الله ﷺ أو صحابته وتابعيه وتابعي تابعيه ، وعليه عمل نُقْلَة التفسير المأثور كما تقدّم ، أما إدراج تفسير القرآن بالقرآن ضمنه فليس بوارد عنهم ، كما أنه طريق يكتنفه الاجتهاد والرأي - في أغلبه - من خلال ربط آية بآية ، وهذا الربط على سبيل التفسير والبيان هو من اجتهاد المفسر . ينظر: مبحث «التفسير المأثور: تعريفه وبيان مصادره» . للدكتور مساعد الطيار في موسوعة التفسير المأثور - المدخل (١/١٠٧-١١٧).

(٣) ومن أشهر الأمثلة على الاجتهاد في فهم المعنى المراد في عهد الرسول ﷺ ما وقع من عدي بن حاتم رضي الله عنه (ت: ٦٦) ، وذلك أنه لما نزلت ﴿ حَتَّى يَذُوبَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، قال عدي ابن حاتم: يا رسول الله ، إني أجعل تحت وسادتي عقائين ؛ عقلاً أبيض وعقلاً أسود ؛ أعرف الليل من النهار ، فقال رسول الله ﷺ: «إن وسادتك لمرِيض ، إنما هو سواد الليل وبياض النهار» رواه مسلم في صحيحه (١٠٩٠) . فعدي رضي الله عنه فهم المعنى وفسره ، ثم طَبَّقَ الحكم الفقهي كما فهمه من المعنى ، ولم ينتهه الرسول ﷺ عن أن يفهم القرآن برأيه ، وأن يجتهد فيه برأيه ، بل بيّن له المعنى الصحيح للآية .

ما بين أيديهم من المعلومات^(١).

وقد برز في جيل صغار الصحابة مفسرون من التابعين كانت لهم آراؤهم المستقلة ، وكان لهم بالتفسير عناية من جهة الرواية أو التدوين ؛ كسعيد بن جبير (ت: ٩٥) ، ومجاهد ابن جبر (ت: ١٠٤) ، وعكرمة (ت: ١٠٥) ، والحسن البصري (ت: ١١٠) ، وغيرهم . وكذا الحال في جيل أتباع التابعين ، فقد برز منهم جماعة ، وصغار التابعين متوافرون .

أنواع الرأي :

الرأي من حيث المستند نوعان : رأي محمود ، ورأي مذموم .
والرأي المحمود : ما كان عن علم أو غلبة ظن ، وهذا هو الرأي الذي كان في طبقات السلف الثلاث من الصحابة والتابعين وأتباعهم .
والرأي المذموم : ما كان عن جهل أو هوى .
وهو من المحرمات التي عدها الله في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تُمَّ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

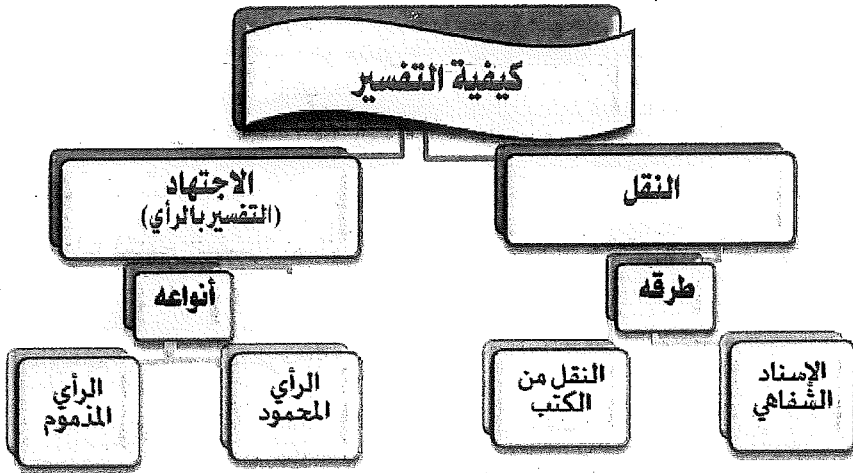
ومفسرو السلف لم يكن رأيهم من قبيل الرأي المذموم - الذي يقول به صاحبه دون علم - ، بل هو الذي وقع نهيمهم عليه ، كقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : «أي سماء تظلني ، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأيي» ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : «القرآن كلام الله فمن قال فليعلم ما يقول ، فإنما يقول على الله ﷻ»^(٢) .
متى ظهر الرأي المذموم ؟

ظهر الرأي المذموم وانتشر لما ظهرت البدع ، لأن أهل البدع يعتقدون رأياً ، ثم يكون لهم مع نصوص القرآن طريقان :

(١) مثال ذلك ما رواه الطبري في تفسيره (٤٧٥/٦) عن الشعبي (ت: ١٠٤) : «أن أبا بكر قال في الكلاله : أقول فيها برأيي ، فإن كان صواباً فمن الله : هو ما دون الولد والوالد . قال : فلما كان عمر قال : إنني لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكر» .

(٢) ينظر القولان في شعب الإيمان (٢٩٢/٥ - ٢٩٤) .

الأول: نفي الدلالة الظاهرة التي تُخالف مذهبهم.
الثاني: حَمْل المعنى على ما يعتقدون ، وإن لم يكن يُراد به المعنى الذي ذهبوا إليه .



ثالثاً: علم مناهج المفسرين

مفهوم مناهج المفسرين:

المناهج جمع منهج، وهو مشتق من نهج، والنهج والمنهج والمنهاج: الطريق الواضح^(١)، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].

وعند تأمل لفظة (المنهج) عند المعاصرين يظهر أنهم يقصدون بها: الطريقة الواضحة المنظمة المؤدية إلى نتيجة علمية.

وعليه فـمنهج المفسر: هو الطريقة الواضحة المنظمة ذات القواعد والأسس التي سار عليها المفسر في تفسيره للقرآن.

نشأة علم (مناهج المفسرين) وأبرز مصنفاته:

البحث في مناهج المفسرين له أصل لدى السابقين، تظهر ملامحه في ثنايا كلام أئمة التفسير عن كتاب من كتب التفسير في جانب من الجوانب، إما بمدح من خلال التنبهات اللطيفة على حسن التأليف والترتيب، ودقة النظر والتحري، ومدى البسط والاستيعاب أو الاختصار والإيجاز، أو بدم من خلال بيان معتقد مؤلفها، ومسالك إظهار عقيدته فيها، إلى غير ذلك، وهذا التقويم الإجمالي هو الغالب على عمل علمائنا المتقدمين، وكثيراً ما تجده في مقدمات بعض التفاسير^(٢)، أو كُتب علوم القرآن

(١) القاموس المحيط (نهج).

(٢) مثاله: قول ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١) في مقدمة تفسيره «التسهيل لعلوم التنزيل» (ص: ٦٤): «... وأما ابن عطية، فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعدلها، فإنه أطلع على تأليف من كان قبله، فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك: حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة، ... ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق؛ تفسير أبي القاسم الرّمخشري وأبي الفضل الغزنوي وأبي الفضل ابن الخطيب. فأما الرّمخشري: فمسدد النظر، بارع في الإعراب، متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فكدر صفوه، وتمرر حلوه، فخذ منه ما صفاً، ودع ما كدر. وأما الغزنوي: فكتابه مختصر، وفيه من التصوف ثكت بدعية. وأما ابن الخطيب: فتضمن كتابه ما في كتاب الرّمخشري، وزاد عليه إشباع في قواعد علم الكلام، ونمقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجزم؛ ربما يحتاج إلى تلخيص. والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزيهم أفضل ثوابه».

المبسوطة، وعملهم هذا أصل لما يُسمَّى اليوم بـ(مناهج المفسرين)، لكن المعاصرين أطروه بأطرٍ بحثيةٍ معاصرة، وأضافوا إليه إضافاتٍ مهمة، وجعلوا له قواعد وأسساً خاصة، وأفردوه كعلمٍ مستقلٍّ له مسائله النظرية، ومعالمه التطبيقية، ومصنفاته الخاصة، التي من أبرزها: كتاب «التفسير والمفسرون» للدكتور محمد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٧) الذي صار عمدة الكاتبين في مناهج المفسرين. ومن الكتب الأخرى:

- ٢- التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور (ت: ١٣٩٠).
 - ٣- المفسرون: مناهجهم واتجاهاتهم. د.أ. فضل حسن عباس (ت: ١٤٣٢).
 - ٤- أصول التفسير ومناهجه، د.أ. فهد بن عبد الرحمن الرومي.
 - ٥- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د.أ. صلاح الخالدي.
- وقد كان من آثار تأصيل هذا العلم: تطبيق مسائله وأصوله على كتب التفسير من خلال الأطروحات العلمية الجامعية، حتى لا تكاد تجد تفسيراً إلا ودُرس منهجه. موضوعات دراسة منهج المفسر^(١):

تشمل دراسة منهج مفسر الموضوعات التالية:

أولاً: العوامل المؤثرة في تفسير المفسر: تتضمن: (مكانة المفسر العلمية، مذهبه الفقهي والعقدي، عصر المؤلف، مصادره في التفسير، كيفية تعامله مع أقوال المفسرين).

ثانياً: طريقته في تأليف كتابه: تتضمن: (ترتيب الكتاب، أسلوب كتابة التفسير، أبرز العلوم التي تميّز بها وقصدها في كتابه، كيفية تعامله مع مصادر التفسير).

ثالثاً: قيمة التفسير العلمية: تتضمن:

- (أ) مميزاته وحسناته (كحُسن الترتيب، وحُسن التعبير، والقواعد العلمية التي يسير عليها المفسر، والترجيح عنده، وآراؤه في أنواع علوم القرآن، وأثره في من بعده).
- (ب) المآخذ عليه (مثل: مخالفة أصول معتبرة، أو مخالفة منهجه الذي ارتضاه، أو الإكثار مما ليس من علوم التفسير في كتابه، أو الخلل في التنظيم والترتيب، وغيرها من المآخذ الفنية والعلمية).

(١) ينظر: مذكرة في أصول التفسير ومناهجه للأستاذ الدكتور مساعد الطيار (غير مطبوعة).

أساليب كتابة التفسير:

من موضوعات مناهج المفسرين التي يذكرها بعض المعاصرين: أساليب كتابة التفسير، وهي أربعة أساليب^(١): الأسلوب التحليلي، والأسلوب المقارن، والأسلوب الإجمالي، والأسلوب الموضوعي، ويُعرف بالتفسير الموضوعي.

أما الأسلوب التحليلي: فهو التفسير الذي يستوعب ما قيل في الآية، ويناقش ما فيها من معاني ألفاظ وإعراب وقراءات وأحكام وأقوال ونحو ذلك.

وأما الأسلوب المقارن: فهو الموازنة بين أقوال المفسرين لإخراج الراجح من المرجوح.

وأما الأسلوب الإجمالي (أو الجُملي): فهو أن يفسر المفسر الآية جُملة واحدة، دون تفكيك ألفاظها وتفسيرها لفظاً لفظاً كما في التفسير التحليلي^(٢).

وأما ما يُسمَّى بالتفسير الموضوعي فإنه أسلوب معاصر^(٣)، ويُعرَّف بأنه: «بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في سورة واحدة أو سور متعددة»^(٤)، وذكر بعض من كتب فيه أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: دراسة موضوع من خلال القرآن، مثل: الجهاد في القرآن.

ثانياً: دراسة لفظة أو مصطلح من خلال القرآن، مثل: ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ في

(١) ينظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه (ص ٥٧).

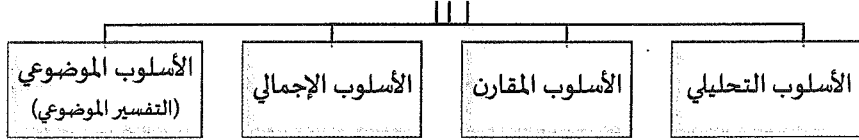
(٢) والواقع أن هذه تقسيمات فنية ليس لها أي أثر علمي من حيث مدى التزام المفسرين بأحدها، فكثيراً ما تجد هذه الأنواع الثلاثة في الكتاب الواحد مع شيء من التداخل خصوصاً التفاسير المطولة، ولكن تتفاوت مقاديرها حسب منهج المفسر، ومن ذلك تفسير ابن جرير الطبري، فهو أحياناً يحلل الآية، ثم يذكر المعنى الجُملي لها، ثم يذكر أقوال السلف ثم يرجع، ففيه تحليل، وفيه معنى إجمالي، وفيه أيضاً مقارنة وموازنة، لكن قد توجد تفاسير تكاد تكون كلها ذات أسلوب جُملي كتفسير السعدي، والتفسير الميسر، والتفسير المختصر، ولكنها قليلة جداً. وينظر: مذكرة في أصول التفسير ومناهجه.

(٣) ويرى البعض أن لبنات هذا اللون من التفسير ظهرت عند المتقدمين وذلك في بعض علوم التفسير، كتفسير القرآن بالقرآن، وأحكام القرآن، والوجوه والنظائر، ومشكل القرآن، ونحوها. ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص ١٧)، بحوث في أصول التفسير ومناهجه (ص ٦٣).

(٤) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي (ص ١٦).

القرآن ، أو يأخذ لفظة مثل لفظة: ﴿ءَامَنُوا﴾ في القرآن ، فيدرسها كصيغة .
ثالثاً: دراسة موضوع من خلال سورة ، مثل: غزوة بدر من خلال سورة الأنفال ، أو
غزوة تبوك من خلال سورة التوبة ... وهكذا^(١) .
وللتفسير الموضوعي ضوابط محدّدة مذكورة في كتب التفسير الموضوعي التأصيلية .

أساليب كتابة التفسير



اتجاهات المفسرين:

من المصطلحات التي ظهرت عند المعاصرين (اتجاهات التفسير) أو (اتجاهات المفسرين) ، وهو غير (مناهج المفسرين) ، فما المراد باتجاهات المفسرين ؟
الاتجاه مأخوذ من مادة (وجه) ، أي: الوجه الذي تقصده^(٢) ، كما قال تعالى:
﴿وَلِكُلِّ وُجْهٌ هُوَ مَوْلَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] ، واتّجه إلى كذا ؛ أي: قصده وذهب إليه .
والمقصود بالاتّجاه في التفسير: المسلك العلمي الذي قصده المفسر إبرازه في تفسيره . وقد يكون للمفسر أكثر من مقصد ، وهو يؤلف تفسيره .
والمقصود أن بعض المفسرين توجه إلى إبراز علم من العلوم ، أو إبراز مذهبه ، فيسمى هذا اتجاه ، ويمكن تقسيم الاتجاهات إلى قسمين عامين^(٣) :
القسم الأول: الاتجاه العلمي ، ويشمل: الاتجاه الأثري ، والاتجاه النحوي ، والاتجاه البلاغي ، والاتجاه اللغوي ، ونحوها . وسيأتي توضيح بعضها في الفصل التالي .
القسم الثاني: الاتجاه المذهبي ، ويشمل:
١ - الاتجاه الفقهي ؛ كالاتجاه الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وغيرها .

(١) ينظر: المرجع السابق (ص ٢٣-٢٩) .

(٢) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٥٥٧) مادة (وجه) .

(٣) ينظر: مذكرة في أصول التفسير ومناهجه .

٢ - الاتجاه العقدي ؛ كالاتجاه المعتزلي والرافضي والصوفي والباطني وغيرها .

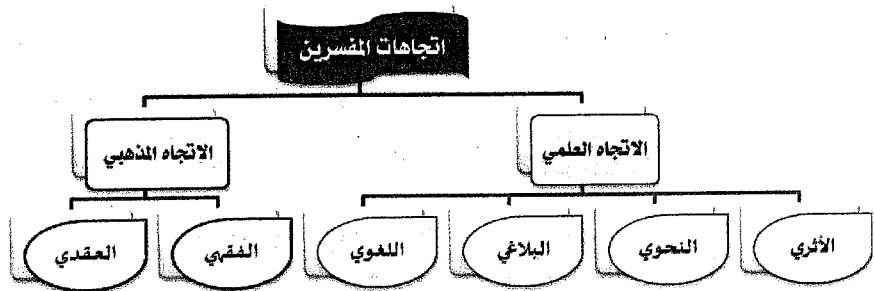
متى ظهرت هذه الاتجاهات ؟

إن ظهور الاتجاهات مرتبط بتاريخ التفسير ، والأصل أن هذه الاتجاهات ظهرت مع بدايات ظهور التفسير ؛ لأن الاتجاهات تخرج من المعلومات التي يذكرها المفسر في تفسيره ، غير أن الذي غلب على أسباب ظهور الاتجاهات أمران :

الأول : ظهور المذاهب (العقدية والفقهية) ، وكان لهما أثر في اختلاف اعتماد المصادر ، وهو جزء مما سيرزاه البحث في اتجاهات التفسير .
الثاني : تكون العلوم الإسلامية (الفقه والنحو والبلاغة واللغة) .

وهذا يعني أنه عند البحث في تفسير السلف (الصحابة والتابعين وأتباعهم) ؛ لن يخرج من الاتجاهات ما سيخرج في تفسيرات من بعدهم ، فعلى سبيل المثال : الاتجاه النحوي : لا تكاد تجد ذكر لمعلومات النحو في تفسيرات السلف ؛ وذلك لأن هذا العلم كانت بدايته الفعلية في جيل أتباع التابعين ، وقد ظهر في كتب (إعراب القرآن) ، وكتب (معاني القرآن) ، والتأليف فيهما كان في أواخر عصر أتباع التابعين ، ثم دخل هذا العلم في كتب التفسير بدءاً بتفسير ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠) .

وختاماً يحسن التنبيه إلى أن بعض هذه الاتجاهات لا أثر له في صلب التفسير ، بل هي تأتي بعد بيان المعنى ؛ ككثير من الاستنباطات العلمية ، وهذه وإن كانت ليست من صلب التفسير إلا أن لها أثراً في منهج المؤلف وكتابه .



رابعاً: علم أحكام القرآن

المراد بأحكام القرآن:

من اتجاهات التفسير الاتجاه الفقهي، والمراد به قصد المفسر في تفسيره إبراز الأحكام الفقهية التي تدل عليها آيات القرآن، وهو ما عُرف بأحكام القرآن، ويُسميه البعض التفسير الفقهي^(١).

ويمكن تعريف علم أحكام القرآن بأنه: العلم الذي يُعنى ببيان الأحكام الشرعية التي تدل عليها آيات القرآن نصاً، أو استنباطاً.

عدد آيات الأحكام في القرآن وأقسامها:

اجتهد العلماء في عدّ آيات الأحكام واختلفوا في ذلك، فقيل: مائة وخمسون آية، وقيل: خمس مائة آية، وهو أشهر ما قيل في عددها^(٢)، وعلّل الزركشي هذا القول باحتمال أن يكون مرادهم الآيات الصريحة في الأحكام، وإلا ففي آيات القصص والأمثال وغيرها ما يُستنبط منها كثير من الأحكام^(٣).

ومن هنا يتبين لنا أن آيات الأحكام من حيث دلالتها على الأحكام قسمان:

١- آيات صريحة في الأحكام، فتؤخذ الأحكام من تفسير الآية الظاهر.

٢- ما تؤخذ منها الأحكام بطريق الاستنباط^(٤).

وتقدّم معنا في أول الفصل أن الاستنباط من الآيات القرآنية هو استخراج المعاني المترتبة على المعنى المراد من الآية بطريق صحيح، وأنه مرتبة تأتي بعد مرتبة التفسير.

(١) ينظر: تفاسير الأحكام ومناهجها (٣٩/١).

(٢) قال الشيخ محمد الخضر حسين: «واقصروا في تقديرها على هذا العدد لأنهم رأوا مقاتل بن سليمان -وهو أول من أفرد آيات الأحكام في تصنيف- قد جعلها خمس مائة آية». ينظر: تفاسير آيات الأحكام (٤٧/١).

(٣) البرهان (٣٢٠/٢). وينظر: الإتيان (١٩٢٨/٦).

(٤) ونقل الزركشي عن العزّ بن عبد السلام أنها نوعان: ما يُستنبط من غير ضمنية آية إلى أخرى، وما يُحتاج إلى الضمّ إلى غيره. ينظر: البرهان (٣٢٠/٢).

مثال لقسمي الآيات من حيث دلالتها على الأحكام: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَفِظُونَ﴾ [الاعلىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين] ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧، المعارج: ٢٩ - ٣١].

- الحكم الصريح في الآيات: إباحة قضاء شهوة النكاح بطريقتين: الزواج ومُلك اليمين، وتحريم ما سوى ذلك.

- حُكم مستنبط من الآيات: قال ابن كثير: «استدلَّ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وَمِنْ وافقه على تحريم الاستمئاء باليد بهذه الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَفِظُونَ﴾ [الاعلىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين] قال: فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين، وقد قال: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾»^(١).

مما مضى يتبين لنا أن آيات الأحكام هي: الآيات التي تدلُّ على الأحكام الشرعية نصًّا، أو استنباطًا.

نشأة علم أحكام القرآن وتدوينه^(٢):

مرَّ تفسير أحكام القرآن بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: عهد النبوة والصحابة والتابعين: نزل القرآن متضمنًا أحكامًا فقهية تتصل بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وكان الصحابة يدركون تلك الأحكام ويعملون بها، وما أشكل عليهم يرجعون فيه إلى الرسول ﷺ، وفي قصة عدي بن حاتم المتقدمة مثال صريح في ذلك^(٣).

وبعد وفاة الرسول ﷺ وتوسُّع الفتوحات الإسلامية جدَّت حوادث اقتضت اجتهاد الصحابة في الفتاوى والأقضية، وكان اعتمادهم في استنباط الأحكام الشرعية على القرآن ثم السنة، فإن لم يجدوا فيها اجتهدوا برأيهم، وهم في تلك الحال قد يجمعون على الحكم المستنبط، وأحيانًا قد يختلفون في فهم الآية، وبالتالي اختلافهم في الحكم

(١) تفسير ابن كثير (٥/٤٦٣)، وينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: تفاسير الأحكام ومناهجها (١/٤٠-٤٤).

(٣) ينظر: ص ١٩١ ح ٣.

المرتَّب عليه، ومن أوضح الأمثلة على ذلك اختلافهم في معنى (القرء) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أهو (الحِيْضَة) أم (الطُّهْر)؟ مما ترتَّب عليه اختلافهم في عِدَّة المطلَّقة.

وكان هذا الخلاف في فهم نصوص القرآن هو نواة الخلاف في فهم آيات الأحكام. ومن هنا لا يكاد يخلو تفسير أيِّ من مفسِّري السَّلف من بيان أحكام القرآن، لكن هذا الاختلاف لم يكن ظاهرة واضحة، وبالتالي لم يظهر الاتجاه الفقهي في تفسيرهم.

المرحلة الثانية: مرحلة المذاهب الفقهيَّة: في القرن الثاني الهجري ظهرت المذاهب الفقهيَّة، التي كان أوَّل فقهاءها المعبَّرين أبا حنيفة النُّعمان (ت: ١٥٠)، ثم مالك (ت: ١٩٣)، ثم الشَّافعي (ت: ٢٠٤)، ثم أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١). لكن مع اختلافهم في الأحكام لم يظهر التعصُّب للمذهب؛ بل كانوا يبنِّدونه ويدَّعون للتَّمسُّك بالحق والدليل. واستمرَّ ذلك الاعتدال حتى ظهر من بعدهم خَلْف سَرَّت فيهم رُوح التَّقليد والتعصُّب للأئمَّة والمذهب، وكان من أثر ذلك التعصُّب أن نظر بعضهم إلى آيات الأحكام فأولَّها وفق مذهبه؛ إلا أنه مع ذلك فقد ظهر فقهاء أئمَّة أعلامٌ منصِّفون يتبعون الدليل، ويبنِّدون التعصُّب، ويرجِّحون القول ولو خالف المذهب.

والخلاصة أنه مع ظهور هذه المذاهب الفقهيَّة وتكوُّن مدارسها وتعدُّد أتباع كل منها = برز الاتجاه الفقهيُّ في تدوين التفسير بشكل واضح، وقد كان هذا الاتجاه الفقهي في التفسير على ضَرَبَين:

الأوَّل: ألا يقصد المفسِّر إبراز الأحكام الفقهيَّة، لكنه سيعرض للأحكام القرآنية من خلال تفسيره بلا شك، ومن هنا سيظهر أثر مذهبه من خلال تفسيره آيات الأحكام، كما هو الحال في بعض كتب التفسير المطوَّلة كتفسير الطبري، وابن عطية.

الثاني: أن يكون إبراز الأحكام الفقهيَّة من مقاصد تفسيره، إما يكون ذلك أثناء تفسيره للقرآن كاملاً، وذلك بالتوسُّع والاستطراد في ذكر مسائل الأحكام المتعلقة بالآية وإن لم تُشير إليها، وهذا النوع قليل في التِّفاسير، ومن أشهرها كتاب «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (ت: ٦٧١).

أو بتخصيص كتاب في أحكام القرآن، يقتصر فيه على تفسير آيات الأحكام فحسب، وهو الأغلب في كُتب أحكام القرآن.

أبرز المصنّفات في أحكام القرآن

ألّف العلماء في هذا العلم قديماً، وكان من أوائلهم مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠) بكتابه «تفسير الخمس مائة آية من القرآن في الأمر والنهي والحلال والحرام»^(١)، ثم تابعت المؤلفات بعد ذلك بحسب المذاهب الفقهية، ومن أبرز ما طُبِع منها:

في المذهب الحنفي:

١- أحكام القرآن، لأبي جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١).

٢- أحكام القرآن، لأبي بكر الرازي الجصاص (ت: ٣٧٠).

وفي المذهب المالكي:

٣- أحكام القرآن، لأبي بكر ابن العربيّ (ت: ٥٤٣).

٤- أحكام القرآن، لعبد المنعم ابن الفرس الأندلسي (ت: ٥٩٧).

٥- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت: ٦٧١).

وفي المذهب الشافعي:

٦- أحكام القرآن للشافعي، جمع أبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨).

٧- أحكام القرآن، لأبي الحسن إلكيا الهراشي (ت: ٥٠٤).

٨- تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين الموزعيّ (ت: ٨٢٠).

ومن كتب المتأخرين والمعاصرين:

٩- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، لصديق حسن خان (ت: ١٣٠٧).

١٠- تفسير آيات الأحكام، المنسوب لمحمد علي السائيس (ت: ١٣٩٦).

١١- أحكام القرآن، الشيخ محمد ابن عثيمين (ت: ١٤٢١).

١٢- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني.

(١) وصلنا في مخطوطة وحيدة له، وحقق أكثر من تحقيق، وطُبِع مؤخراً في العراق طبعة محدودة.

وللسيوطي (ت: ٩١١) «الإكليل في استنباط التنزيل» وهو كتاب لطيف في استنباط عموم العلوم من القرآن، وليس مختصاً بالأحكام الفقهية. منهج ترتيب كُتب أحكام القرآن وما يُلحظ عليها: جرى ترتيب كُتب أحكام القرآن على منهجين:

الأول: الترتيب على الموضوعات الفقهية، وعلى هذا سار مقاتل بن سليمان، وأبو جعفر الطحاوي، والبيهقي.

الثاني: الترتيب على سَور القرآن، وعلى هذا أغلب المصنّفين في أحكام القرآن كالجصاص، وابن العربي، وإلكيا الهراسي. ومن أبرز ما يُلحظ على هذه الكتب ما يلي^(١):

- ١- ظهور التعصب المذهبي على بعض أصحابها، بل قد بتعدى الأمر إلى غمط المخالف والاستطالة عليه بما لا داعي له، وإن كان بعضهم أظهر اعتدالاً وإنصافاً كالقُرطبي.
- ٢- الأصل أن المفسّر معنيٌّ بمعرفة الحُكم المنصوص عليه في الآية، فإذا مرّ به حُكم فسّره، وبين الحُكم الشرعي في ذلك. لكن ظهر في منهج بعض من حرص على ذكر أحكام القرآن من المفسّرين أو من كُتب في أحكام القرآن خاصة = الاستطراد في ذكر المسائل المتعلقة في حكم الآية وإن لم تُشر إليها^(٢).



(١) ينظر: أنواع التّصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ١٣٣ - ١٣٧).

(٢) وقد أشار إلى ذلك بعض المفسّرين كأبي حيّان (ت: ٧٤٥) حيث قال في تفسيره البحر المحيط (١/ ٣٢): «وقد تعرض المفسّرون في كتبهم لحُكم التّسمية في الصلاة، وذكروا اختلاف العلماء في ذلك، وأطالوا التّفاريع في ذلك، وكذلك فعلوا في غير ما آية، وموضوع هذا كُتب الفقه، وكذلك تكلم بعضهم على التّعوذ، وعلى حُكمه، وليس من القرآن بإجماع، ونحن في كتابنا هذا لا نعرّض لحُكم شرعيّ، إلا إذا كان لفظ القرآن يدلّ على ذلك الحكم، أو يمكن استنباطه منه بوجه من وجوه الاستنباطات».

خامساً: علم النسخ والمنسوخ في القرآن

مفهوم النسخ:

النسخ لغة^(١): يُطلق على الإزالة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَنَسَخَ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢]، أو النقل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].
النسخ اصطلاحاً:

النسخ على اصطلاح المتأخرين: رفع حكم دليل شرعي، أو لفظه، بدليل من الكتاب أو السنة^(٢).

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفُجْشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥-١٦]؛ نسخ بقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]. قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧): «فدلت الآية الأولى على أن حد الزانية في ابتداء الإسلام الحبس إلى أن تموت أو يجعل الله لها سبيلاً، وهو عام في البكر والثيب، والثانية إلى أن حد الزانيتين الأذى، فظهر من الآيتين أن حد المرأة الحبس والأذى جميعاً، وحد الرجل كان الأذى فقط، ونسخ الحكمين بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]»^(٣).

أما النسخ على اصطلاح السلف والمتقدمين فله معنى أوسع، فهو عندهم رفع أي معنى في النص بنص آخر، سواء كان كلياً لجميع الحكم كما في اصطلاح المتأخرين، أو جزئياً كرفع العموم بالتخصيص، ورفع الإطلاق بالتقييد، ورفع الإجمال بالبيان،

(١) ينظر: الإتيان (١٤٣٥/٤).

(٢) ينظر: الأصول من علم الأصول، لابن عثيمين (ص ٥١).

(٣) المصنف في علم النسخ والمنسوخ (ص ٢٦).

والرفع بالاستثناء^(١). فالسلف كانوا يطلقون على كل هذه الأنواع مسمى النسخ بلا تفرقة؛ لذا يحتاج المتأمل في كلامهم إلى إعمال النظر فيه، ومعرفة أي أنواع النسخ مرادهم^(٢). من أمثلة ذلك: ما روي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]: إنه ناسخ لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَّلْنَاهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، قال الشاطبي (ت: ٧٩٠): «وهذا على التحقيق تقييد لمطلق؛ إذا كان قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ مطلقاً، ومعناه مقيد بالمشيئة، وهو قوله في الأخرى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَّلْنَاهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾...»^(٣).
أهمية علم النَّاسخ والمنسوخ والحكمة منه:

لمعرفة النَّاسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام، ولذلك وردت آثار كثيرة في البحث على معرفته، من ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه مر بقاص يقص في المسجد فقال له: أتعرف النَّاسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هَلَكْتَ وأهلكْتَ^(٤).

وتعظم تلك الأهمية من خلال المعنى الواسع في اصطلاح السلف، بل هو ألصق بعلم التفسير، ومن أبرز العلوم التي يحتاج إليها المفسر^(٥).

(١) ينظر: الموافقات، (٣ / ٣٤٤)، البرهان (٢ / ٤٤)، مفهوم النسخ عند المتقدمين والمتأخرين: نظرة تقويمية، أ. د. مساعد الطيار، مجلة تبيان، ١٨ ع (ص ٢٧٥).

(٢) ومن هنا أخطأ كثير من المفسرين في اعتراضهم على حكم بعض السلف على آيات في الأخبار أنها منسوخة، وذلك لأنهم حملوا ألفاظ السلف على المصطلحات المتأخرة. ينظر: المرجع السابق.

(٣) الموافقات (٣ / ٣٤٥).

(٤) ينظر: البرهان (٢ / ٢٩). قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤ / ٢٧٥): «قد كان القاص في الزمن الأول يكون له صورة عظيمة في العلم والعمل».

(٥) ينظر: الموافقات، (٣ / ٣٤٤)، البرهان (٢ / ٤٤)، مفهوم النسخ عند المتقدمين والمتأخرين: نظرة تقويمية (ص ٢٧٥)، التحرير في أصول التفسير (ص ٢١٨).

كما أن لورود النسخ في مسائل الشرع حكم عديدة من أهمها^(١):

- ١- مراعاة مصالح العباد، وذلك بتشريع حكم في حين وتشرية غيره في حين آخر بما يوافقها.
 - ٢- ابتلاء المكلف واختباره بالامثال وعدمه.
 - ٣- إرادة الخير للأمة والتيسير عليها؛ لأن النسخ إن كان إلى أشق ففيه زيادة الثواب، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويسر.
- شروط النسخ^(٢):

من خلال ما أورده الأصوليون نستخلص أن لتحقق النسخ أربعة شروط:

- ١- أن يكون الحكم المنسوخ شرعياً.
 - ٢- أن يكون دليل رفع الحكم دليلاً شرعياً.
 - ٣- أن يكون هذا الدليل الراجع متراهياً عن دليل الحكم الأول غير متصل به.
 - ٤- أن يكون بين هذين الدليلين تعارض حقيقي بحيث لا يمكن الجمع بينهما.
- ما يقع به النسخ^(٣):

من خلال تعريف النسخ يتبين لنا أنه يقع بالقرآن والسنة، وعلى هذا يتحصل لدينا أربعة أقسام:

- ١- نسخ القرآن بالقرآن: وهو متفق على جواز وقوعه، وسيأتي بيان أنواعه وأمثله.
- ٢- نسخ السنة بالقرآن: الجمهور على جواز وقوعه، ومن أمثله: استقبال بيت المقدس في الصلاة الذي ثبت في السنة دون القرآن، وقد جاء نسخه بالقرآن في قوله تعالى: ﴿قُولِ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].
- ٣- نسخ القرآن بالسنة: والجمهور على عدم جواز وقوعه؛ إلا أن تكون السنة متواترة، على خلاف في ذلك.

(١) ينظر: التحرير في أصول التفسير (ص ٢١٨-٢٢١).

(٢) ينظر: مناهل العرفان (١/١٦٦).

(٣) ينظر: الإقتان (٤/١٤٣٦)، مناهل العرفان (٢/٢١٦)، مباحث في علوم القرآن (ص ٢٣٦).

٤ - نسخ السُّنة بالسُّنة: اتفق على جواز وقوعه؛ إلا نسخ السُّنة المتواترة بالسُّنة الأحاد فالجمهور على عدم جواز وقوعه.

أما النسخ بما سوى الكتاب والسُّنة كالأجماع والاجتهاد فالصحيح عدم جوازه.
أنواع النسخ في القرآن:

النسخ في القرآن ثلاثة أنواع، وذلك باعتبار بقاء التلاوة والحكم؛ كما يلي:

١ - نسخ الحكم مع بقاء التلاوة: مثاله: نسخ الحكم في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] بقوله تعالى بعده: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦].
قال السيوطي: «وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة، وهو على الحقيقة قليل جداً، وإن أكثر الناس من تعداد الآيات فيه»^(١). ثم استعرض ٢١ آيةً منسوخة ذكر أنه لا يصح دعوى النسخ في غيرها على خلاف في بعضها^(٢).

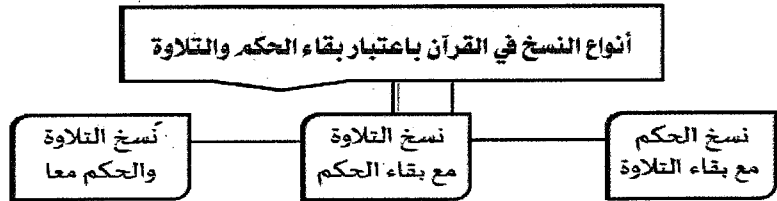
٢ - نسخ التلاوة مع بقاء الحكم: من أشهر أمثله حُكم الرجم للزاني المحصن، وقد نزل فيه قرآن ثم رفع لفظه، وبقي حكمه، وفي ذلك أخرج البخاري ومسلم حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول على المنبر: «إن الله بعث محمداً صلوات الله عليه بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله صلوات الله عليه ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف [زاد ابن ماجه في روايته: «وقد قرأتها: (الشيخ والشيخة إذا زنيا

(١) ينظر: الإنفاق (٤/ ١٤٤١).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٤/ ١٤٤٣-١٤٤٨).

فارجموهما البتة^(١)]. ثم إنا كنا نقرأ في ما نقرأ من كتاب الله: (أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم)، أو (إن كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم)^(٢). وقد تضمن هذا الحديث - كما ترى - آيتين مما نسخت فيهما التلاوة وبقي الحكم.

٣- نسخ التلاوة والحكم معاً: مثاله: نسخ الرضعات العشر التي تحرم ما يحرم بالنسب، وذلك في حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «كان في ما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرم من، ثم نسحن، بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ، وهن في ما يقرأ من القرآن»^(٣).



طُرق معرفة الناسخ والمنسوخ:

القول بوقوع النسخ لآية في كتاب الله أمر عظيم لا يجوز إلا بيقين، قال أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨): «ولا يقال منسوخ لما ثبت في التنزيل وصح فيه التأويل إلا بتوقيف أو بدليل قاطع»^(٤)، لذا ذكر أهل العلم أن طرق معرفة الناسخ والمنسوخ هي^(٥):

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ٨٥٣) (٢٥٥٣). وفي مسند أحمد (٣٥/ ١٣٤) (٢١٢٠٧) عن زر قال: قال لي أبي بن كعب: كائين تقرأ سورة الأحزاب؟ أو كائين تعدها؟ قلت: له ثلاثاً وسبعين آية، فقال: قط! لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عليم حكيم).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ١٦٨) (٦٨٣٠)، وصحيح مسلم (٣/ ١٣١٧) (١٦٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٧٥) (١٤٥٢). قال السيوطي: «وقد تكلموا في قولها: وهن مما يقرأ» فإن ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك، وأجيب بأن المراد: قارب الوفاة، أو أن التلاوة نسخت أيضاً ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ، فتوفي بعض الناس يقرأها. الإتيان (٤/ ١٤٤٠).

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص ٣٥٥).

(٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن (ص ٢٣٤)، دراسات في علوم القرآن (ص ٤٠٨)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص ٢٥٥).

١- أن يأتي في أحد النَّصِّين ما يدلُّ على النَّسخ ، مثاله ما تقدَّم من نسخ الحُكْم في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ الآية [الأنفال: ٦٥] بالآية بعده: ﴿لَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦].

٢- أن يُعرف المتقدم من المتأخر في التاريخ.

٣- إجماع الأمة على أن هذا ناسخ وذاك منسوخ.

ولا يُعتمد في النَّسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة ظاهراً، أو تأخر إسلام أحد الراويين.

مصادر النَّاسخ والمنسوخ وأبرز المصنِّفات فيه^(١):

تحصيل ناسخ القرآن ومنسوخه يكون بالرجوع إلى الكُتُب، وخاصة كُتُب تفسير السَّلف وكتب النَّاسخ والمنسوخ، وقد دُوِّنت في وقت مبكر جداً وذلك في عهد التابعين، ومن المطبوع مما أثر عنهم من مدونات فيه: النَّاسخ والمنسوخ لقتادة (ت: ١١٧)، والزُّهري (ت: ١٢٤)، وقد توالَت المصنِّفات فيه بعد ذلك إلى يومنا، ومن أهم ما طُبِع منها:

١- النَّاسخ والمنسوخ، لأبي عُبَيْد القاسم بن سَلَام (ت: ٢٢٤).

٢- النَّاسخ والمنسوخ في كتاب الله ﷻ، لأبي جعفر النَّحَّاس (ت: ٣٣٨).

٣- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكيِّ بن أبي طالب (ت: ٤٣٧).

٤- النَّاسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لابن العربي (ت: ٥٤٣).

٥- نواسخ القرآن، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧).

ومن كتب المعاصرين:

٦- النَّسخ في القرآن الكريم: دراسة تشريعية تاريخية نقدية، د. مصطفى زيد.

٧- الآيات المنسوخة في القرآن الكريم، د. عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي.

(١) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ١١٤-١١٧).

سادساً : علم متشابه القرآن

المتشابه مصطلح يُطلق في علوم القرآن على نوعين ، هما :

١- المتشابه اللفظي : الذي يُشكل على حفاظ القرآن .

٢- المتشابه المعنوي : الذي يُقابل المحكم .

واليك بيان كل منهما :

أولاً : المتشابه اللفظي :

المراد بالمتشابه اللفظي : الآيات القرآنية التي تحوي ألفاظاً متفقة في صور شتى ^(١) .
مثال ذلك آيتا الأمر بدخول القرية في سورتَي البقرة والأعراف ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْرًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يَمْشُونَ ﴿البقرة: ٥٨ ، ٥٩﴾ ، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ٣٣﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجْرًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يَمْشُونَ ﴿الأعراف: ١٦١ ، ١٦٢﴾ .
وقد حاول الزركشي (ت: ٧٩٤) استخلاص الحكمة العامة من ورود هذا النوع في القرآن فقال : «وحكمته : التصرف في الكلام ، وإتيانه على ضرب ؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك ؛ مبتدأ به ومتكرراً» ^(٢) .

وقد أفرده بالتصنيف كثير من العلماء ، وجاءت تصانيفهم فيه على ضربين :

(أ) مصنفات تُعنى ببيان مواضع المتشابه اللفظي وكيفية التمييز بينها دون توجيه ، والمقصود منها إعانة حفظ القرآن على ضبط تلك المواضع التي تتشابه عليهم ، وتثبيت حفظها ، وصونهم عن الوقوع في اللبس والخطأ فيها .

(١) ينظر : مشكل القرآن الكريم ، د. عبد الله حمد المنصور (ص ٢٤٢) .

(٢) البرهان (١/ ١١٢) .

والتأليف في هذا النوع قديم، كتب فيه جماعة من العلماء، منهم: أبو الحسن الكِسائي (ت: ١٨٣)^(١)، وأبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي (ت: ٣٣٦) وعنوان كتابه «متشابه القرآن العظيم»، ولعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣) منظومة «هداية المُرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في متشابه الكتاب»، وكلها مطبوع.

كذلك كان للمعاصرين عناية فائقة بالتصنيف في هذا النوع، ما بين مختصر ومتوسّع، مع تنوع في الترتيب والتبويب والتفصيل، وهذا نتيجة لما نلّمسه من إقبال كبير على حفظ القرآن من مختلف فئات المسلمين في هذا العصر.

وهذا النوع بهذه الصّفة مرتبط بعلم الأداء ولا علاقة له بعلم التفسير، طالما أنّه لا يُعنى بالمعاني وإنما يقتصر على سرد الآيات المتشابهات للتمييز بينها.

(ب) مصنفات تُعنى بتوجيه المتشابه اللفظي، وقد أفرده بالتأليف كثير من العلماء، ومن أبرز المطبوع منها:

- ١- دُرّة التنزيل وُجَرّة التأويل، للخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠).
 - ٢- البرهان في متشابه القرآن، لمحمود بن حمزة الكرمانى (ت: بعد ٥٠٠).
 - ٣- مِلاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه المتشابه من اللفظ من آي التّنزيل، لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي (ت: ٧٠٨).
- ومن أبرز المعاصرين الذين اعتنوا بهذا النوع الدكتور فاضل السامرائي، وله عدّة كُتب ولقاءات في ذلك.
- علاقة توجيه المتشابه اللفظي بالتفسير^(٢):

توجيه المتشابه اللفظي من العلوم الصّعبة التي تحتاج إلى طول تفكّر ودقّة نظر، وتعتمد على قرائن سياقية، أو قرائن حالّية، أو نظر إلى دلالات الألفاظ ومعانيها، ودقائق البلاغة والتعبير فيها، وكلّها مما يحتاج إلى النّظر العقلي؛ الذي يكون بعد

(١) صدر بعنوان «متشابه القرآن» بتحقيق: د. صبيح التميمي، وكذلك بتحقيق محمد الشهباني، كما صدر

بعنوان «مشتبهات القرآن»، بتحقيق: د. محمد محمد داود.

(٢) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ١١٤-١١٧).

المعنى، لكن بعضها يكون مرتبطاً بالمعنى؛ لذا فتوجيه المتشابه قد يكون من علم التفسير، وقد يكون مما وراء التفسير، ومن ثم لا تخلو كتبه من المُلح والطرائف في توجيه بعض المواطن المتشابهة.

من ذلك ما ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصفات: ٩٨]، حيث اختلفت الفاصِلتان مع أنَّهما واردتان في قصة تكسير إبراهيم عليه السلام لأصنام قومه، ومناظرته لهم في شأنها، ومما وُجّه به هذا الاختلاف: أنه في سورة الأنبياء ذكر المكيدة بينه وبين قومه، فقال لهم: ﴿وَاللَّهُ لَا كَيْدَ لَاصْنَعِدَ أَنْصَتَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَذِيرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وهم أرادوا به كَيْدًا فانتهى كَيْده إلى النَّجَاح، حيث كَسَرَ أصنامهم، وَنَجَّى من نارهم، وانتهى كيدهم إلى الخسران، حيث خسروا أصنامهم، ولم ينتقموا ممن كَسَرها، فناسب ذكر الخسارة سورة الأنبياء.

وفي سورة الصفات ذكر البُنيان الذي بَنَوْه له، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفَوْهُ فِي الْحَجِيرِ﴾ [الصفات: ٩٧]، أي في أسفل البُنيان، فخرج منه معافى لم يُصَبِّه أذى، فكانوا أحقَّ بالسُّفول منه، وفي ذكر السُّفول مناسبة لغرضهم من هذا البُنيان العالي الذي أرادوا أن يجعلوه في أسفله، والله أعلم^(١).

ثانياً: التشابه المعنوي:

جاء في وصف القرآن بأنه مُحْكَم كُلُّهُ، كما في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ أَحْكَمَ آيَاتِهِ﴾ [هود: ١]، كما جاء وصفه بأنه متشابه كُلُّهُ، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، كذلك جاء وصفه بأن بعضه مُحْكَم وبعضه متشابه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فما معنى المحْكَم والمتشابه في هذه الآيات؟

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل (ص ٢٩٩-٣٠٠)، وقد تبعه من جاء بعده فذكر معنى كلامه، ينظر: البرهان في تشابه القرآن (ص ٢٦٨)، وملاك التأويل (٢/ ٨٤٢).

أما قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَحْكَمَ آيَاتِنَا﴾ [هود: ١]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، فلا تعارض بين الآيتين، إذ المقصود بالإحكام في الآية الأولى الإحكام العام، بمعنى: أن الله سبحانه وتعالى قد أحكم القرآن آية آية، أي أثقنه إتقاناً يمتنع عنه النقص والخلل في ألفاظه ومعانيه، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ويقابله المتشابه العام، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، أي: يُشبه بعضه بعضاً في البلاغة والمثانة والإتقان، والفصاحة والنظم والإعجاز وعدم التناقض، فهو تشابه عام، فالقرآن محكم كله ومتشابه كله، ولا تعارض بين الوصفين.

وأما معنى المحكم والمتشابه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فهو مبني على معنى التأويل في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْلُمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، وقد تقدم في مبحث الوقف والابتداء^(١) أن السلف اختلفوا فيه على قولين:

الأول: أن المراد بتأويله أي: الحقيقة التي تؤول إليها أخبار القرآن ومغيباته^(٢)، فهذه لا يعلمها إلا الله، وعلى هذا القول يكون معنى ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾ في أول الآية هو المتشابه الكلّي، ومعنى ﴿تُحْكِمُكَ﴾ أي: المعلومات من جهة المعنى أو غيره التي لا يقع فيها خلاف مما أخبر به الله سبحانه وتعالى، وهو المحكم الكلّي^(٣)، وعلى هذا القول يكون الوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْلُمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، والواو بعده مستأنفة.

الثاني: أن المراد بتأويله أي: تفسيره وبيان معناه^(٤)، وتفسير القرآن من المتشابه الذي

(١) ينظر: ص ١٦٢.

(٢) وتقدم أن هذا هو الرّاجح الذي عليه جمهور العلماء، وهو المعنى الغالب في إطلاق القرآن.

(٣) وهو الذي سمّاه الإمام أحمد وغيره معلوماً، مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، لا يقع خلاف في أن عدد السماوات سبع، لذا لا يمكن أن يدخله التشابه؛ لأنه عدد.

(٤) وتقدم ص ١٨٢ أن من هذا المعنى دعاؤه ﷺ لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

يعلمه أيضاً غير الله ، فيكون المعنى : وما يعلم تفسيره على الحقيقة إلا الله والراسخون في العلم ، فصار الوقف على ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ، وعليه فإن معنى ﴿مُتَشَبِهَاتٌ﴾ هو المتشابه النسبي ، وهو ما يشتبه على قوم دون قوم^(١) ، وهو أوسع أنواع المتشابه ، ويقع فيه الإشكال عادةً ، وهو المقصود غالباً عند ذكر مصطلح (المُحكّم والمتشابه) .

علاقة صفات الله تعالى بمفهوم المحكّم والمتشابه :

صفات الله تعالى عند أهل السنة والجماعة فيها جانبان :

الأول : المعنى ، وهذا معلوم ، ومحمولٌ على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته .

والثاني : الكيف ، وهذا غير معلوم ؛ لأن الله لم يُطْلَعْنَا عليه ، وهذا من المتشابه الكلّي بسبب الجهل التام به .

والمخالفون لمذهب أهل السنة والجماعة لا يفرّقون بين المعنى والكيف ، بل يجعلونها كلّها من المتشابه^(٢) .

علاقة متشابه القرآن بالتفسير :

تبين لنا مما سبق أن المتشابه المعنوي قسمان :

الأول : المتشابه الكلّي : وهو ما استأثر الله بعلمه ، ويكون المحكّم بهذا الاعتبار : ما علمه الناس على وجه العموم ، وإن وقع لبعضهم عدم فهم معانيه .

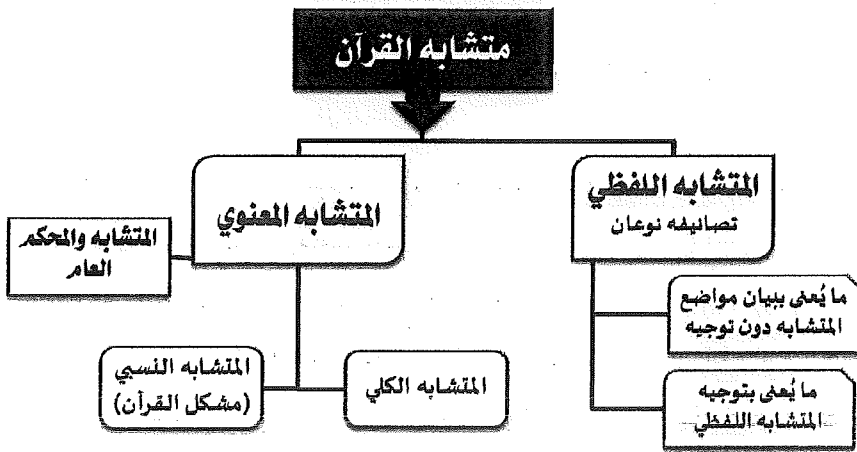
وهذا القسم لا علاقة له بالتفسير ، لأن التفسير مرتبط بالمعاني المعلومة للناس التي قد تخفى على بعضهم ، وهذا المتشابه الذي استأثر الله بعلمه مرتبط بالمغيبات ، من

(١) والفرق بينه وبين الأول ، أن الأول يشتبه على الكلّ ، فسمي متشابهاً كلياً ، وهذا يشتبه على قوم دون قوم فسمي متشابهاً نسبياً ، فمثلاً : إذا كانت آية أو لفظة بالنسبة لك من المتشابه ، فلا يلزم أنها متشابهة عند كل الناس ، بل هي متشابهة بالنسبة لك ، ولكن قد يكون آخرون يعلمون معنى هذه الكلمة ومعنى هذه الجملة .

(٢) ومن أشهر الكتب التي حملت هذا العنوان ، وكتبت فيه على هذا المفهوم المخالف : كتابه «متشابه القرآن» للقاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي (ت : ٤١٥هـ) ، كذلك عقد السيوطي في الإتيان (٤/ ١٣٥٤ - ١٣٧١) مبحثاً عن آيات الصفات وأنها من المتشابه ثم أورد عدداً منها مع ذكر الأقوال في تأويلها خلافاً لطريقة السلف .

وقت وقوع الحوادث ، وكيفيات هذه المغيبات ، وما إلى ذلك مما لا يعلمه إلا الله ، ومن ادّعى علمه فقد كَذَب .

الثاني: المتشابه النسبي: وهو ما يخفى معناه الحقيقي على بعض الناس مع علمهم بمعناه في الظاهر ، ويعلم غيرهم معناه الحقيقي . وعلى هذا فالمتشابه النسبي من علوم التفسير ، وقد عُرف عند علماء التفسير وعلوم القرآن بإطلاق آخر هو «مُشكِـل القرآن» ، أو «مُوهـم الاختلاف والتعارض» ، وفي المبحث التالي تفصيله .



سابعاً : علم مُشكِـلُ القرآن

وهو من أبرز علوم التفسير ، وقد أورده الزركشي في البرهان بعنوان : « معرفة موهـم المختلف » ، وكذلك السيوطي في الاتقان بعنوان : « النوع الثامن والأربعون : في مشكله وموهـم الاختلاف والتناقض »^(١).

مفهوم « مُشكِـلُ القرآن » :

المشكِـلُ لغةً : قال ابن فارس : « الشين والكاف واللام معظـم بابه المماثلة . تقول : هذا شِكْل هذا ، أي مثله . ومن ذلك يُقال أمر مُشكِـل ، كما يقال أمر مُشْتَبِه ، أي هذا شابة هذا ، وهذا دَخَلَ في شِكْل هذا »^(٢).

اصطلاحاً : المقصود بالمشكِـل عند علماء التفسير وعلوم القرآن : الآيات التي التبس معناها واشتبـه فلم يُعرَف المراد منها عند الكثير^(٣).

وقد يكون المشكِـل في فهم المعنى المراد ، وقد يكون في غير المعنى ؛ أي أنه يكون في التفسير ، وفي المسائل المتعلقة بالتفسير ، وقد يكون الإشكال في آية ، أو في جَمْع آية مع غيرها ، كما في أثر ابن عباس الآتي في مبحث نشأة علم مُشكِـل القرآن .
الفرق بين متشابه القرآن ومُشكِـله :

قال ابن قتيبة (ت : ٢٧٦) : « أصل (التشابه) : أن يُشَبِّه اللفظ اللفظ في الظاهر ، والمعنيان مُخْتَلِفان ، قال الله ﷻ في وصف ثمر الجنة : « وَأَنْتُمْ بِهِنَّ مُتَشَبِّهَاتٌ » [البقرة : ٢٥] ، أي متفق المناظر ، مختلف الطعوم ... ، ثم قد يُقال لكل ما غمض ودق : (متشابه) ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطعة في أوائل السور : متشابه ، وليس الشك فيها ، والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها ، والتباسها بها .

(١) البرهان (١٧٦/٢) ، الاتقان (١٤٧٠/٤) .

(٢) مقاييس اللغة (٢٠٤/٣) .

(٣) مشكل القرآن الكريم ، د. عبد الله حمد المنصور (ص ٦٨) . بتصرف يسير .

ومثل المتشابه (المُشكِـل)، وسمي مُشكِـلاً: لأنه أشكَل، أي دَخَلَ في شَكْل غيره فأشَبَّهه وشاكَلَه، ثم قد يُقال لما غَمُضَ - وإن لم يكن غُمُوضه من هذه الجِهة -: مُشكِـلاً^(١).

فالمتشابه النَّسبي والمُشكِـل مصطلَّحان مترادِفان، كلٌّ يُوَدِّي معنى الآخر^(٢)، فإذا جُعِل اسم المُشكِـل لما غَمُضَ ودَقَّ عن الفَهم، وقُصِر اسم المتشابه على ما تشابه في الظَّاهر، واختلف في المعنى والحقيقة؛ حصل التَّفريق بين المتشابه والمُشكِـل، وإلا فهُما متماثلان.

وهذا ما حَصَلَ بالفعل... ومن ثَمَّ اشتهر هذا العلم بـ«مُشكِـل القرآن» أكثر من مرادِفِه في ما يَظْهَر.

أهمية معرفة علم «مُشكِـل القرآن» وعلاقته بالتفسير:

علم مُشكِـل القرآن من أبرز علوم التفسير التي يحتاجها من أراد معرفة معاني القرآن وأحكامه، وتنبُّع هذه الأهمية من أنَّ الإشكال الطارئ على قارئ القرآن يحول دون معرفة معانيه، كما أن في دراسة هذا العلم سبيلٌ إلى زيادة الإيمان والاطمئنان إلى معاني كتاب الله وأنها حقٌّ لا اختلاف فيها، كذلك في تعلُّمه ردٌّ على الزنادقة والمُشكِّكين في كتاب الله^(٣).

الحِكْمة من وجود المُشكِـل في القرآن:

مما ذكره العلماء في ذلك^(٤):

١- الحثُّ على تدبُّر القرآن والنَّظر الموجِب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائق معانيه.

٢- إظهار فضل العالم على الجاهل.

(١) تأويل مشكل القرآن (ص ٦٧-٦٨).

(٢) فمن خَفِيَ عليه المراد فهو متشابه ومُشكِـل عنده، ومن علم المراد منه زال عنه الإشكال وانتفى التشابه، وصار مُحْكَمًا عنده.

(٣) ينظر: مشكل القرآن الكريم (ص ٢٣-٢٥).

(٤) ينظر: البرهان (٢/ ٧٥).

٣- اختبار العباد وابتلاؤهم، فالمؤمن يُوقن بكلام الله ولا يدخله شك وإن لم يتبين له معناه، فتعظم ثبوته، بخلاف المنافقين ومن في قلوبهم زيغ كالمبتدعة فيتبعون المتشابه منه فيفتنون ويفتنون ولا يزيدهم إلا خساراً. نشأة علم «مشكل القرآن» وأبرز المصنفات فيه^(١):

السؤال عن مشكل القرآن قديم، إذ كل ما لا يفهم مشكلاً، ويدخل فيه ما أشكل فهمه على الصحابة؛ كسؤالهم عن معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وما وقع لعدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه في فهمه قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وغيرها من الآيات التي سأل الصحابة الرسول ﷺ عنها.

وكذا يدخل فيها ما أشكل على التابعين وسألوا الصحابة عن معناه، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن سعيد بن جبير، قال: «قال رجل لابن عباس: إني أجِدُ في القرآن أشياء تختلف عليّ، قال: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٢٧]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كَانَ مَشْرُكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فقد كتّموا في هذه الآية!

وقال: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ إلى قوله: ﴿دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٣٠]، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ٩-١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء! وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فكانه كان ثم مضى!

فقال [أي ابن عباس]: «﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١] في النّفخة الأولى، ثم يُنفخ في الصور، فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النّفخة الآخرة، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٢٧].»

(١) ينظر: ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ٩٨-٩٩)، مشكل القرآن الكريم (ص ٢٣-٢٥).

وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فإنَّ الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فحَتَمَ على أفواههم، فتَنَطَّقَ أيديهم، فعند ذلك عَرَفَ أن الله لا يُكْتَمُ حديثاً، وعنده: ﴿يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية [النساء: ٤٢] ^(١).

وخلَقَ الأرض في يومين، ثم خَلَقَ السماء، ثم استوى إلى السَّماء فسَوَّاهن في يَوْمَيْنِ آخرين، ثم دحا الأرض، ودَحَّوْهَا: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلقَ الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يَوْمَيْنِ آخرين، فذلك قوله: ﴿دَحَّهَّا﴾ [النازعات: ٣٠]، وقوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]، فجُعِلَت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقَت السموات في يَوْمَيْنِ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ سَمَّى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي لم يَزَلْ كذلك، فإن الله لم يُرِدْ شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يَخْتَلِفُ عليك القرآن، فإن كُلاً من عند الله ^(٢).

ثم ظهرت في القرن الثاني موجةٌ من الزندقة تشكك بالقرآن الكريم في نَظْمِهِ، أو أسلوبه، أو أخباره ^(٣)، مما كان سبباً للتأليف في مُشْكِلِ القرآن، حيث كتب مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠) كتاباً في «متشابه القرآن» ردَّ فيه على بعض شبه الزنادقة في بعض الآيات التي زعموا تعارضها واختلافها ^(٤).

(١) تمام الآية: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ شِئْنَا لَمْ يَكُنُوا لِلَّهِ حَدِيثًا﴾.

(٢) صحيح البخاري (١٢٧/٦).

(٣) يراجع مبحث الانتصار للقرآن في الفصل الثالث.

(٤) وقد نقل منه أبو الحسين محمد بن أحمد المَلْطِيُّ الشَّافِعِي (ت: ٣٧٧) في كتابه «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص ٥٥)، في الباب الذي عتَوْن له «باب ذكر متشابه القرآن»، فقال: «قال مقاتل: أما ما شكَّت فيه الزنادقة في مثل هذه الآية ونحوها من قوله جل ثناؤه: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦-٣٥]، ثم قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]، فهذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً، وليس بمُنْتَقِضٍ، ولكنهما في تفسير الخواص في المواطن المختلفة. أما تفسير ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦-٣٥] فأول ما يجتمع الخلاق بعد البعث، فهم لا ينطقون في ذلك الموطن، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ﴾ قال: مقدار ستين سنة، ثم يُؤْذَنُ لهم في الكلام فيكلم بعضهم بعضاً، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] عند الحساب، ثم يُقال لهم: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: ٣٨] بعد الحساب.

كذلك صنّف في القرن الثالث ابن قُتيبة (ت: ٢٧٦) كتابه: «تأويل مُشكِـل القرآن» في الردّ على قوم من المُلحدين تكلّموا في نَظْم القرآن ومقاصد معانيه كما ذكر في مقدّمته^(١). ولئن كانت هذه بداية التّأليف في هذا الموضوع فإنّ الأمر بعد ذلك صار أعمّ في البَحث ، ولم يكن المقصود بالتّأليف رد الطّاعنين وإلحاداتهم ، بل كان المراد بيان ما يُشكِـل فهمه على القارئين ، أيّا كان هذا المُشكِـل : في معنى أو مناسبة أو نَظْم ، أو غيرها . كما أدخل المصنّفون في تصنيفاتهم كثيرًا من اللّطائف والمُـلح التي تتعلّق بالتفسير^(٢). ومن المؤلّفات المطبوعة في مشكِـلات القرآن - على هذا النّحو - ما يأتي:

١- وُضّح البرهان في مُشكِـلات القرآن ، لبيان الحقّ محمود بن أبي الحسن النّيسابوري (ت: ٥٥٥ تقريباً).

- ٢- فوائد في مُشكِـل القرآن ، لعزّ الدّين بن عبد السلام (ت: ٦٦٠).
- ٣- تفسير آيات أشكَلت على كثير من العلماء ، لتقي الدين ابن تيمية (ت: ٧٢٨).
- ٤- مُشكِـلات القرآن ، لمحمد أنور شاه الكشميري (ت: ١٣٥٢).
- ٥- دَفْع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، لمحمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٢).
- أسباب الاختلاف ووقوع الإشكال في القرآن:
- يردّ المُشكِـل على العقول بسبب قُصورٍ في إدراك المعنى المراد . وأعظم سبب لذلك هو ضَعْف العلم وقِلّة المعرفة والفهم . قال ابن تيمية: «قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثيرٌ من العلماء فضلاً عن غيرهم ، وليس ذلك في آيةٍ معيّنة بل قد يُشكِـل على هذا ما يعرفه هذا ، وذلك تارةً يكون لغرابة اللفظ ، وتارةً لاشتباه المعنى بغيره ، وتارةً لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحقّ ، وتارةً لعدم التّدبّر التامّ ، وتارةً لغير ذلك من الأسباب»^(٣). وأسباب الاختلاف ووقوع الإشكال في القرآن كثيرة ،

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن (ص ٢٢).

(٢) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ١٠٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٠٠).

لعلنا نُوجِزُ في ما يأتي بعضاً من أبرزها مع التَّمثيل لها^(١):

١- وقوع المُخْبِر به على أحوالٍ مُختلفة: كقوله تعالى في خَلْقِ آدم: ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ومَرَّةً: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ومَرَّةً ﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، ومَرَّةً ﴿مِنْ صَلَصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]. فهذه ألفاظٌ مُختلفة ومعانيها في أحوالٍ مُختلفة لأن الصَّلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، إلا أنَّ مَرَجعها كلها إلى التراب، ومن التراب تدرَّجت هذه الأحوال.

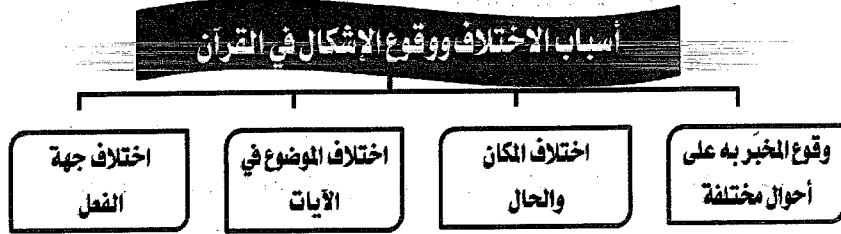
٢- اختلاف المكان والحال: مثل ما تقدَّم في أثر ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿فَلَا أَشْأَبَ يَنْبَهُرُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] مع قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧].

٣- اختلاف الموضوع في الآيات: مثل قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ مع قوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ فالأولى تُفهم إمكان العدل والثانية تنفيه. والجواب: أن الأولى في العدل بين الزوجات في تَوْفِيَةِ حقوقهنَّ، والثانية في المِيل القلبي، وليس في قُدرة الإنسان.

٤- اختلاف جهة الفعل: مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]، مع قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتُوفَى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]. فجهة الفعل (الفاعل) هنا اختلفت مع اتِّحاد الفعل (التَّوَفَّى)، وفي جواب هذا الإشكال قال الشَّيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٩٣): «والجواب عن هذا ظاهرٌ، وهو أنَّ إسناده التَّوَفَّى إلى نفسه، لأن مَلَك الموت لا يَقْدِر أن يقبض رُوح أحدٍ إلا بإِذنه ومشيئته تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلَآ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وأسندَه لملك الموت لأنَّه هو المأمور بقبض الأرواح، وأسندَه للملائكة لأن مَلَك الموت له أعوانٌ من الملائكة تحت رئاسته، يفعلون بأمره

(١) ينظر: البرهان للزركشي (٢/ ١٩٢)، الإنفاق (٤/ ١٤٧٨)، مشكل القرآن الكريم (ص ١١٩).

وينزِعون الرُّوح إلى الحَلْقوم ، فيأخذها مَلَك الموت ، والعِلْم عند الله تعالى»^(١). وهناك أسبابٌ أخرى يضيق المقام عن بيانها^(٢).



(١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص ١٨٤).

(٢) ينظر: مشكل القرآن الكريم (ص ١١٩ - ٢٢٥).

ثامناً: علم مبهمات القرآن

مفهوم مبهمات القرآن:

الإبهام لغة: استغلاق الشيء وخفاؤه... والمبهم من الكلام، ما خفي واحتاج لبيان لفتح انغلاقه^(١).

والمراد بمبهمات القرآن: ما لم يُصرَّح به في القرآن الكريم من الأعلام والأزمنة والأمكنة ونحوها^(٢).

فقد يكون الإبهام لعلم؛ رجلٍ أو امرأةٍ أو ملكٍ، واجدٍ أو أكثر، أو قومٍ، أو نباتٍ، أو حيوانٍ أو مكانٍ أو زمانٍ أو عددٍ. كقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿وَقُلْنَا يَتَّخِذُ مَسْكَنًا أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥]، ﴿وَأَتْلَوْا عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ يَا لَحِقَ﴾ [المائدة: ٢٧]، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]، ﴿أَوَكَلَّيْكَ مَرْعَىٰ قَرِيَةً﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦].

أهمية هذا العلم والأصل فيه:

تحدث المصنّفون في هذا العلم عن أهميته، وحِزْص السلف على معرفة ما أُبهم في القرآن الكريم، وذكرُوا أن الأصل فيه^(٣) ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له، قال: فوقفْتُ له

(١) لسان العرب (بهم) (٥٦/١٢)، أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ١٩١).

(٢) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ١٩١)، علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص ١٧٢).

(٣) ينظر: مفحّمات الأقران في مبهمات القرآن (ص ٨).

حتى قَرِخَ ثم سِرْتُ معه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين مِنَ اللّٰتِ تَظَاهَرَتَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَرْوَاجِهِ؟ فقال: تِلْكَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ...»^(١). كذلك مِمَّا يَدُلُّ عَلَى اعْتِنَاءِ السَّلَفِ بِهِ مَا وَرَدَ عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]. قال: طلبت اسم هذا الرجل أربع عشرة سنة حتى وقفت عليه^(٢).

كَيْفِيَّةُ مَعْرِفَةِ الْمُبْهَمِ:

قال السيوطي: «مَرَجِعُ هَذَا الْعِلْمِ النَّقْلُ الْمُخَصَّصُ، وَلَا مَجَالٌ لِلرَّأْيِ فِيهِ، وَإِنَّمَا يُرْجَعُ الْقَوْلُ فِيهِ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْآخِذِينَ عَنْهُ، وَالتَّابِعِينَ وَالْآخِذِينَ عَنِ الصَّحَابَةِ»^(٣). أو إلى تعيينه في موضع آخر من القرآن. أسباب وقوع المبهمات في القرآن: ذكر الزركشي والسيوطي^(٤) أسباباً عديدة لوقوع المبهمات في القرآن، لعل من أبرزها ما يلي:

١- الاستغناء ببيانه في موضع آخر: كقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] فإنه مبين في قوله: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].
٢- الاشتهار: كقوله: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ولم يقل: «حواء» لأنها معروفة مشهورة وليس له غيرها.

٣- عدم الفائدة الكبيرة في تعيينه: وهذا كثير جداً، والخلاف في تعيينه كثير، كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، ﴿فَقُلْنَا أَصْرُبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣]، ولهذا لا أثر

(١) رواه الشيخان: صحيح البخاري (١٥٦/٦) (٤٩١٣)، صحيح مسلم (١١٠٨/٢) (١٤٧٩).

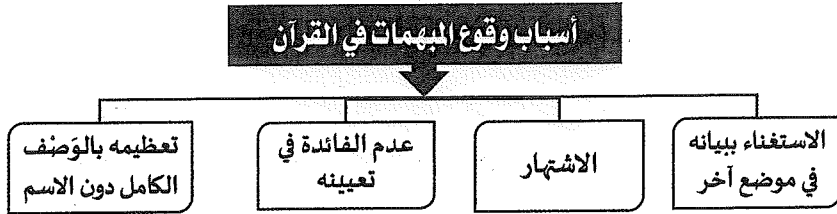
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٧٥٠).

(٣) ينظر: مفحات الأقران في مبهمات القرآن (ص ٨).

(٤) ينظر: البرهان (١/٢٤٢)، الإتيان (٦/٢٠١٨)، مفحات الأقران (ص ٩).

في تعيين هذه المبهمات في التفسير، ومن هنا يرى البعض أن علم ذلك ليس من متين العلم الذي يُحرّص عليه، بل يدخل في مَلَح العلم والمذاكرة^(١).

لكن ليس هذا الأمر على إطلاقه، فلا يخلو من فوائد نفيسة تُستفاد في معرفة بعض المبهمات، كمعرفة فضل الشخص المبهّم ومنقبته: كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكَ﴾ [النور: ٢٢]، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣]، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] الآيات. والمراد أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الكل، وفيها بيان لمزيد من فضائله وعلو مناقبه رضي الله عنه. وقد ذكر الزركشي والسيوطي هذا الفائدة كسبب لوقوع المبهّم في القرآن وهو «تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم»^(٢).



المصنّفات في مبهمات القرآن:

- اعتنى علماء علوم القرآن بهذا العلم وأفردوه بمصنّفات عديدة، من أبرز المطبوع منها:
- ١- التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، للشَّهيلي (ت: ٥٨١).
 - ٢- التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام، لابن عسّكر الغساني (ت: ٦٣٦).
 - ٣- غرر البيان في مبهمات القرآن، لبدر الدين بن جماعة (ت: ٧٣٣).
 - ٤- مُفحّحات الأقران في مبهمات القرآن، للسيوطي (ت: ٩١١). وقد ذكر خلاصته ومُهمّاته في كتابه الإِتقان^(٣) مرتبةً على سُور القرآن. ولعله يحسن أن نذكر من خلاله

(١) أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ١٩١).

(٢) ينظر: البرهان (٢٤٢/١)، الإِتقان (٢٠١٨/٦).

(٣) ينظر: الإِتقان (٢٠٢٢/٦-٢٠٩٦).

نماذج وتطبيقات مما ذكر من المبهمات في جزء (عمّ):

﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢] هو عبد الله بن أمّ مكتوم.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَفْتَى﴾ [عبس: ٥] هو أميّة بن خلف، وقيل: هو عتبة بن ربيعة.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] قيل: جبريل، وقيل: محمد ﷺ.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَأْأَبْنَلَهُ رَبُّهُ﴾ [الفجر: ١٥] الآيات نزلت في أميّة بن خلف.

﴿وَوَالِدٍ﴾ [البلد: ٣] هو آدم عليه السلام.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] هو صالح عليه السلام.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] هو أميّة بن خلف.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ [العلق: ٩] هو أبو جهل ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق: ١٠] هو النبي ﷺ.

﴿إِن شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] هو العاصي بن وائل، وقيل: أبو جهل،

وقيل: عقبة بن أبي معيط، وقيل: أبو لهب، وقيل: كعب بن الأشرف.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] امرأة أبي لهب أم جميل العوراء بنت

حزب ابن أميّة.



تاسعاً: علم المناسبات في القرآن

القرآن مؤلف من سُور وآيات، وكثيرٌ من السُّور تتضمَّن موضوعات مُختلفة، وأساليب في العرض متنوّعة، وقد درّس أهل العلم هذه السُّور والآيات والموضوعات المختلفة فوجدوا أن بين بعضها البعض ارتباطٌ وثيقٌ مما نشأ عن ذلك علم المناسبات بين الآيات والسُّور.

مفهوم المناسبات في القرآن:

المناسبة لغةً: المقاربة والمشاكلة، وفلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاكله^(١). والمناسبة بين آيات وسُور القرآن: هو وجه ارتباط آيات القرآن وسُوره بعضها مع بعض^(٢). وعلم المناسبات في القرآن: هو علم تُعرَف منه علل ترتيب أجزاء القرآن^(٣). أهمية هذا العلم:

أكّد كثير من العلماء أهمية هذا العلم وعظم منزلته، قال الرّازي (ت: ٦٠٦): «أكثر لطائف القرآن مُودعة في التّرتيبات والروابط»^(٤)، وبين «أن القرآن كما أنّه مُعجَزٌ بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً مُعجَزٌ بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعلّ الذين قالوا: إنه مُعجَزٌ بحسب أسلوبه أرادوا ذلك»^(٥).

أنواع المناسبات في القرآن:

المناسبات في القرآن أنواع كثيرة من أبرزها:

- (١) البرهان (٣٦ / ١)، وينظر: القاموس المحيط، مادة (نسب).
- (٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن (ص ٤٤٧).
- (٣) نظم الدرر (١ / ٥). وقوله: «أجزاء القرآن» يشمل كل جزئية في القرآن، الآية مع الآية، والسورة مع السورة، والحكم مع الحكم، والقصة مع القصة، وهكذا.
- (٤) البرهان (٣٦ / ١).
- (٥) تفسير الرازي (التفسير الكبير) (١٠٦ / ٧).

١- المناسبة بين الآية والآية التي تليها:

مثاله: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، حيث ذكر محاسبته على الحسنات فناسب أن يذكر ضده وهو محاسبته على السيئات ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨]، وقس على ذلك في مناسبة ذكر الأضداد تلو بعض. وقال الزركشي في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [٧] وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [٨] وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [٩] وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠]: «... [لو قيل] ما وجه الجمع بين الإبل والسما والجبال والأرض في هذه الآية؟ والجواب: أنه جمع بينهما على مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر، فإن كل انتفاعهم في معاشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليها، ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر، وهو سبب تقلب وجوههم في السماء، ثم لا بُدَّ لهم من مأوى يؤويهم وحضن يتحصنون به ولا شيء في ذلك كالجبال، ثم لا غنى لهم - لتعذر طول مكثهم في منزل - عن التنقل من أرض إلى سواها، فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور»^(١).

٢- المناسبة بين أول السورة وخاتمتها:

مثاله: أول سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] مع خاتمتها: ﴿ءَامِنَ الرُّسُولُ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَهُ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَكِ يَكُونُ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآيتان إلى آخر السورة، وأول سورة «المؤمنون»: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] مع خاتمتها: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

٣- المناسبة بين خاتمة السورة وأول التي تليها:

قال الزركشي: «وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء، كما قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الزمر: ٧٥﴾، وكافتتاح سورة فاطر بـ ﴿الْحَمْدُ﴾ أيضاً فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ [سبا: ٥٤]، وكما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به، وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿آلَہٗ ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [١، ٢] إشارة إلى ﴿الصِّرَاطُ﴾ في قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة.... وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور فما ظنك بالآيات وتعلّق بعضها ببعض، بل عند التأمل يظهر أن القرآن كلّ كالكلمة الواحدة»^(١).

١- المناسبة بين موضوع السورة وموضوع التي تليها:

كارتباط سورة قريش بسورة الفيل، وكان المعنى أن الله فعل ما فعل بأصحاب الفيل لإيلاف قريش، أي: «لا تئلافهم واجتماعهم في بلدهم آمين»^(٢).

أبرز أنواع المناسبات في القرآن

المناسبة بين موضوع السورة وموضوع التي تليها	المناسبة بين خاتمة السورة وأول التي تليها	المناسبة بين أول السورة وخاتمتها	المناسبة بين الآية والآية التي تليها
---	---	-------------------------------------	---

المصنّفات في علم المناسبات:

اعتنى كثير من المفسرين بعلم المناسبات في تفاسيرهم ومن أبرزهم الرازي (ت: ٦٠٦) في تفسيره الكبير، وكذلك البقاعي (ت: ٨٨٥) الذي خصّ تفسيره بهذه العلم وسمّاه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور».

(١) البرهان (١/ ٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩١).

كما أُفردت أنواعه بالتصنيف ، من أبرزها:

- ١- البرهان في مناسبة ترتيب سُور القرآن ، لأبي جَعْفَر ابن الزُّبَيْر الغرناطي (ت: ٧٠٨).
- ٢- تناسق الدرر في تناسب السُور.
- ٣- مراضد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع . كلاهما للسُّيوطي (ت: ٩١١).
- ومن الكتب المعاصرة:
- ٤- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسُوره ، د. أحمد يوسف القاسم.



عاشراً: تَرْجُمة القرآن

مفهوم الترجمة:

التَّرجُمة لُغةٌ: تدلُّ على معاني هي^(١):

- ١- تبليغ الكلام لمن لم يسمعه.
- ٢- تفسير الكلام بلغته نفسها. ومنه سُمِّي ابن عباس رضي الله عنه تَرْجُمان القرآن.
- ٣- تفسير الكلام أو نقله إلى غير لُغته^(٢).

والمعني الأخير هو المراد هنا، فترجمة القرآن: بيان معاني القرآن بغير اللغة العربية التي نزل بها.

وتُطلق الترجمة على نوعين: التَّرجُمة الحرفيَّة، والتَّرجُمة التَّفْسيْريَّة أو المعنويَّة، وفي ما يلي بيان كلٍّ منهما مع حُكمه^(٣):

أولاً: التَّرجُمة الحرفيَّة:

وهي نقل ألفاظٍ من لُغةٍ إلى نظائرها من اللُغة الأخرى بحيث يكون النَّظْم موافقاً للنَّظْم، والترتيب موافقاً للترتيب.

حُكمُها: التَّرجُمة الحرفيَّة بالمعنى المذكور لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الأصل والإحاطة بجميع معناه. فإن خواصَّ كلِّ لُغة تختلف عن الأخرى في ترتيب أجزاء الجُملة. والتعبير العربي يحمل في طياته من أسرار اللُغة ما لا يمكن أن يحلَّ محله تعبيرٌ آخر بلُغة أخرى، والقرآن الكريم في قَمَّة العربيَّة فصاحةً وبلاغةً، وله من خواصِّ التراكيب وأسرار الأساليب ولطائف المعاني وسائر آيات إعجازه؛ ما لا

(١) ينظر: مناهل العرفان (١٠٩/٢)، المعجم الوسيط (٨٣/١)، ترجمة القرآن: حقيقتها وحكمها (ص ٤-٥).

(٢) ولكون هذه المعاني فيها بيانٌ جاز على سبيل التَّوسُّع إطلاق التَّرجُمة على كل ما فيه بيان، فقليل تَرْجَم لهذا الباب بكذا أي عَتَوْنَ له، وتَرْجَم لُفْلان أي بيَّن تاريخه وحياته وما كان فيها. ينظر: مناهل العرفان (١٠٩/٢).

(٣) ينظر: مناهل العرفان (١١٠/٢)، مباحث في علوم القرآن (ص ٣٢٤).

يستقلّ بأدائه لسان، فترجمة القرآن الحرفيّة على هذا مَهْمَا كان المترجم على دراية باللغات وأساليبها وتراكيبها تُخرج القرآن عن أن يكون قرآنًا، ولهذا فلا شكّ في تحريم ترجمة القرآن ترجمة حُرْفِيَّةً.

ثانيًا: التّرجمة التفسيرية أو المعنويّة:

وهي في الكلام شرح وبيان معناه بِلُغَةٍ أُخْرَى من غير تقييدٍ بترتيب كلمات الأصل أو مراعاة لنظمه.

حُكْمُهَا: الأُرجح جواز تَرْجَمَةِ القرآن ترجمةً تفسيريةً، لكن ينبغي مراعاة ضوابط وشروط، من أهمّها^(١):

- ١- أن يكون المترجم عالمًا بتفسير القرآن الكريم، عارفًا بضوابط التفسير وقواعده، متمكنًا من اللّغتين العربيّة واللغة المترجم إليها، صحيح العقيدة بعيدًا عن الهوى.
- ٢- أن تُكْتَبَ آيات القرآن بالأخرف العربيّة وبرسم المصحف وضبطه في أعلى الصّفحة، وتتلوه التّرجمة التفسيرية مصدّرة بكلمة (التفسير) باللّغة المترجم لها.
- ٣- لا بُدّ من توضيح أنّ هذا التّرجمة التفسيرية ليست نصّ القرآن، وليس فيها خصائصه ولا تنطبق عليها أحكامه^(٢)، وأنها ترجمة لما فهمه المفسّر من معاني القرآن.
- ٤- الاختصار في التّرجمة على معاني النصّ مباشرةً، وإخلاقها من المصطلحات العلميّة، والمباحث الفلسفيّة، والرؤى المذهبيّة، والاجتهادات الشّخصيّة.
- ٥- الالتزام بوحدّة ترجمة الألفاظ القرآنية المتكرّرة ما لم تختلف معانيها وفقًا للسياق.

٦- عدم التصرّف في مفهوم الآيات القرآنية لدى التّرجمة بزيادة أو نقصان.

(١) ينظر: دراسات في علوم القرآن (ص ٦٢٣)، ترجمة القرآن: حقيقتها وحكمها (ص ٣١-٣٢)، تقرير جهود المملكة العربية السعودية في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، إعداد: مركز الترجمات بالمجمع (ص ١٣).

(٢) وأيّ ترجمة للقرآن لا تُسمّى قرآنًا ولا تثبت لها أحكامه؛ فلا تصح الصلاة بها، أو التّعبد بتلاوتها، ولا تكون معجزة، ولا تشملها أحكامه المتعلقة به كقداسته وحرمة مسه وأحكام تلاوته ونحوها.

٧- الإبقاء على المصطلحات الإسلامية التي يتعدّر تَرْجَمَتُهَا إلى اللُّغات الأخرى بلفظها العربي مع شرحها في قائمةٍ تُلحق بالتَّرجمة كالزكاة والحجّ والعمرة .

٨- الالتزام باستخدام المصطلحات والتَّعبيرات الإسلامية عند التَّرجمة ، وتجنُّب استخدام الكلمات والمصطلحات الخاصّة بالأديان الأخرى كاليهوديّة والنصرانيّة والبوذيّة .

٩- كتابة الأعلام عند التَّرجمة إلى اللُّغات الأخرى بلفظها العربي والإشارة إلى لفظها بتلك اللُّغات إن وُجد في الحاشية أو بين قوسين .

١٠- اختيار اللُّغة المعاصرة المفهومة لدى مُعظّم الناطقين باللُّغة المترجم إليها ، وتجنُّب استخدام اللُّغة القديمة المهجورة .

أهميّة ترجمة معاني القرآن :

معلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظاً ومعنى ، قال ﷺ : «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١) ، وهذا يشمل جميع الناس عربهم وعجمهم ، «وإنّ تبليغه إلى العجم قد يحتاج إلى ترجمة لهم ، فيترجم لهم بحسب الإمكان» كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ^(٢) .

لَمُحة تاريخيّة عن تَرْجَمَةِ الْقُرْآن :

مرّت تَرْجَمَةُ الْقُرْآن باتجاهين مختلفين في الأهداف والغاية والأدوات :

الاتجاه الأول^(٣) : التَّرجمة إلى اللُّغات الشرقيّة ، كالفارسيّة والتركيّة ، وقد ظهرت منذ وقت مبكّر ، نتيجة دخول تلك الشُّعوب في الإسلام وحاجة من لم يتعلّم العربيّة منهم لمعرفة معاني القرآن بلغتهم ، وبطبيعة الحال كان المترجمون من المسلمين ، وقد كانت اللُّغة الفارسية من أوائل اللُّغات التي تُرجمت إليها معاني القرآن ، فقد ذكر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) عن موسى بن سيّار الأسواري أنه كان يجلس في مجلسه ، فتقعد العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسّرها للعرب بالعربيّة ، ثم يحوّل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٠) (٣٤٦١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١١٧) .

(٣) ينظر: أهداف ترجمات القرآن وأنماطها عبر التاريخ ، د. محمود الربدادي ، مجلة التراث العربي - العدد

وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسيّة ببراعة فائقة^(١)، وقد توالّت الترجمات للغات المشرقيّة الأخرى بعد ذلك خصوصاً في القرون المتأخّرة، من أبرزها: اللّغة الأورديّة في بلاد الهند، واللّغة الجاويّة التي تُرجم إليها القرآن مع تفسير البَيضاوي.

الاتجاه الثاني: التّرجمة إلى اللّغات الأوروبيّة^(٢): أوّل محاولة لترجمة للقرآن الكريم إلى لغة أوروبية كانت في (دير كلوني) بإسبانيا، عام ٥٣٧هـ/١١٤٢م، عندما قام بها فريق كوّنه الراهب بطرس المبجل Peter the Venerable، وذلك إلى اللّغة اللاتينيّة. ومنها تُرجم القرآن إلى اللّغات الأوروبية الأخرى، ولم تُتداول بشكل واسع بسبب عدم ظهور الطّباعة حينئذ، لكن بعد اختراع الطّباعة عام ١٤٥٠م، انتشرت ترجمات القرآن، بلغات أوروبية مختلفة، فظهرت الترجمة الإيطاليّة عام ١٥٤٧م، التي كانت أوّل ترجمة لمعاني القرآن الكريم كاملاً إلى لغة أوروبية حديثة. كما ظهرت أوّل ترجمة إلى الفرنسيّة وهي ترجمة (أندرية دو ريبير) عام ١٦٤٧م، وظهرت أوّل ترجمة إلى اللّغة الإنجليزيّة على يد ألكسندر روس عام ١٦٤٨م، نقلاً عن ترجمة (أندرية دو ريبير) الفرنسيّة، ومن ثم لم تكن هذه التّرجمة دقيقة بناء على أصلها، واحتوت على أخطاء كثيرة، ومغالطات واضحة عن الإسلام.

وهذه التّرجمات للقرآن الكريم لم يكن الغرض منها الاطلاع عليه أو الاستفادة منه، وإنما كان هدفهم محاربته بعد الوقوف على مضمونه، وإثارة الشّبهات والتّشكيك حوله، ومن ثمّ سلكوا حرّة الترجمة بحيث تأتي موافقة لأهوائهم من حيث التصرّف بالنّصوص عن طريق التّقديم والتّأخير، والحذف والتّحريف، وغير ذلك.

(١) البيان والتبيين (٢٩٣/١). وذكر أن سلمان الفارسي عليه السلام من ترجم القرآن إلى الفارسية حيث ترجم سورة الفاتحة لبعض قومه من الفرس، لكنه خبر مجهول الأصل مضطرب الرواية وبالتالي لا يُعتمد عليه، ينظر: مناهل العرفان (١٥٩/٢).

(٢) ينظر: أوائل ترجمات معاني القرآن الكريم في اللّغات الأوروبية، لمحمد همام فكري. بحث تاريخ ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم وبيان خطرها. ضمن بحوث ندوة «ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل» المنعقدة بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

وفي القرن العشرين ظهرت كثير من التّرجمات للقرآن الكريم باللغات الأوروبية، اتّسم بعضها بنوع من الحياديّة، بخلاف الاتّجاه العدائي الصّرف الذي كان سائداً قبل مطلع هذا القرن؛ لكن لا يخفى أنّ من لا يؤمن بأن القرآن من عند الله مهّما حاول التّجرّد من الهوى والتزام شيء من الموضوعيّة والحياد؛ فإنّه واقع لا محالة في الخطأ والقصور. أما المسلمون فقد دخلوا ميدان تَرْجَمَةِ معاني القرآن الكريم إلى اللّغات الأوروبية في القرن العشرين، وأهمّ ما يميّز تَرْجَمَاتِهِمْ أنّها كاملة ومطابقة لترتيب المصحف الشريف بالرّسم والترتيب العثماني، وأسلم هدفاً وغايةً وأوضح وأدق للمقصود، وأهمّ وأشهر هذه التّرجمات: ترجمة عبد الله يوسف علي التي طُبعت طبعها الأولى في لاهور عام ١٩٣٤م، وتَرْجَمَةُ محمد مرادوك المنشورة بلندن عام ١٩٦٩م.

ولا شكّ أنه هذه التّرجمات الفرديّة عُرضة للتفاوت فيما بينها، نظراً لتفاوت مستويات المترجمين في تمكّينهم من اللّغة، إضافة إلى أن المترجم في الأصل يقوم بعمل يعتمد على الاجتهاد، لذا كلما خُصّعت التّرجمة لمراجعة دقيقة من لجان متخصصة، أو كانت صادرة عنها كانت وافية بالمطلوب محقّقة للغرض المقصود.

ومن هنا فقد توجّهت جهود المسلمين في التّرجمة بإنشاء مؤسسات ومراكز متخصصة للعناية بتَرْجَمَةِ القرآن الكريم تراجم مثقّنة مضبوطة مراجعة، مع طباعتها وتوزيعها، من أبرزها مُجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الذي أنشأ عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م «مركز التّرجمات»، وكان من أهمّ أهدافه^(١):

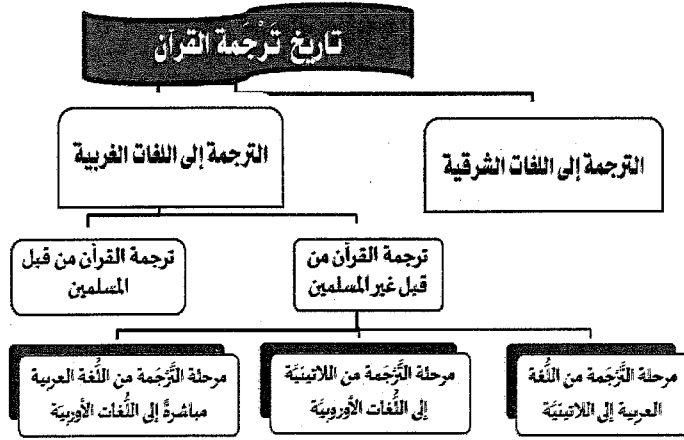
- ١- القيام بأعمال تَرْجَمَاتِ معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم.
- ٢- دراسة المشاكل المرتبطة بتَرْجَمَاتِ معاني القرآن الكريم وتقديم الحلول المناسبة.
- ٣- دراسة التّرجمات الحاليّة لمعاني القرآن الكريم، وإعداد دراسات نقدية عنها؛ لتحديد درجة صحتّها ومستواها العلميّ واللّغوي، ومدى انتشارها، وتقديم الاقتراحات

(١) ينظر: تقرير جهود المملكة العربية السعودية في مجال تَرْجَمَةِ معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، إعداد: مركز التّرجمات بالمجمع.

بشأن العمل على تبني الترجمات الصحيحة ، واستبعاد الترجمات غير الصحيحة .

٤- تَسْجِيل تَرْجَمَة معاني القرآن الكريم في أشرطة صوتية وأسطوانات ليزر .

وقد صدرت عن المجمع تَرْجَمَات لمعاني القرآن الكريم إلى أكثر من ٧٠ لغة من مختلف اللُّغات الآسيوية والإفريقية والأوروبية ، من أبرزها : الأوردية ، والإندونيسية ، والتركية ، والفارسية ، والبنغالية ، والصينية ، والصومالية ، والهوساوية ، والأُمهرية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والإسبانية ، والروسية ، والألمانية ، وغيرها .



خلاصة الفصل الخامس (التفسير وعلومه)

١ - علم تفسير القرآن

- ١/١ - التفسير: هو بيان معاني القرآن الكريم.
- ٢/١ التأويل له معنيان: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وبيان مراد المتكلم، والثاني بمعنى التفسير.
- ٣/١ الاستنباط من القرآن: هو استخراج المعاني المترتبة على المعنى المراد من الآية بطريق صحيح
- ٤/١ التفسير المأثور: ما أثر من تفسير عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وأتباع التابعين.
- ٥/١ علم التفسير علم قائم بذاته منذ عهد الصحابة، وقد مرّ بمرحلتين: مرحلة تفسير السلف، ومرحلة توسع التفسير واختلاف مناهجه.
- ٦/١ مراحل تدوين التفسير: ١- تدوين التفسير في عصر السلف ٢- ما بعد عصر أتباع التابعين إلى عصر الطبري، ٣- عصر الطبري، ٤- عصر ما بعد الطبري.
- ٧/١ من أبرز كتب التفسير: تفسير الطبري (ت: ٣١٠)، تفسير ابن عطية (ت: ٥٤٢)، تفسير القرطبي (ت: ٦٧١)، تفسير البیضاوي (ت: ٦٨٥)، تفسير ابن كثير (ت: ٧٧٤)، تفسير ابن عاشور (ت: ١٣٩٣).

٢ - علم أصول التفسير

- ١/٢ أصول التفسير: هي الأسس العلمية التي يرجع إليها المفسر حال بيانه لمعاني القرآن، وتحريه للاختلاف في التفسير.
- ٢/٢ مسائل أصول التفسير هي: مصادر التفسير وطرقه، الاختلاف في التفسير، قواعد التفسير.
- ٣/٢ دُوِّنت مسائل أصول التفسير ابتداءً ضمن بعض علوم الشريعة، من أبرزها: التفسير، ثم صار علماً متميزاً له كتبه الخاصة، التي من أبرزها «مقدمة في أصول التفسير»، لابن تيمية.
- ٤/٢ لتفسير القرآن طريقان رئيسان في كَيْفِيَّتِهِ: النُّقْل، والاجتهاد (الرأي).
- ٥/٢ الرأي من حيث المستند نوعان: رأي محمود، ورأي مذموم.

٣ - علم مناهج المفسرين

- ١/٣ منهج المفسر: هو الطريقة الواضحة المنظمة ذات القواعد والأسس التي سار عليها المفسر في تفسيره للقرآن.

- ٢/٣ مناهج المفسرين له أصل لدى السابقين من خلال التقويم الإجمالي لبعض كتب التفسير في مقدمات بعض التفاسير أو كُتِبَ علوم القرآن. ثم تطور على يد المعاصرين حتى صار علماً مستقلاً له مؤلفاته، التي من أبرزها: «التفسير والمفسرون» لمحمد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٧).

٣/٣ موضوعات دراسة منهج المفسر هي: العوامل المؤثرة في تفسير المفسر، طريقته في تأليف كتابه، قيمة التفسير العلميّة.

٤/٣ أساليب كتابة التفسير أربعة: التحليلي، والمقارن، والإجمالي، والموضوعي (التفسير الموضوعي).

٥/٣ المقصود بالاتجاه في التفسير: المسلك العلمي الذي قصده المفسر إبرازه في تفسيره.

٦/٣ الاتجاهات في التفسير قسمان: الاتجاه العلمي، ويشمل: الاتجاه الأثري، والاتجاه النحوي، والاتجاه البلاغي، والاتجاه اللغوي، ونحوها: الاتجاه المذهبي، ويشمل: الاتجاه الفقهي، الاتجاه العقدي.

٤- علم أحكام القرآن

١/٤ هو العلم الذي يُعنى ببيان الأحكام الشرعية التي تدلّ عليها آيات القرآن نصّاً، أو استنباطاً.

٢/٤ مرّ تفسير أحكام القرآن بمرحلتين أساسيتين: عهد النبوة والصحابة والتابعين، مرحلة المذاهب الفقهية.

٣/٤ اختلف العلماء في عدد آيات الأحكام نتيجة لاختلافهم في الآيات التي يمكن استنباط أحكام شرعية منها، وذلك لأن آيات الأحكام من حيث دلالتها على الأحكام قسمان: آيات صريحة في الأحكام، ما تؤخذ منها الأحكام بطريق الاستنباط.

٤/٤ من أوائل من ألف في أحكام القرآن: مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠)، ثم توالى المؤلفات بحسب المذاهب الفقهية. ومن أبرزها: أحكام القرآن، للجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠)، وأحكام القرآن، لابن العربي المالكي (ت: ٥٤٣)، وأحكام القرآن، لإلكيا الهرازمي الشافعي (ت: ٥٠٤).

٥/٤ جرى ترتيب كتب أحكام القرآن على منهجين: على الموضوعات الفقهية، أو على سور القرآن.

٥- علم النسخ والمنسوخ في القرآن:

١/٥ النسخ في اصطلاح المتأخرين: رفع حكم دليل شرعي، أو لفظه، بدليل من الكتاب أو السنة. وفي اصطلاح السلف: هو رفع أي معنى في النص بنص آخر.

٢/٥ يقع النسخ بالقرآن وبالسنة، لذا فله أربعة أقسام: نسخ القرآن بالقرآن، نسخ السنة بالقرآن، نسخ القرآن بالسنة، نسخ السنة بالسنة.

٣/٥ النسخ في القرآن باعتبار بقاء التلاوة والحكم ثلاثة أنواع: نسخ الحكم مع بقاء التلاوة، نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، نسخ التلاوة والحكم معاً.

٤/٥ القول بالنسخ في القرآن أمر توقيفي، تحصيله بالرجوع إلى كُتب تفسير السلف وكتب الناسخ والمنسوخ.

٥/٥ من أبرز المصنفات في ناسخ القرآن ومنسوخه: الناسخ والمنسوخ، لأبي عبيد (ت: ٢٢٤)،

الناسخ والمنسوخ في كتاب الله ﷻ، لأبي جعفر النخاس (ت: ٣٣٨). الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لابن العربي (ت: ٥٤٣).

٦- علم متشابه القرآن

١/٦ المتشابه مصطلح يُطلق في علوم القرآن على نوعين: المتشابه اللفظي، والمتشابه المعنوي.

٢/٦ المتشابه اللفظي: هو الآيات القرآنية التي تحوي ألفاظاً متفقة في صورٍ شئ.

٣/٦ جاءت التصانيف في المتشابه اللفظي على ضربين: مصنفات تُعنى ببيان مواضع المتشابه اللفظي دون توجيه، ومصنفات تُعنى بتوجيه المتشابه اللفظي. ومن أبرزها: ذرة التنزيل للخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠)، ملاك التأويل، لابن الزبير الغرناطي (ت: ٧٠٨).

٤/٦ جاء في وصف القرآن بأنه مُحْكَمٌ كُلُّهُ، كما جاء وصفه بأنه متشابه كُلُّهُ، ولا تعارض إذ المقصود بالإحكام الإحكام العام، بمعنى: أن الله سبحانه وتعالى قد أحكم القرآن آيةً آيةً، أي أثقنه إتقاناً يمتنع عنه النقص والخلل، ويقابله المتشابه العام، أي يُشبه بعضه بعضاً في البلاغة والفصاحة والنظم والإعجاز.

٥/٦ المتشابه المعنوي: قسمان: الأول: المتشابه الكلّي: وهو ما استأثر الله بعلمه، ويكون المحكم بهذا الاعتبار: ما علمه الناس على وجه العموم، الثاني: المتشابه النسي: وهو ما يخفى معناه الحقيقي على بعض الناس مع علمهم بمعناه في الظاهر، ويعلم غيرهم معناه الحقيقي. وعلى هذا فالمتشابه النسي من علوم التفسير، وهو المشكل مصطلحان مترادفان، كلٌّ يؤدي معنى الآخر.

٧- علم مُشْكِلُ القرآن

١/٧ مُشْكِلُ القرآن: هو الآيات التي التبس معناها واشتبّه فلم يُعرف المراد منها عند الكثير.

٢/٧ السؤال عن مُشْكِلُ القرآن منذ عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين، ثم ظهرت في القرن الثاني موجة من الرندقة تشكك بالقرآن، مما كان سبباً للتأليف في مُشْكِلُ القرآن والرد على الملحدّين، ثم صار الأمر بعد ذلك أعم في البحث، فأصبح المراد بيان ما يُشكل فهمه على القارئ، أيّا كان.

٣/٧ من أبرز أسباب وقوع الإشكال في القرآن: وقوع المُخْبِر به على أحوالٍ مُختلفة، اختلاف المكان والحال، اختلاف الموضوع في الآيات، اختلاف جهة الفعل.

٤/٧ من أبرز المؤلفات في مُشْكِلُ القرآن: «تأويل مُشْكِلُ القرآن» لابن قتيبة، «تفسير آيات أشكلت» لابن تيمية (ت: ٧٢٨)، «دفع إيهام الاضطراب» للشنقيطي (ت: ١٣٩٢).

٨- علم المُبْهِمَات في القرآن

١/٨ مُبْهِمَات القرآن: هي ما لم يُصَحَّح به في القرآن الكريم من الأعلام والزمنة والأمكنة ونحوها.

٢/٨ مَرَجع هذا العلم هو النُّقْلُ المخض، ولا مجال للرأي فيه.

٣/٨ من أبرز أسباب وقوع المُبْهِمَات في القرآن: الاستغناء ببيانه في موضع آخر، الاشتهار، ألا يكون في تعيينه كبيرُ فائدة.

٤/٨ من أبرز المصنّفات في مُبْهِمَات القرآن: «التعريف والإعلام في ما أجهل في القرآن» للسَّهيلي (ت: ٥٨١)، «مُفْهِمَاتُ الأقران في مُبْهِمَاتِ القرآن» للسُّيوطي (ت: ٩١١).

٩ - علم المناسبات في القرآن

١/٩ علم المناسبات في القرآن: هو علم تُعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن.

٢/٩ من أبرز أنواع المناسبات في القرآن: المناسبة بين الآية والآية التي تليها، المناسبة بين أول السورة وخاتمتها، المناسبة بين خاتمة السورة وأول التي تليها، المناسبة بين موضوع السورة وموضوع التي تليها.

٣/٩ من أشهر مؤلفات علم المناسبات: تفسير «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (ت: ٨٨٥)، تناسق الدرر في تناسب السور «و» مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع». كلاهما للسيوطي (ت: ٩١١).

١٠ - ترجمة القرآن

١/١ الترجمة الحرفية: هي نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى، ويحرم ترجمة القرآن بهذه الترجمة لأنها تخرج القرآن عن أن يكون قرآنًا.

٢/١ الترجمة التفسيرية أو المعنوية: هي شرح وبيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقييد بترتيب كلمات الأصل. والأصح جواز ترجمة القرآن ترجمة تفسيرية بشروط معينة.

٣/١ مررت ترجمة القرآن باتجاهين مختلفين: الأول: الترجمة إلى اللغات الشرقية، وقد كانت اللغة الفارسية من أوائل اللغات التي تُرجمت إليها معاني القرآن، الثاني: الترجمة إلى اللغات الأوروبية: ومررت بمرحلتين المرحلة الأولى: مرحلة ترجمة القرآن من قبل غير المسلمين، المرحلة الثانية: مرحلة ترجمة القرآن من قبل المسلمين.



أسئلة تقويمية

١. عرّف التفسير.
٢. وازن بين التفسير وكلّ من التأويل والاستنباط والتدبر.
٣. من أوّل المفسرين؟ دّل على ذلك.
٤. اذكر اثنين من أبرز مفسري كل من الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين.
٥. التفسير علم قائم بذاته منذ عهد الصحابة. وضح ذلك.
٦. وضح المراد بالتفسير المأثور.
٧. عيّد مراحل نشأة التفسير، مع شرح كل منها بإيجاز.
٨. تحدّث عن تدوين التفسير بإيجاز موضحاً أقسامه ومراحله.
٩. يُعدّ تفسير الطبري أبرز التفاسير. وضح ذلك من خلال بيان مزاياه وأثره.
١٠. اذكر أربعة من أهمّ التفاسير بعد الطبري، مع توضيح مزايا كلّ منها باختصار.
١١. عرّف أصول التفسير.
١٢. عدّد المسائل الكلية لعلم أصول التفسير.
١٣. تحدّث عن نشأة علم أصول التفسير، مع ذكر أهمّ مؤلفاته.
١٤. اذكر ثلاثة من أبرز مصنفات أصول التفسير.
١٥. اشرح الطريقتين الرئيسيتين لكيفية التفسير بإيجاز.
١٦. متى ظهر التفسير بالرأي؟ وضح ذلك.
١٧. التفسير بالرأي نوعان. اذكرهما مع التعريف وبيان الحكم لكل منهما.
١٨. ما المراد بمنهج المفسر؟
١٩. تحدّث عن نشأة علم مناهج المفسرين، مع ذكر أهمّ مؤلفاته.
٢٠. عيّد موضوعات دراسة منهج المفسر الأساسية؟
٢١. اذكر أساليب كتابة التفسير، مع بيان الفرق بينها.
٢٢. عرّف التفسير الموضوعي، واذكر أنواعه.
٢٣. ما المقصود باتجاهات المفسرين؟ وما أقسامه؟ مع التمثيل.
٢٤. عرّف علم أحكام القرآن.
٢٥. ما المراد بآيات الأخكام؟ وضح عددها وأقسامها.

٢٦. تحدّث عن نشأة علم أحكام القرآن، مع بيان أول من صنّف فيه.
٢٧. اذكر مصنّفين اثنين في أحكام القرآن في: المذهب الحنفي، المذهب المالكي، المذهب الشافعي، الكتب المعاصرة.
٢٨. ما منهج الترتيب في كتب أحكام القرآن؟ مع التمثيل لكل منها.
٢٩. اذكر اثنين من المأخذ على كتب أحكام القرآن.
٣٠. عرّف النسخ عند المتقدمين والمتأخرين.
٣١. وضح أهميّة علم النّاسخ والمنسوخ في القرآن.
٣٢. اذكر ثلاث حكّم لورود النسخ في مسائل الشّرع.
٣٣. عيّد شروط النسخ.
٣٤. يَمَ يَقَع النّسخ؟ مع بيان الأقسام المترتبة على ذلك ومدى وقوع كل منها.
٣٥. ما أنواع النّسخ في القرآن باعتبار بقاء التلاوة والحكم؟ مثل لكلٍ منها.
٣٦. اذكر طُرُق معرفة النّاسخ والمنسوخ، مع بيان هل القول بالنسخ توقيفي أم اجتهادي؟
٣٧. ما مصادر النّاسخ والمنسوخ في القرآن، مع تعداد خمسة من أبرز كتّبه.
٣٨. المتشابه في علوم القرآن مصطلح يطلق على نوعين، اذكرهما.
٣٩. وضح المراد بالمتشابه اللفظي؟
٤٠. ما الحكمة من ورود المتشابه اللفظي في القرآن؟
٤١. جاءت المصنفات في المتشابه اللفظي على ضربين. اذكرهما مع التمثيل لكل منهما.
٤٢. استنتج علاقة كتب المتشابه اللفظي بالتفسير.
٤٣. وجّه التشابه اللفظي بين قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨].
٤٤. جاء في القرآن أنه مُحَكَّم كُلُّهُ ومتشابه كُلُّهُ، ولا تعارض بين الوصفين. وضح ذلك.
٤٥. ما المراد بالمحكم والمتشابه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]؟
٤٦. اشرح الفرق بين المتشابه الكلّي والمتشابه اللّسبي.
٤٧. ما مفهوم «مُشْكِل القرآن»؟ وما الفرق بينه وبين المتشابه؟
٤٨. تحدّث عن نشأة علم مشكل القرآن وتدوينه.

٤٩. ما الحكمة من وجود المُشكِـل في القرآن؟
٥٠. عيّد أربعة مصنّفات في مُشـكـل القرآن.
٥١. ما أسباب الاختلاف ووقوع الإشـكـال في القرآن؟
٥٢. وضح مفهوم المُتهـمات في القرآن، مع التمثيل لذلك.
٥٣. ما أصل علم مُتهـمات القرآن؟ وما أهميته؟
٥٤. اذكر التوقيفي والاجتهادي من علوم القرآن التالية: الناسخ والمنسوخ، توجيه المتشابه اللفظي، بيان مُشـكـل القرآن، مُتهـمات القرآن، مناسبات القرآن.
٥٥. ما أسباب وقوع المُتهـمات في القرآن؟
٥٦. عيّد ثلاثة مصنّفات في مُتهـمات القرآن.
٥٧. ما المراد بالمناسبات في القرآن؟
٥٨. اذكر أربعة من أبرز أنواع المناسبات في القرآن، مع التمثيل لكل منها.
٥٩. ما الكتب التي اعتنت بمناسبات القرآن؟ اذكر ثلاثة منها.
٦٠. اذكر نوعي الترجمة. وحكم كلّ منهما.
٦١. تحدّث عن تاريخ ترجمة القرآن بإيجاز.

أسئلة إشرافية

١. بعد القرن الثالث توسّع التفسير كثيراً بسبب الاستطرادات الواردة في مسائل متعلقة بعلوم أخرى، ما العلوم البارزة في التفاسير التالية: تفسير الثعلبي، تفسير الزمخشري، تفسير القرطبي، تفسير أبي حيان، تفسير الرازي.
٢. من تفاسير المتأخرين المشتهرة: تفسير الجلالين، تحدّث بإيجاز عن مؤلفيه ومزاياه والمآخذ عليه.
٣. اذكر مصادر التفسير مع بيان أهمية كلّ منها وحجّيته.
٤. حرر بإيجاز منهج أحد التفاسير التالية وفق موضوعات منهج المفسر التي درستها: تفسير البغوي، تفسير ابن كثير، تفسير السعدي.
٥. ما الاتجاه العلمي والمذهبي لكل من التفاسير التالية؟ تفسير الزمخشري، أحكام القرآن لابن العربي، البحر المحيط لأبي حيان، تفسير أبي السعود.

٦. عُذْ إلى تفسير القرطبي ثم استخرج المسائل الفقهية التي أوردها عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ جَاءَهُ يَحْمِلْ وِجْرَتَهُ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢].

٧. هل لمفهوم النسخ لدى السلف والمتأخرين أثر في مقدار الآيات المنسوخة في القرآن؟ وضح ذلك.

٨. وضح العلاقة بين النسخ في القرآن والمكي والمدني.

٩. عُذْ إلى كتاب «ملاك التأويل» ثم وجه التشابه اللفظي بين الآيات التالية:

(أ) قوله تعالى في سورة نوح: ﴿وَلَا نُزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: ٢٤] وبعده في آخر السورة: ﴿وَلَا نُزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا﴾.

(ب) قول تعالى في سورة النبا [٢٦، ٣٦] في أهل النار: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ وفي أهل الجنة: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾.

(ج) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

١٠. عُذْ إلى كتاب «دفع إيهام الاضطراب» ثم وجه التعارض المتوهم فيما يلي:

(أ) العموم في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، والآيات التي تخالفه كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَى مَاعْمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

(ب) بين قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ﴾ [الحاقة: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦].

(ج) بين قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْتَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: ١٠].

١١. عُذْ إلى كتاب «مُفْجَمَاتُ الْأَقْرَانِ»، ثم استخرج المهمات في جزء «تبارك».

١٢. من خلال كتاب «تناسق الدُّرَرِ في تناسب السُّور» وضح المناسبات بين قصار السور.



الفصل السادس

علوم لغة القرآن وأساليبه

- أولاً: عِلْمُ غَرِيبِ الْقُرْآنِ .
ثانياً: عِلْمُ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ .
ثالثاً: عِلْمُ الْمَعْرَبِ فِي الْقُرْآنِ .
رابعاً: عِلْمُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ .
خامساً: عِلْمُ بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ .
سادساً: دَلَالَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ .
سابعاً: عِلْمُ أَقْسَامِ الْقُرْآنِ .
ثامناً: عِلْمُ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ .
تاسعاً: عِلْمُ قِصَصِ الْقُرْآنِ .
عاشراً: عِلْمُ الْجَدَلِ فِي الْقُرْآنِ .

أهداف الفصل

- أهم ما يهدف إليه هذا الفصل أن يكون الدارس قادراً على أن:
- (١) يُبَيِّنَ معاني بعض مفردات القرآن الغريبة بالرجوع إلى كتب غريب القرآن.
 - (٢) يفرّق بين الوجوه والنظائر والمعرب في القرآن.
 - (٣) يبين أهمية إعراب القرآن وفائدته.
 - (٤) يُبَيِّنَ علاقة علم البلاغة بالقرآن.
 - (٥) يفرّق بين دلالات ألفاظ القرآن واعتبارات تنوعها.
 - (٦) أن يتعرّف على أبرز أساليب القرآن.

أولاً: علم غريب القرآن

مفهوم غريب القرآن:

الغريب لغةً: الغامض من الكلام^(١).

أما اصطلاحاً فغريب القرآن: هو كلمات القرآن الغامضة المعنى^(٢)، وبيان غريب القرآن هو: بيان معاني كلمات القرآن الغامضة المعنى.

أما موضوع هذا العلم فهو يُعنى بدلالة ألفاظ القرآن، دون غيرها من المباحث المتعلقة بالتفسير أو المعاني.

أهمية علم غريب القرآن:

يُعَدُّ هذا العلم من أهمِّ علوم التفسير؛ لأن كثيراً من آيات القرآن لا تخلو منه، قال السيوطي: «معرفة هذا الفن أمر ضروري للمفسر كما سيأتي في شروط المفسر، قال في البرهان: ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة: أسماء وأفعلاً وحروفاً»^(٣).

كما أنه أول لبنات معرفة التفسير، ولا يخفى أن الجهل بمفردات القرآن من أسباب عدم فهم القرآن؛ فمن يقرأ قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]، ولم يكن يعرف المراد بالماعون؛ فإنه لا يمكنه أن يفسر هذه الآية، ولا أن يستنبط الأحكام منها.

أقسام الألفاظ القرآنية:

يمكن تقسيم الألفاظ القرآنية إلى نوعين كليين^(٤):

(١) كتاب العين (٤/٤١١)، وينظر: تهذيب اللغة (٨/١١٥).

(٢) يدخل في ذلك كل ما يكون غامضاً على القارئ، وهذا أمر نسبي، فما كان غريباً غامضاً عند مصنف لا تجده كذلك عند آخر؛ لذا لا يذكره في مصنفه. ومما يُنبّه إليه أن الغموض والغرابة هنا لا يُراد منها عدم الفصاحة، أو ما كان نافراً أو شاذاً مستنكراً من الألفاظ، أو ما لا يكاد يُعرف من حيث الجملة، وإنما المراد ما لا يكاد يُعرف عند أناس دون آخرين، لكنّه معروف عموماً.

(٣) الإتيان (٢/٥).

(٤) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ١١٩).

النوع الأول: ما يكون له معنى واحد لا غير في لغة العرب، وهو قِسمان:
١- ما يكون معناه ظاهراً للكل لا يحتاج فيه إلى بيان، كلفظ الأرض، والماء، والهواء، والشمس، والقمر، وغيرها.

٢- ما يحتاج إلى بيان لخفائه؛ كلفظ «بَاسِقَتِي»، ولفظ «فَالْمُغِيرَاتِ».
النوع الثاني: ما يكون له أكثر من معنى، وقد تأتي معانيه في سياقات مختلفة من القرآن، وذلك ما يُعرف بالوجوه والنظائر، وسيأتي الكلام عنها في المبحث التالي.
الجدير بالذكر أن كثيراً ممن ألف في غريب القرآن لم يقتصر على الغريب الغامض من ألفاظ القرآن، بل فسّر أغلبها وإن كانت من الواضح المعروف، لذا تجد بعض مصنفات هذا العلم قد تضخمت وتوسعت، يظهر هذا جلياً في مثل كتاب «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني (ت: بعد ٤٠٠).

نشأة علم غريب القرآن وأبرز مصنفاته:

يعود تفسير ألفاظ القرآن إلى عهد النبي ﷺ الذي كان يفسر لصحابته ما احتاجوا إليه، كقوله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]: «والوسط: العدل»^(١)، لكنه قليل جداً لكون الصحابة ﷺ يفهمون القرآن الذي نزل بلغتهم، وقد وردت روايات تدل على توقّفهم ﷺ في ما لم يتبينوا منه؛ كقول أبي بكر ﷺ عندما سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَأَبَا﴾ [عبس: ٣١]: «أي سماء تُظلني، أو أي أرض تُظلني إن أنا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم!»^(٢).

كما وردت روايات تدل على عنايتهم به وتتبع معانيه في لغة العرب، نحو قول ابن عباس ﷺ: «كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرَ السَّمَكَاتِ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بشر فقال أحدهما: أنا فطرتهما، يقول: أنا ابتدأتها»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١/٦) (٤٤٨٧).

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٢٢٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد (٢٥١/١٥).

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ٢٠٦)، والطبري في تفسيره (١٧٥/٩).

وقد كان ابن عباس رضي الله عنه من أكثرهم عنايةً به ، مع الاستشهاد بالشُّعر عليه ، ذلك ما رواه عكرمة عنه ، قال : أتاه رجلٌ وأنا جالس فقال : أرأيتَ قول الله : ﴿وَيَأْتِيكَ فَطَهْرٌ﴾ [المدثر: ٤] قال : «لا تلبسها على معصية ولا على غَدْرَةٍ ، ثمَّ قال : أما سمعت قول غيلان ابن سلَمة الثَّقَفي :

وإني بحمْد الله لا ثوبَ فاجرٍ لَيسْتُ ولا من غَدْرَةٍ أَتَقَنُّ»^(١).

وقد اشتهر عنه في ذلك ما عُرف بمسائل ابن الأزرق له^(٢) ، كذلك كان تلاميذه كسعيد بن جبير وعكرمة .

أما تدوينه فقد كان قديماً منذ عهد أتباع التابعين في القرن الثاني الهجري ، واستمرَّ إلى يومنا ، ومن أبرز تلك المدونات والكتب ما يلي :

١- مجاز القرآن^(٣) ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٨) .

٢- تفسير غريب القرآن^(٤) ، لابن قُتيبة (ت: ٢٧٦) .

٣- غريب القرآن ، لابن عزيز السجستاني (ت: ٣٣٠) .

٤- مفردات ألفاظ القرآن^(٥) ، للرَّاعِب الأصفهاني (ت: بعد ٤٠٠) .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٠٥) .

(٢) نافع ابن الأزرق الحواري من رؤوس الخوارج ، تُنسب إليه من فرقهم طائفة الأزارقة ، وقد كان يأتي إلى ابن عباس يسأله عن القرآن وغيره ، وقد جُمع بعضها فيما عُرف بمسائل ابن الأزرق ، بلغت المئات عند البعض ، لكنها وردت من طُرُق غير مُرضية ، فضلاً عما يدور حولها من كثرة الشكِّ ، ولا يُبعد أن يكون لها أصلٌ لكن زيد عليها كثيراً . ينظر : الشاهد الشعري في تفسير القرآن (ص ٢٥٥ - ٢٩٣) ، التفسير اللغوي (ص ٣٣٠ - ٣٣١) .

(٣) وهو من أشهر كتب غريب القرآن وأعظمها أثراً في مَنْ جاء بعده ، كما يتميز بكثرة الشواهد الشعرية ، ويُعدُّ أول كتاب مطبوع في الغرب وصل إلينا . ينظر : التفسير اللغوي (ص ٣٣٤) .

(٤) وهو من أهم كتب غريب لاغتنامه بتفسير السلف ، مع حسن الاختيار .

(٥) وهو من أوسع كتب غريب القرآن وأنفسها ، لما اشتمل عليه من تحرير مدلول اللفظ ، وتقييد اللفظ القرآني في سياقاته ، إضافةً إلى حرصه على بيان أصول معاني الكلمات .

ومن المصنّفات المعاصرة:

- ١- كلمات القرآن: تفسيرٌ وبيانٌ، لمحمد حسين مَخْلُوف (ت: ١٤١٠).
- ٢- السّراج في غريب القرآن، د. محمد بن عبد العزيز الخضير.
- ٣- الميسر في غريب القرآن، الصّادر عن مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

وقد انتهج المؤلفون في هذا العلم طريقتين في الترتيب: الأولى: الترتيب وفق ترتيب ألفاظ القرآن وآياته وسوره، وعليها سار أبو عبيدة وابن قتيبة.

الثانية: ترتيب الألفاظ القرآنية على الحروف الهجائية، وعليها سار الرّاغب الأصفهاني. وفيما يلي نموذج لبيان غريب سورتي الإخلاص والفلق من كتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة^(١):

﴿الصَّامِدُ﴾ السّيد الذي قد انتهى سُؤدُّه؛ لأنّ الناس يَصْمِدُونَه في حوائجهم. قال الشاعر:

خُذْهَا حَذِيفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّامِدُ.

وقال عكرمة ومجاهد: «هو الذي لا جَوْفَ له». وهو - على هذا التفسير - كأن الدال فيه مبدلةً من تاء. و «المُصَمَّتُ» من هذا.

﴿كُفُوا﴾ مثلاً.

﴿الْفَلَقِ﴾ الصُّبْح.

والـ ﴿غَاسِقُ﴾ اللّيل؛ والغَسَقُ: الظلمة.

﴿إِذَا وَقَبُ﴾ أي دَخَلَ في كلّ شَيْءٍ.

ويقال: «الغَاسِقُ»: القمر إذا كُسِفَ فاسْوَدَّ. ﴿إِذَا وَقَبُ﴾: دخل في الكسوف.

﴿الْغَاسِقَاتِ﴾ السّواحر. و«يَنْفُثْنَ»: يَنْفُلْنَ إذا سَحَرْنَ وَرَقَيْنَ.

ثانيًا: علم الوجوه والنظائر في القرآن

مفهوم الوجوه والنظائر:

الوجوه لغة: جمع وجه، والوجه: مُسْتَقْبِلُ كُلِّ شَيْءٍ. يُقال: وجه الرجل وغيره^(١)، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به^(٢).

النظائر لغة: جمع نظير، وهو المثل والشبيه في كل شيء، يُقال: فلان نظيرك أي: مثلك^(٣).

الوجوه في القرآن اصطلاحًا: المعاني المختلفة للفظ القرآني في مواضعها من القرآن^(٤). مثاله: لفظ (أمة) الذي جاء في القرآن بمعانٍ عدة منها: الطائفة من الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وبمعنى الأمة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، وبمعنى الملة كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]، وبمعنى الإمام في الخير، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠].

أما النظائر في القرآن فيمكن تعريفها اصطلاحًا بأنها: المواضع القرآنية المتعددة للوجه الواحد التي اتفقت فيها معنى اللفظ^(٥).

مثاله: لفظ (أمة) بمعنى الطائفة من الناس في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] - في المثال السابق -، من نظائره قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

(١) مقاييس اللغة (وجه) (٦/ ٨٨).

(٢) لسان العرب (وجه) (١٣/ ٥٥٦).

(٣) تاج العروس (نظر) (١٤/ ٢٤٩).

(٤) ينظر: التفسير اللغوي (ص ٩٤). وعرفها الزركشي في البرهان (١/ ١٠٢) - وتبعه السيوطي في الإنقان

(٤/ ٩٧٥) - بأنها الألفاظ المشتركة المستعملة في عدة معانٍ.

(٥) ينظر: التفسير اللغوي (ص ٩٤)، مقدمة تحقيق كتاب «التصارييف» (ص ٢٤).

أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ ﴿[آل عمران: ١١٠]، ﴿مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣]،
﴿كَذَلِكَ زَيَّلْنَا كُلَّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ومن خلال تعريفَي الوجوه والنظائر والمثال السابق لهما يتبين لنا أن الفرق بينهما هو أن الوجه تتعلق بالألفاظ المتحدة في النطق المختلفة في المعنى، أما النظائر فهي تتعلق بالألفاظ المتحدة في النطق والمعنى معاً الواردة في عددٍ من الآيات.

أهمية علم الوجوه والنظائر:

علم الوجوه والنظائر من علوم القرآن التي يحتاجها المفسر؛ لأنها تتعلق ببيان المعنى؛ كما يتضح من المثال السابق، ومن هنا فهو من أهم علوم التفسير. نشأة علم الوجوه والنظائر وأبرز مؤلفاته:

نشأ هذا العلم ودون في وقت مبكر من القرن الثاني الهجري، حيث صنف فيه مقاتل ابن سليمان (ت: ١٥٠) كتابه «الوجوه والنظائر في القرآن»، وهو أول من صنف فيه فيما يظهر، بل كل من جاء بعده عيّل عليه في هذا العلم، يأخذون منه ويستدركون عليه^(١). وقد توالى المصنفات بعده، ومن أبرزها مما طبع:

١- الوجوه والنظائر، لهارون بن موسى (ت: ١٧٠).

٢- التصارييف (تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه)، ليحيى بن سلام (ت: ٢٠٠).

٣- الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، للحسين الدامغاني (ت: ٤٧٨).

٤- نزهة الأعين التواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧).

موضوعات علم الوجوه والنظائر ومنهج كتبه:

تنطلق كتب الوجوه والنظائر القرآنية من ذكر اللفظ القرآني بتعدد معانيه (وهي الوجوه)، ثم تعتمد إلى ذكر النظائر الواردة في القرآن لكل معنى من هذه المعاني المختلفة.

(١) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ١١٩).

ومما يجدر ملاحظته أن هذه الكتب تعمّد إلى بيان المعنى السياقي للفظ ، الذي لو رجعت إلى معناه الأصلي خارج السياق لوجدت أن كثيرًا من تلك المعاني متداخلة^(١). مثال ذلك: ما أورده مقاتل بن سليمان في كتابه^(٢) في بيان معنى لفظ (المرض) في القرآن ، حيث قال **رَضِيَ اللَّهُ**: «المرض على أربعة وجوه:

الأول: مرض ، يعني: شكًا ، فذلك قوله تعالى في البقرة: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني: شكًا ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [١٠] ، يعني: شكًا. نظيرها في (براءة): ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني: شكًا ، ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] . وكقوله في (الذين كفروا): ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني: الشك ، ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [محمد: ٢٠] . ونحوه كثير.

الوجه الثاني: المرض ، يعني: الفجور . فذلك قوله **رَضِيَ اللَّهُ** في الأحزاب: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [٣٢] . يعني: فجورًا . ونظيرها في آخرها: ﴿لَنْ يَنْفَعَهُ الْمُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [٦٠] . يعني: الفجور ، ليس غيرهما .

الوجه الثالث: المرض ، يعني: الجراح . فذلك قوله تعالى في النساء: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ [٤٣] . يعني: جرحى . ونظيرها في المائدة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ يعني: جرحى . ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [٦] ، ليس غيرهما .

الوجه الرابع: المرض ، يعني: المرض نفسه ، جميع الأمراض . فذلك قوله تعالى في البقرة: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ [١٨٤] . يعني: من جميع الأمراض والأوجاع . وقال في (براءة): ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ [التوبة: ٩١] . يعني: من كان به شيء من مرض . وكقوله في النور: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [٦١] . وكقوله في الفتح: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [١٧] .

(١) ينظر: التفسير اللغوي (ص ٩٥ - ١٠٢) .

(٢) الوجوه والنظائر لمقاتل (ص ٢٨ - ٢٩) .

ثالثاً: علم المعرب في القرآن

مفهوم المعرب:

التعريب هو النقل إلى العربية.

والمعرب في القرآن: هو ما وقع في القرآن بغير لغة العرب.

مذاهب العلماء في وقوع المعرب في القرآن:

اختلف العلماء في وقوع المعرب في القرآن على قولين:

الأول: عدم وقوعه في القرآن. وهو قول الشافعي (ت: ٢٠٤)، وأبي عبيدة معمر بن

المثنى (ت: ٢٠٨)، والطبري (ت: ٣١٠)، وغيرهم.

استدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، ﴿يَلْسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾

[الشعراء: ١٩٥]، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت:

٤٤]. ونحوها من الآيات.

الثاني: ذهب آخرون إلى وقوع المعرب في القرآن، وأجابوا عما استدلل به المانعون

بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تُخرجُه عن كونه عربياً، واستدلوا بما ورد عن أبي

ميسرة عمرو بن شرحبيل (ت: ٦٣) وسعيد بن جبير (ت: ٩٥) وهب بن منبه (ت: ١١٤)

أن في القرآن من كل لسان^(١)، كما استدللوا بما ورد عن بعض الصحابة والتابعين من

نسبة بعض ألفاظ القرآن إلى لغات أخرى، نحو ما ورد عن ابن عباس وسعيد بن جبير

وعكرمة أن (الجبت): الشيطان بالحبشية، وعن ابن عباس: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾: هلم لك

بالقبطية، وعن مجاهد أن ﴿سَرِيًّا﴾: نهراً بالسريانية، وعن سعيد بن جبير: بالنبطية، وعن

مجاهد (القسطاس): العدل بالرومية، وعنه أيضاً ﴿مَقَالِيدُ﴾: مفاتيح بالفارسية^(٢).

وناقش ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠) ذلك بأنه من توارد اللغات وتوافقها في بعض

(١) الإتيان (٩٣٧/٣).

(٢) ينظر ما تقدم في المرجع السابق (٩٣٧/٣-٩٥٥).

مفرداتها باللفظ والمعنى ، فتكلّمت بها العرب والفُرس والحَبَشَة ونحوهم بلفظ واحد^(١) .
ورجّح هذا القول الثاني السُّيوطي ، وبناءً على ذلك سرّد ما وقف عليه الألفاظ المعرّبة في القرآن في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» مرتّبةً على حروف المعجم ، وذلك في النوع الثامن والثلاثون الذي عُنون له «فيما وقع فيه بغير لغة العرب»^(٢) .

وقد جمع بين القولين السابقين أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٥) فقال:
«والصّواب عندي مذهّب فيه تصديق القولين جميعاً ، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجميّة كما قال الفقهاء ، لكنها وقّعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربيّة ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربيّة فهو صادق ، ومن قال أعجميّة فصادق» . ومال إلى هذا القول الجواليقي (ت: ٥٤٠) ، وابن الجوزي (ت: ٥٩٧) ، وآخرون^(٣) .

ويمكن عدّ قول ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠) السابق جمعاً آخر بين القولين .

المصنّفات في المعرّب:

من أشهر كتب المعرّب: «المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم»^(٤) للجواليقي (ت: ٥٤٠) ، وهو كتابٌ شاملٌ يُعنى بتتبّع الألفاظ المعرّبة ذات الأصول الأعجميّة مرتّبةً على حروف المعجم ، وقد تضمّن المعرّب في القرآن .

كذلك أفرد أهل العلم المعرّب في القرآن بمصنّفات ، من أشهرها: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب» ، للسُّيوطي (ت: ٩١١) ، وهو مطبوع^(٥) ، ربّته على حروف

(١) تفسير الطبري (١/١٤-١٨) .

(٢) (٩٣٧/٣) .

(٣) المرجع السابق (٣/٩٤٠-٩٤١) .

(٤) نشره قديماً العلامة أحمد شاكر ، ثم حقّقه العلامة الهنديّ ف . عبد الرحيم ، ونال على دراسته وتحقيقه

الدكتوراه من الأزهر سنة ١٩٧٣ م . وصدرت طبعته عن دار القلم بدمشق ، عام ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

(٥) أيضاً من المصنّفات المطبوعة في هذا العلم: «المقرّب في معرفة ما في القرآن من المعرّب» ، لابن

علّان البكري (ت: ١٠٥٧ هـ) .

المعجم ، وقد لخص فوائده في كتاب «الإتقان في علوم القرآن»^(١) . وفيما يلي نماذج مما أورد من المعرب في جزء عم:

﴿الْأَرَايِلِ﴾: حكى ابن الجوزي في فنون الأفنان ، أنها السُّرر بالحِشْيَة .
 ﴿جَهَنَّمَ﴾: قيل: أعجمية ، وقيل: فارسية ، وقيل: عبرانية ، أصلها: كهَنام .
 ﴿سَجِيلٌ﴾: أخرج الفريابي عن مجاهد قال: «سَجِيلٌ بالفارسية ، أولها حجارة وآخرها طين» .

﴿طُورٍ﴾: أخرج الفريابي عن مجاهد قال: «الطُّور: الجبل بالشرمانية» ، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك: أنه بالنبطية .

﴿عَدْنٍ﴾: أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ قال: «جَنَّات كروم وأعناب بالشرمانية» ، ومن تفسير جوير: أنه بالرومية .
 ﴿وَعَسَاقًا﴾: قال الجواليقي والواسطي: «هو البارد الممتن بلسان الترك» . وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن بريدة قال: «الغَسَّاق الممتن وهو بالطخارية» .

﴿مِسْكٌ﴾: ذكر الثعالبي أنه فارسي .

﴿يَحْوَرٌ﴾: أخرج ابن أبي حاتم عن داود بن هند في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ طَنْ أَنْ لَنْ يَحْوَرُ﴾ [الانشقاق: ١٤] قال: «بلغة الحبشة: يرجع» ، وأخرج مثله عن عكرمة .



رابعاً: علم إعراب القرآن

مفهوم إعراب القرآن:

الإعراب لغة: البيان والإفصاح^(١). واصطلاحاً: التطبيق العام على القواعد النحوية^(٢).
أما علم إعراب القرآن: فهو علم يبحث في تخريج تراكيب القرآن على القواعد النحوية المحررة^(٣).
فائدته وأهميته:

أساس نشأة النحو وعموم علوم اللغة العربية هو صون اللسان عن اللحن في قراءة القرآن، ومن هنا تتبين أهمية إعراب القرآن -الذي هو تطبيق لقواعد النحو- في تلاوة القرآن.

كذلك تظهر حاجة علم التفسير إلى علوم العربية عموماً باعتبارها إحدى مصادره كما هو معلوم. ومن فوائد إعراب القرآن معرفة المعنى والتفسير^(٤)، لأن الإعراب يُمَيِّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين^(٥).

كما يظهر أهمية إعراب القرآن في عددٍ من علوم القرآن الأخرى، من أبرزها: توجيه القراءات، والوقف والابتداء.

تاريخه ونشأته:

بدأ علم النحو والإعراب في عهد التابعين على يد أبي الأسود الدؤلي (ت: ٦٩)،

(١) ينظر: تهذيب اللغة، مقاييس اللغة مادة (عرب).

(٢) ينظر: علم إعراب القرآن: تأصيل وبيان (ص ٢١).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص ٢٧).

(٤) الأصل أن التفسير والمعنى سابقان للنحو والإعراب، أي أنك تفهم المعنى ثم تُعرّب، لكن لما فسدت الألسن كتب العلماء الأصول التي يُضبط بها كلام العرب فتشكّل النحو، وصار يُطلب المعنى من جهته أحياناً. ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ٥٩-٦٠).

(٥) ينظر: البرهان (١/ ٣٠١)، الإتيان (٤/ ١٢١٩).

وتطوّر حتى كتب فيه إمام النحو سيبويه (ت: ١٨٠) كتابه (الكتاب)، المليء بالشواهد القرآنية المعرّبة.

وقد كان علم إعراب القرآن مندرج ضمن كتب معاني القرآن، كما هو ظاهر في كتاب «معاني القرآن» للفرّاء (ت: ٢٠٧)، و«معاني القرآن» للأخفش (ت: ٢١٥). إلا أنّه أُفرد بتصانيف مستقلّة، وأوّل كتاب مطبوع منها هو «إعراب القرآن» لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨)، الذي صنّف أيضاً كتاباً مستقلّاً في معاني القرآن، ثم توالّت بعد ذلك التّصانيف المستقلّة في إعراب القرآن، ومن هنا يتبيّن لنا أن الكتابة في إعراب القرآن على قسمين:

الأول: الكُتُبُ المستقلّة في إعراب القرآن.

الثاني: كُتُبُ العلوم أخرى المتضمّنة لإعراب القرآن، مثل كتب التفسير، ومعاني القرآن، وتوجيه القراءات، والوقف والابتداء^(١).

شروط إعراب القرآن وآدابه:

ذكر أهل العلم شروطاً وآداباً يجب على مُعرب القرآن مراعاتها أثناء الإعراب^(٢)، من أبرزها:

- ١- أن يكون المُعرب مُلمّاً بعلوم العربية.
- ٢- أن يفهم معنى ما يريد أن يُعربه مُفرداً كان أو مركّباً قبل الإعراب فإنّه فرع المعنى.
- ٣- تجنّب الأمور البعيدة واللّغات الشاذّة والأوجه الضّعيفة، فإن القرآن نزل بالأفصح.
- ٤- تجنّب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله تعالى.
- ٥- تجنّب خلاف الظاهر المنافي لنظم الكلام.

المصنّفات في إعراب القرآن ومناهجها:

تقدّم أن الكُتُبَ المعنويّة بإعراب القرآن على نوعين: كُتُبُ مستقلّة وأخرى متضمّنة

(١) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص ٤٤).

(٢) ينظر: البرهان (١/ ٣٠٢)، الإِتقان (٤/ ١٢٢٠).

لإعراب القرآن مع تخصصها الأضل، وأهمها كُتب التفسير وكتب معاني القرآن.

أما المصنّفات الخاصة في إعراب القرآن فمن أبرز ما طُبِع منها:

- ١- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨).
 - ٢- مُشكِل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧).
 - ٣- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات ابن الأنباري (ت: ٥٧٧).
 - ٤- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (ت: ٦١٦).
 - ٥- الدرُّ المصُون في علوم الكتاب المَكُون، للسّمين الحلبي (ت: ٧٥٦).
- ومن المصنّفات المعاصرة:

- ٦- إعراب القرآن وبيانه، لمحبي الدين درويش (ت: ١٤٠٣).

وقد اختلفت اتجاهات هؤلاء ومناهجهم في الإعراب، فبعضهم اقتصر على إعراب المشكل مثل مكي بن أبي طالب، ومنهم من أعرب بعض سوره، كابن خالويه (ت: ٣٧٠) في كتاب «إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم»، ومنهم من أعربه كاملاً دون توسّع كالعكبري، ومنهم من سلك منهج الاستقصاء والتفصيل بتناول إعراب جميع آيات القرآن وكلماته مع بيان معانيها وتصريفها ووجوه بلاغتها كالسّمين الحلبي.

أما كتب معاني القرآن فمن أبرز ما طُبِع منها:

- ١- معاني القرآن، للفراء (ت: ٢٠٧).
- ٢- معاني القرآن، للأخفش (ت: ٢١٥).
- ٣- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (ت: ٣١١).

وأما كتب التفسير فهي على ثلاثة أنواع من حيث اعتناؤها بالإعراب:

الأول: ما لم يعتنِ بالمسائل النحويّة إلا ما ندر، مثل تفسير ابن كثير.

الثاني: ما اعتنى بالإعراب بشكل كبير لكنّه اقتصر على ما له أثر في بيان المعنى،

مثل تفسير الطبري، الذي يُعَدُّ من أوائل كُتب التفسير المعنوية بالإعراب^(١).

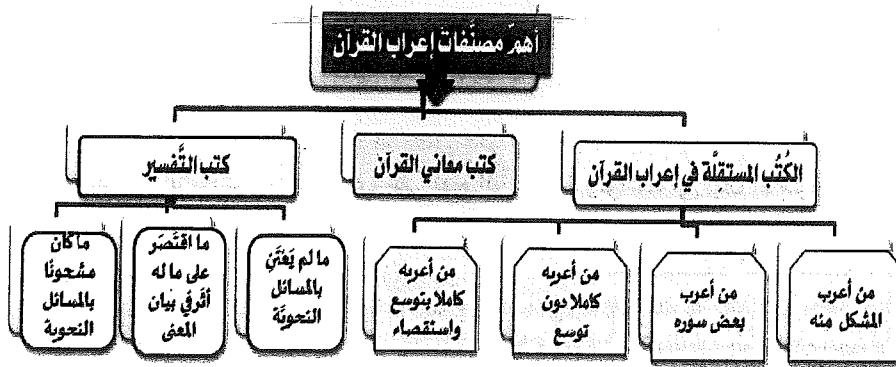
(١) حيث نَبّه على ذلك في مقدّمته (١ / ١٨٥) فقال: «وإنّما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه =

عموماً في المعنى . ويُقرأ بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام ، كما قالوا: الْمِعِيرَةُ وَرَغِيفٌ ؛ وهو ضعيف في الآية ؛ لأن فيه إتباع الإعراب البناء ، وفي ذلك إبطال للإعراب . ويُقرأ بضم الدال واللام على إتباع اللام الدال ، وهو ضعيف أيضاً ، لأن لام الجرّ متصل بما بعده ، منفصل عن الدال ، ولا نظير له في حروف الجرّ المفردة ، إلا أن من قرأ به قرأ من الخروج من الضم إلى الكسر ، وأجراه مجرى المتصل ؛ لأنه لا يكاد يستعمل الحمد منفرداً عما بعده .

وال ﴿رَبِّ﴾ مصدر رَبَّ يَرْبُ ، ثُمَّ جُعِلَ صِفَةً كَعَدَلٍ وَخَصِمٍ ، وَأَصْلُهُ رَبَّ . وَجَرَّه على الصِّفَةِ أو البَدَل . وَقُرِئَ بالنَّصْبِ على إضمار أعني ، وقيل : على النداء ، وقُرِئَ بالرَّفْعِ على إضمار هو .

﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع تصحيح ، واحده عَالَمٌ ، وَالْعَالَمُ : اسمٌ موضوع للجمع ، ولا واحد له في اللفظ ، واشتقاقه من العلم عند من خصَّ العالم بمن يعقل ، أو مِن العلامة عند من جعله لجميع المخلوقات .

وفي ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الجرّ والنَّصْبُ والرَّفْعُ ، وبكُلِّ قُرِئَ على ما ذكرناه في رَبِّ ﴿١﴾ .



(١) التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥) .

خامساً: علم بلاغة القرآن

مفهوم البلاغة:

البلاغة لغة: الفصاحة^(١). وأصل (بلغ) الوصول إلى الشيء، ويُمدح بها الفصيح اللسان، لأنه يبلغ بها ما يُريده^(٢).

اصطلاحاً: البلاغة في الكلام: مطابقته لمقتضى الحال^(٣). والبلاغة القرآنية: مطابقة القرآن لمقتضى الحال غاية المطابقة؛ بأنّ ما يكون من البيان. نشأة البلاغة القرآنية^(٤):

أساس نشأة علم البلاغة هو القرآن الكريم، وقد تقدّم في مبحث إعجاز القرآن أن أظهر وأبرز وجوه إعجاز القرآن هو نظم البديع لغةً وبلاغةً وأسلوباً، ومن ثم انكبّ العلماء في دراسة القرآن الكريم للوقوف على إعجازه للعرب وغيرهم عن الإتيان بمثله، في بلاغة ألفاظه، وروعة بيانه، ودقّة تعابيره، ووفاء جمّله، ومطابقتها للمقصد المتكلم عنه، وانبثق عن ذلك علم البلاغة، التي كانت بداياته مسائل منثورة في كتب معاني القرآن وغريبه وإعجازه، ككتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (ت: ٢٠٨)، إضافة إلى بعض كتب الأدب المتقدمة مثل «البيان والتبيين» للجاحظ (ت: ٢٥٥).

ثم جاء عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١) فجمع متفرقات هذا العلم وقعد قواعده وأقام بنيانه في كتابه (دلائل الإعجاز)، و(أساس البلاغة).

وقد سار الرّمخسري (ت: ٥٤١) على نهج الجرجاني وقواعده في بيان الأسرار البلاغية

(١) تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٣١٦).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٣٠١).

(٣) التعريفات (ص ٤٦)، وفي الكليات (ص: ٢٣٦) للكفوي: «... أسد عبارات الأدباء في حدّ البلاغة وأوفاهها بالغرض قولهم: البلاغة هي التعبير عن المعنى الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصد ولا انتقاص عنه في البيان».

(٤) ينظر: تاريخ علوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي (ص ٥-٢٥).

وتطبيقاتها في القرآن الكريم وذلك في تفسيره الكشف، وقد أبدع في ذلك أيما إبداع، فكان أول من أبرز التفسير البلاغي بوضوح تام، حتى صار عمدة الاتجاه البلاغي في التفسير، الذي سار على نهجه كثير من المفسرين بعده، ومن أشهرهم: أبو السعود العمادي (ت: ٩٨٢) في تفسيره «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»، والآلوسي (ت: ١٢٧٠) في تفسيره «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، وكذلك تفسير البيضاوي (ت: ٦٨٥)، وأغلب حواشيه كحاشية الخفاجي (ت: ١٠٦٩) والقنوي (ت: ١١٩٥)، ومن أبرز المعاصرين ابن عاشور (ت: ١٣٩٣) في تفسيره «التحرير والتنوير». علاقة علم البلاغة بالقرآن وعلومه:

تقدّم أن علم البلاغة نشأ من عناية أهل العلم بوجوه إعجاز القرآن، وإعجاز القرآن من أبرز علوم القرآن، وقد اعتنى علماء الإعجاز بالجانب البلاغي أكثر من غيره من وجوه إعجاز القرآن، فدوّنوا في مؤلفات الإعجاز ملحوظاتهم وآراءهم وأفكارهم البلاغية، حتى أصبحت معظم الكتب المؤلفة في الإعجاز القرآني مصادر بلاغية، ثم صار البلاغيون يؤلفون مؤلفاتهم البلاغية لتكون وسيلة لفهم الإعجاز القرآني، مثل «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١)، ومن ثمّ تكوّنت علوم البلاغة وقواعدها.

ثم جاءت مرحلة تطبيق القواعد البلاغية على تفسير القرآن، فظهر الاتجاه البلاغي في التفسير، وتنافس المفسرون في استنباط النكات البلاغية لتوضيح حقيقة الإعجاز في نظم القرآن، بعد أن كان علم إعجاز القرآن سبباً في نشوء علم البلاغة^(١). كذلك اعتنى المصنّفون في علوم القرآن بالمباحث البلاغية، واحتفوا بإيرادها في مصنّفاتهم، حتى صار كثير منها من أنواع علوم القرآن^(٢).

(١) ومن هنا رأى البعض أن علم البلاغة من أهم العلوم التي يحتاجها المفسر، قال الزركشي (ت: ٧٩٥) في البرهان (١/ ٣١١): «وهذا العلم أعظم أركان المفسر فإنه لا بدّ من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم...». وهو في هذا الرأي متابع للزمخشري (ت: ٥٤١) وابن حيّان (ت: ٧٤٥) وغيرهما، ينظر: الكشف (١/ ٥)، البحر المحيط في (١/ ١٩).

(٢) فمن ما ذكره الزركشي (ت: ٧٩٥) في البرهان: النوع الثالث والأربعون: بيان حقيقته ومجازه، الرابع والأربعون: في الكناية والتعريض، الخامس والأربعون: في أقسام معنى الكلام، السادس والأربعون: في ذكر=

علوم البلاغة في القرآن:

سار علماء البلاغة على نهج عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١)، وعلى رأسهم السكاكي (ت: ٦٢٦) الذي تقعدت على يديه علوم البلاغة الثلاثة: علم المعاني، والبيان، والبدیع، وقد ظهرت تطبيقاتها على التفسير كما تقدم.

وفي ما يأتي بيان حد هذه العلوم وموضوعاتها مع أمثلة لها من القرآن الكريم؛ ليتبين لنا شواهد على التفسير البلاغي وكيف أثرى هذا الاتجاه علم التفسير:

أولاً: علم المعاني: هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال^(١). ويدور حول بلاغة التراكيب، وأبرز وجوهه وأساليبه هي: الذكر والحذف، والتعريف والتكبير، والتقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، ولكل وجه من هذه الوجوه فوائد وأغراض.

مثاله: في قوله تعالى: ﴿يَاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] فائدة تقديم ﴿يَاكَ﴾ هو الاختصاص، أي أن المعنى: نخصك وحدك بالعبادة دون سواك، وهذا المعنى الدقيق لا يؤديه تقدم الفعل ﴿نَعْبُدُ﴾ على المفعول به ﴿يَاكَ﴾ كما في أصل تركيب الجملة الفعلية.

ثانياً: علم البيان: هو علم يُعرف به كيفية إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه^(٢)، ومن أبرز وجوهه وأساليبه: التشبيه والمجاز والاستعارة.

وقد أكثر القرآن من التشبيه وضرب الأمثال، لما فيها من أثر بالغ في تصوير المعاني والكشف عنها، ولكي تدرك القيمة البيانية للتمثيل والتشبيه «تأمل البؤن الشاسع بين القول إن الكفار يُعرضون عن الوحي الرباني، وبين قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّهُمْ عَنْ التَّذَكُّرِ مُعْرِضُونَ﴾^(٣) كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾»، ففي هذه الآية تمثيل

= ما يتيسر من أساليب القرآن. ومن ما ذكره السيوطي (ت: ٩١١) في الإتقان: النوع الحادي والخمسون: في وجوه مخاطباته، الثاني والخمسون: في حقيقته ومجازه، الثالث والخمسون: في تشبيهه واستعارته، الرابع والخمسون: في كتاباته وتعرضه، الخامس والخمسون: في الحصر والاختصاص، السادس والخمسون: في الإيجاز والإطناب، السابع والخمسون: في الخبر والإنشاء، الثامن والخمسون: في بدائع القرآن.

(١) إيضاح التلخيص للخطيب القزويني (ص ٥٢).

(٢) المرجع السابق (ص ١٢٣).

لا يخلو من سُخْرِيَّةٍ لا ذِعة من حال هؤلاء المعاندين المعرضين عن الهدى، فكأنهم في نُفرتهم عنه: حُمُرٌ مَفْرَعة وَلَّتْ هاربةً مدبرةً خوفاً من بَطْشَةِ صَيَّادٍ ماهرٍ أو أَسَدٍ قاهرٍ يريد الفَتْكَ بها، وحَسْبُكَ بذلك بياناً لَهَيْبَةِ الوعيد القرآني التي خَلَعَتْ قلوب الكافرين، وَأَوْرَثَتْ نفوسهم فرعاً وهلعاً تعبّر عنه تلك الصُّورة الفريدة^(١).

وأمثال القرآن من الأنواع التي أفردتها المصنفون في علوم القرآن كما سيأتي .
ثالثاً: علم البديع: هو علمٌ تُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته^(٢)، وله فُتُون كثيرة من أبرزها: الطُّباق والمقابلة، والجناس والمساكلة، وغيرها.

ولنضرب للطُّباق -وهو الجَمْع بين معنيين متضادّين- مثلاً من القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]. فالطُّباق هنا بين الإيتاء والنزع، والإعزاز والإذلال، فهذه ضروب من التّصريفات الإلهيّة والتدابير القدريّة وفق الحكمة الربّانيّة القاضية بتنفُّل أحوال العباد من حال إلى نقيضها، وإن كانوا أصحاب مُلْكٍ وأزباب جَبَرَت، فالخلق سواسية أمام القُدرة الإلهية، لا فَرْق في الانصياع لأمرها بين ملوكهم وسُوقَتهم، ولا بين جبابرتهم وضعفائهم^(٣).



(١) تيسير البلاغة القرآنية (ص ١٥٥).

(٢) إيضاح التلخيص للخطيب القزويني (ص ٥٠).

(٣) تيسير البلاغة القرآنية (ص ٢٥٠).

سادساً: دلالات ألفاظ القرآن

تقدّم أن المعاني والأحكام تُستفاد من الألفاظ إما بطريق الدلالة المباشرة وذلك في الآيات الصريحة، أو بطريق الإشارة والاستنباط في الآيات غير الصريحة، وذلك من خلال دلالات الألفاظ، لذا اعتنى بدراستها أرباب العلوم القرآنية، وأفردوها بمباحث خاصة في تأليفهم، وصنّفوا كلاً منها كنوع من أنواع علوم القرآن^(١). وفي هذا المبحث نذكر إجمالاً أبرز هذه الدلالات، ونعرض كلاً منها عرضاً موجزاً مع مثال يوضحه، وهي العام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمجمل والمبين، والمنطوق والمفهوم.

أولاً: العام والخاص^(٢):

العام: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له من غير حصر. أما الخاص: فهو قصر العام على بعض أفراده بدليل.

ومن صيغ العام: الأسماء الموصولة، مثل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر: ٧].

وأدوات الشرط نحو: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

والمعرف بالألف واللام غير العهدية، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾

[العصر: ٢] أي: كلّ إنسان، بدليل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [العصر: ٣].

وقد يأتي ما يخصّص العام وهو كثير، كقوله تعالى استثناءً من الآية السابقة في سورة

العصر: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [العصر: ٣].

وقد يكون المخصّص للقرآن من السنّة، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾

(١) ينظر -مثلاً- في كتاب الإتيان النوع الخامس والأربعون: في عامّه وخاصّه (٤/ ١٤١٢)، النوع السادس والأربعون: في مجمله ومبيّنه (٤/ ١٤٢٦)، النوع التاسع والأربعون: في مطلقه ومقيّده (٤/ ١٤٨٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٤/ ١٤١٢).

[البقرة: ٢٧٥]. «خَصَّ مِنْهُ الثَّبُوعُ الْفَاسِدَةُ وَهِيَ كَثِيرَةٌ بِالسُّنَّةِ»^(١).
وقد يبقى العامُّ على عُمومه دون تَخْصِيسٍ، وهو قَلِيلٌ في الأحكام الفرعية، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]^(٢).
وقد يُراد بالعامِّ الخصوصُّ، وهو قَلِيلٌ أيضاً، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]، والمراد بالناس هو الرسول ﷺ خاصة على أحد القولين، قال ابن كثير: «يعني بذلك: حَسَدَهُمْ [أي اليهود] النبي ﷺ على ما رَزَقَهُ الله من النُّبُوَّةِ العظيمة، ومنَعَهُمْ من تصديقهم إياه حَسَدَهُمْ له؛ لَكُونَهُ من العَرَبِ وليس من بني إسرائيل»^(٣).

ثانياً: المُطْلَقُ والمُقَيَّدُ:

المُطْلَقُ: ما دلَّ على الحقيقة بلا قيد.
والمُقَيَّدُ: ما دلَّ على الحقيقة بقيد.
مثال المطلق: قوله تعالى في كفارة الظَّهَارِ: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا﴾ [المجادلة: ٣]. فلفظ ﴿رَقَبَةٍ﴾ مطلق من أي قيد، فلو أعتق المظاهر رَقَبَةً على أي وصفٍ أجزأه سواء مؤمنة كانت أو كافرة.
ومثال المقيّد: قوله تعالى في كفارة قتل الخطأ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فلفظ ﴿رَقَبَةٍ﴾ في هذه مقيّد بالإيمان، وعليه لا تجزئ الرَقَبَةُ الكافرة في كفارة قتل الخطأ.
وهنا تأتي المسألة: هل يُحْمَلُ المُطْلَقُ في مسألة على المقيّد في مسألة أخرى؟
الجواب: إذا كان الحكم واحداً - كما هو الحال في هاتين الآيتين وهو الكفارة -، والسبب مختلفاً - وهو هنا الظَّهَارُ في الأولى، والقَتْلُ الخطأ في الثانية -؟ ففيه خلاف بين أهل العلم منهم من حمّل المطلق على المقيّد، ومنهم من منعه، وليس المقام لتفصيله.
أما إن اختلف سبب الحكم فالفقهاء متفقون على عدم حمل المطلق على المقيّد،

(١) ينظر: المرجع السابق (٤/١٤١٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٤/١٤١٤-١٤١٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٣٣٦). وينظر الخلاف في المسألة في تفسير الطبري (٧/١٥٥-١٥٨).

مثل : تقييد الأيدي بالمرافق في آية الوضوء ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] ، وإطلاقها في آية حد السرقة ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] .

ثالثاً: المُجْمَل والمُبيّن^(١) :

المُجْمَل : ما لم تتضح دلالته ، أو ما يتوقف فهم المراد منه على غيره ، والمُبيّن : ما يفهم المراد منه ، إما بأصل الوضع أو بعد التبيين^(٢) .

مثال المُجْمَل : قوله تعالى : ﴿مِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمُ﴾ [الفتح: ٧] . بيّنه قوله تعالى : ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] . وقد يقع التبيين بالسنة مثل : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ فقد بيّنت السنة أفعال الصلاة والحجّ ومقادير أنصبة الزكوات في أنواعها . رابعاً: المنطوق والمفهوم^(٣) :

المعاني والأحكام تُستفاد من الألفاظ باعتبار طرق دلالتها من أحد طريقين : منطوق اللفظ أو مفهومه . وفي ما يأتي بيان كلّ منهما :

المنطوق : المعنى المُستفاد من اللفظ من حيث النطق به .

فيفهمه السامع من دلالة اللفظ نطقاً ، وهو ينقسم إلى : نصّ وظاهر .

١- النصّ : هو ما لا يُحتمل من الألفاظ غير معنى واحد . مثاله : قوله تعالى : ﴿مَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، فدلالة الآية نصّ في وجوب صيام عشرة أيام لا أقل ولا أكثر ، ولا تحتمل معنى آخر .

٢- الظاهر : هو اللفظ المحتمل أمرين أو أكثر ، وهو في أحدها أرجح . مثاله : دلالة قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] على الوجوب ؛ فهو الظاهر لأن الأمر المطلق للوجوب ، وإن كان يحتمل غيره كالنّدب والإباحة .

(١) ينظر : الإتيان (٤/ ١٤٢٦) .

(٢) ينظر : الأصول من علم الأصول (ص ٤٦) .

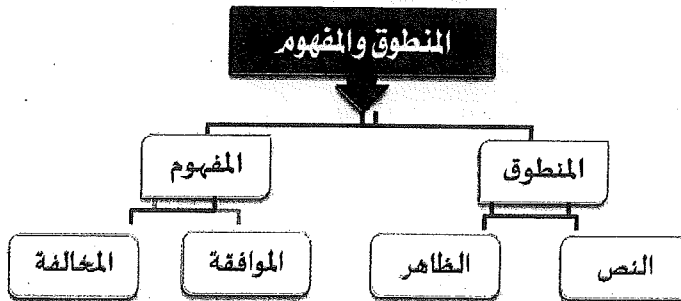
(٣) ينظر : علم الاستنباط من القرآن : المفهوم والمنهج (ص ١٢٣-١٣٠) .

المفهوم: هو المعنى المستفاد من اللفظ في غير محل النطق.
 فيفهمه السامع من دلالة المفهوم من اللفظ وليس من منطوقه، وهو ينقسم إلى:
 مفهوم موافقة ومخالفة.

١- مفهوم الموافقة: وهو: أن يكون حكم المسكوت عنه موافقاً للمنطوق. مثاله:
 دلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
 وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] على تحريم إتلاف أموالهم.
 وقد يكون المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق وهو المسمى «مفهوم الأولى».
 مثاله: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِّمَا أَقْنِي﴾ [الإسراء: ٢٣]، لما نهى عن «أقني» كان غيرها من
 الشتم والضرب أولى.

٢- مفهوم المخالفة: أن يكون المسكوت عنه مخالفاً للمنطوق في الحكم. وأكثر
 العلماء على الاحتجاج به، واشتروا للاحتجاج به شروطاً كثيرة، وله أنواع عديدة،
 وليس المقام لبسط ذلك.

مثاله: قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] فمنطوقه وجوب تحرير رقية
 مؤمنة في كفارة القتل الخطأ، ومفهومه عدم إجزاء تحرير رقية كافرة في ذلك.
 وفي قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ فَتَسَاقُكُوهُ هُنَّ سَاقَاتُ
 مَرِيئَاتٍ﴾ [النساء: ٤]، منطوقه إباحة ما طابت به نفس الزوجة من مهرها، ويفهم منه حرمة
 ذلك بغير طيب نفس منها.



سابعاً: علم أقسام القرآن

مفهوم القسم:

الأقسام جمع قَسَم، وهو لغة: الحلف واليمين. واصطلاحاً: رَبط النفس، بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنى مُعظم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً^(١).

فائدة القسم في القرآن:

القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده، وهو من عادات العرب وأساليبها إذا أرادت أن تؤكد أمراً^(٢). كما أن فيه فائدة في إظهار فضل المقسم به وتعظيمه، قال ابن القيم (ت: ٧٥١): «[وإقسامه [سبحانه] ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته»^(٣). صيغة القسم وأركانه^(٤):

الصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل «أقسم» أو «أحلف» متعدياً بالباء إلى المقسم به. ثم يأتي المقسم عليه، وهو جواب القسم، كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

وقد تدخل (لا) النافية على فعل القسم كقوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١]، وهي صلة لتأكيد القسم وليست لتنفيه، وقيل: إنها نافية لمحذوف يُناسب القسم، تقديره في الآية السابقة: لا صحة لما زعمتم أنه لا حساب ولا عقاب، ثم استأنف فقال: أقسم بيوم القيامة. وقيل: أن (لا) على ظاهرها لتفي القسم، كأنه قال: لا أقسم على أن يوم القيامة آتٍ، لأنه من الظهور بحيث لا يحتاج إلى قسم.

ولما كان القسم يكثر في الكلام، اختصر فصار فعل القسم يُحذف ويُكتفى بأداة القسم الباء، ثم عوض عن الباء بالواو أو التاء، أما التاء فاختصت بلفظ الجلالة، كقوله

(١) مباحث في علوم القرآن (ص ٣٠١).

(٢) الإتيان (١٩٤٥/٥).

(٣) التبيان في أيمان القرآن (ص ٥). وينظر: دراسات في علوم القرآن (ص ٤٣٣).

(٤) التبيان في أيمان القرآن (ص ٧)، مباحث في علوم القرآن (ص ٣٠٢).

العِبَاد بغير الله ضَرَبَ من الشُّرك، لقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بغير الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(١). وقد يتعدَّد المقسَم به في القرآن ويكون جواب القسم واحداً، كما في الآيات السابقة من سورة التين، وكذا مطلع سورة الطور، والليل، وغيرها، كذلك قد يتعدَّد جواب القسم، وقد يتعدَّد المقسَم به وجواب القسم معاً كما في مطلع سورة الشمس. المُقسَم عليه (جواب القسم):

والمُقَسَم عليه أو جواب القسم هو الذي يُراد توكيده، أو تعظيمه، أو التنبية على ما فيه من عِظَاتٍ وَعِبرٍ، ونَفْعٍ أو ضَرَرٍ.

- وقد أقسَم الله ﷻ في كتابه العزيز على أمورٍ كثيرة تَرَجع في جُمْلتها إلى أمرين^(٢): الأول: أصول الإيمان التي يَجِب على الخَلْق معرفتها. والثاني: حال الإنسان.

فالأول كقوله تعالى: ﴿وَالصَّغَفَاتِ صَفَاً﴾ ١ ﴿فَالرَّجَرَتِ زَجْراً﴾ ٢ ﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْراً﴾ ٣ ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ١ - ٤]. وقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [س: ١ - ٣]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ ٧٥ ﴿وَإِنَّهُ لَفَسَسْتُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ٧٦ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَالذَّارِبِ ذَرَوْكَ﴾ ١ ﴿فَالْحَدِيدِ وَفَرَكَ﴾ ٢ ﴿فَالْجُرَيْتِ يُسْرَكَ﴾ ٣ ﴿فَالْمُصَدِّتِ أَمْرًا﴾ ٤ ﴿إِنَّمَا وَعْدُونَ صَادِقٌ﴾ ٥ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفِعَ﴾ [الذاريات: ١ - ٦].

وأما القسم على أحوال الإنسان فكقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ١ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ٢ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٣ ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَيْءٌ﴾ [الليل: ١ - ٤] الآيات، ونحوها سورة العصر ومطلع سورة البلد، والتين، والعاديات.

وقد يُحذف جواب القسم لكونه ظَهَر وَعُرِفَ، قال ابن القيم (ت: ٧٥١): «وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسَم به ما يدلُّ على المقسَم عليه، وهي طريقة القرآن، فإن المقصود يحصل بذكر المقسَم به فيكون حذف المقسَم عليه أبلغ وأوجز، ... فمن هذا قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١] فإن في المقسَم به من تعظيم القرآن

(١) أخرجه أبي داود (٢٢٣/٣)، والترمذي (١١٠/٤) وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في

السلسلة الصحيحة (٦٩/٥) (٢٠٢٤).

(٢) التبيان في أيمان القرآن (ص ٨-١٣).

ووصفه بأنه ذي الذكر ... ما يدل على المقسم عليه وكونه حقاً من عند الله غير مفترى كما يقوله الكافرون ، وهذا معنى قول كثير من المفسرين: إن الجواب محذوف ، تقديره: إن القرآن لحقّ ، وهذا مُطَرَّد في كلِّ ما شابه ذلك»^(١).

أنواع القسم:

القسم نوعان^(٢): ظاهر ، ومضمّر:

١- الظاهر: ما صرّح فيه بفعل القسم والمقسم به ، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم: ٦٨] ، أو ما حُدِف فيه فعل القسم اكتفاءً بوجود أداة القسم الواو أو التاء كقوله: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُفْرٌ﴾ [العصر: ١ - ٣] .

٢- المضمّر: هو ما لم يُصرّح فيه بفعل القسم والمقسم به ، ويدلّ عليه اللام الموطئة للقسم التي تدخل على جواب القسم كقوله تعالى: ﴿تَتَّبِعُونَ فِي أُمُورِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦] ، أي: والله لتتبعون.

المؤلفات في أقسام القرآن:

اعتنى المفسّرون بالأقسام الواردة في القرآن وبيّنوا أسلوب القسم وجوابه وآثره في المعنى أثناء تفسيرهم لكتاب الله ، كذلك أوردّه المصنّفون في كتب علوم القرآن كنوع منها ، كالسيوطي في «النوع السابع والستون: في أقسام القرآن»^(٣) . كما أفردّها آخرون بالتأليف ، ومن أبرز تلك المؤلفات:

١- التّبيان في إيمان القرآن^(٤) ، لابن قيّم الجوزية (ت: ٧٥١) .

٢- الإيمعان في أقسام القرآن ، لعبد الحميد الفراهي (ت: ١٣٤٩) .

(١) التبيان في إيمان القرآن (ص ١٤ ، ١٥) ، بتصرف يسير .

(٢) ينظر: البرهان (١٢٣/٣) ، الإتيقان (١٩٤٩/٥ - ١٩٥١) .

(٣) الإتيقان (١٩٤٥/٥ - ١٩٥١) .

(٤) اشتهر بعنوان «التّبيان في أقسام القرآن» وطُبع طبعات عديدة بذلك ، وما تقدّم أعلاه هو العنوان الذي سُمّي به المؤلف كتابه في مقدمته . ينظر مقدمة تحقيق د . عبد الله البطاطي للكتاب (ص ٢٩) .

ثامناً: علم أمثال القرآن

مفهوم أمثال القرآن:

الأمثال: جمع مثل، والمثل والمثيل والشبه والشبيه لفظاً ومعنى^(١).
- والمثل: عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليُبين أحدهما الآخر ويصوره. نحو قولهم: الصَّيف ضَيَّعَت اللَّبَنُ^(٢)، فإنَّ هذا القول يشبه قولك: أَهْمَلْتَ وقت الإمكان أَمْرَكَ.

والمثل في القرآن: هو إبراز المعنى في صورة رائعة مُوجِزة لها وَقَعها في النَّفس، سواء أكانت تشبيهاً أو قولاً مُرسَلاً^(٣).

أنواع الأمثال في القرآن^(٤):

الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأمثال المصَّرحَة. وهي الأمثال التي يُصرَّح فيها بلفظ (المثل) أو ما يدلُّ على التشبيه، وهي كثيرة في القرآن:

فمن أمثلة التصريح بلفظ المثل قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَرْدٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

ومثال التصريح بالتشبيه، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَمَرْبٍ يَبْقِعَةٌ يُحْسِبُهُ الظُّلُمَاتُ مَاءً حَيًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [التور: ٣٩].

النوع الثاني: الأمثال الكامنة: وهي الأمثال التي لا يُصرَّح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها

(١) مختار الصحاح (ص ٢٩٠)، القاموس المحيط (ص ١٠٥٦).

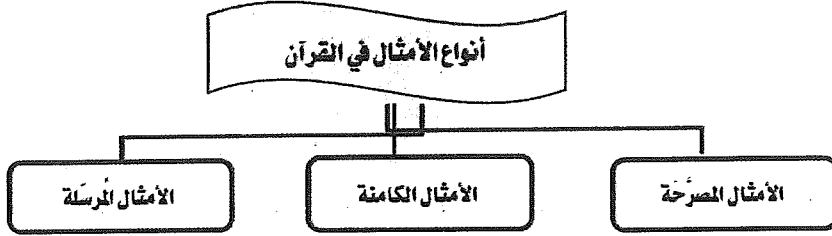
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص ٧٥٩).

(٣) مباحث في علوم القرآن (ص ٢٩٢).

(٤) ينظر: البرهان (١/ ٤٨٦)، الإتيان (٦/ ١٩٣٦)، مباحث في علوم القرآن (ص ٢٩٢).

تدلّ على معاني تمثيلية بإيجاز ، وآيات هذا النوع غالباً ما تكون قريبة الصلة بمعاني أمثالٍ سائرة معروفة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧] ، وهو في معنى قولهم : خير الأمور الوسط ، وقوله تعالى : ﴿ قَالَ أُولَئِكَ ثُمُورٌ ﴾ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ لَيْطَمِينَ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ، هو في معنى قولهم : ليس الخبر كالمعاينة .

النوع الثالث : الأمثال المرسلة : وهي آيات من القرآن جرت مجرى المثل من غير تصريح بلفظ التشبيه ، مثل قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيزة : ﴿ أَفَلَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ [يوسف: ٥١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٣] ، ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم: ٥٨] ، ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [التوبة: ٩١] .



فوائد ضرب الأمثال في القرآن^(١) :

القرآن مليء بضرب الأمثال ، ومن أبرز فوائد وحكم ذلك :

- ١ - إظهار المعنى المعقول وتقريبه في الأذهان في صورة محسوسة يلمسها الناس فيقبله العقل . كقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى كَأَلَدَىٰ يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤] .
- ٢ - الترغيب ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

(١) ينظر : البرهان (١ / ٤٨٦) ، الإنتقان (٦ / ١٩٣٣ - ١٩٣٥) ، مباحث في علوم القرآن (ص ٢٨٧) .

٣- التَّنْفِير، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

٤- العِظَةُ والعِبْرَةُ والذِّكْرَى، قال تعالى: ﴿وَذَلِكَ الْأَمَثَلُ نَضْرِبُهُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].
أمثال القرآن في كتب علوم القرآن والمصنّفات فيها:

أورد المصنّفون أمثال القرآن كنوع من علوم القرآن، كالزركشي في «النوع الحادي والثلاثون: معرفة الأمثال الكائنة فيه»^(١)، والسيوطي في «النوع السادس والستون: في أمثال القرآن»^(٢).

كما صنّف فيه جَمْع من المتقدمين والمتأخرين، من ذلك^(٣):

- ١- الأمثال القرآنية، للماوردي (ت: ٤٥٠).
- ٢- الأمثال في القرآن الكريم، لابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (ت: ٧٥١)^(٤).
- ٣- أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، لعبد الرحمن حَبَنَكَة المِيدَانِي (ت: ١٤٢٥).
- ٤- الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر فياض.
- ٥- موسوعة الأمثال القرآنية، د. محمد عبد الوهاب عبد اللطيف.



(١) البرهان (١/٤٨٦).

(٢) الإقتان (٦/١٩٣٢-١٩٤٤).

(٣) ينظر: دراسات في علوم القرآن (ص ٥٩٣)، علوم القرآن بين البرهان والإقتان (ص ٢٨٨).

(٤) والكتاب مطبوع، وهو في الأصل مستل من كتاب إعلام الموقعين، للمؤلف.

تاسعاً: علم قصص القرآن

مفهوم قصص القرآن:

القَصُّ لُغَةً: تَتَّبِعُ الْأَثَرَ. قال تعالى: ﴿فَارْتَدَّ عَلَیْهِمُ آثَارُهَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه يُقَصِّانِ الأثر ويتتبعانه^(١). ونحوه قوله تعالى على لسان أم موسى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه﴾ [القصص: ١١]، أي: تتبعي أثره. ومن ذلك: القصة والقصص، لأنها أخبار تُتَّبَعُ وتُذَكَّر^(٢).

وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنُّبُوت السابقة، والحوادث الواقعة^(٣).

أنواع القصص في القرآن:

قصص القرآن على نوعين:

النوع الأول: قصص السابقين: وهي قسمان:

(أ) قصص الأنبياء: تضمّنت دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، وعاقبتهم، وكذلك عاقبة المؤمنين، كقصة نوح مع قومه، وهود مع قومه عاد، وصالح مع قومه ثمود، وموسى مع فرعون، ومحمد مع كفار قريش، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

(ب) قصص السابقين من غير الأنبياء، كقصة ابني آدم، وأهل الكهف، وذو القرنين، وقارون، وأصحاب السَّبْت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل، وغيرهم.

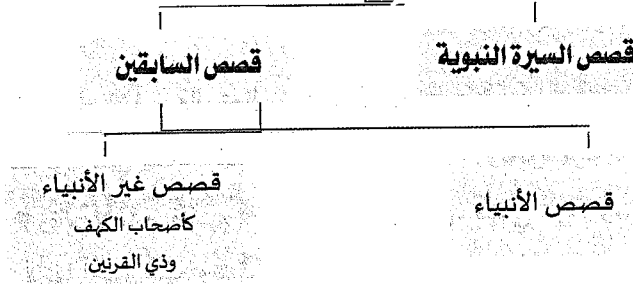
النوع الثاني: قصص السيرة النبوية والأحداث الواقعة في زمن الرسول ﷺ، خصوصاً المغازي كغزوة بدر وأحد والأحزاب وحنين وتبوك.

(١) القاموس المحيط (ص ٦٢٧).

(٢) مقاييس اللغة (١١/٥).

(٣) مباحث في علوم القرآن (ص ٣١٦).

أنواع القصص في القرآن



فوائد قصص القرآن:

للقصص القرآني فوائد كثيرة لعل من أهمها^(١):

- ١- تثبيت فؤاد الرسول ﷺ، وأمتة من بعده، قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِي بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].
- ٢- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بُعث بها كل نبي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].
- ٣- إظهار صدق نبينا محمد ﷺ في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال، مع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجالس الأقوام الآخرين.
- ٤- العظة والعبرة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

خصائص القصص القرآني ومزاياه:

للقصة القرآنية خصائص ومزايا عديدة، منها^(٢):

(١) مباحث في علوم القرآن (ص ٣١٨)، دراسات في علوم القرآن (ص ٦٠٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص ٦١٠).

١- أنها ربانيّة المصدر: فالقصة القرآنية تبعاً للقرآن كله كلام الله ﷻ ، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

٢- أنها حقيقة لا خيال: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]. ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣]. وهذا بخلاف قصص الأدب الإنساني التي تنزع إلى الخيال، وتعتمد على الغرائب المجانبة للواقع.

٣- الإعجاز الغيبي: بحكاية أخبار السابقين واللاحقين وغيرهم، وقد تقدّم أنه من أوجه إعجاز القرآن.

٤- التكرار: مما تميّز به كثير من قصص القرآن تكرّر ورودها في عدّة مواضع، مع عرضها في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك. ولذلك حكم عظيمة وفوائد جليّة، من أبرزها^(١):

١- قوّة الإعجاز البياني: قال الزركشي: «كرّر ذكر القصة في مواضع إعلماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأيّ نظم جاؤوا، وبأي عبارة عبّروا»^(٢).

٢- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها: قال الباقلاني: «إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة، تؤدّي معنى واحداً من الأمر الصعب، الذي تظهر به الفصاحة، وتبيّن به البلاغة»^(٣).

٣- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبّرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون.

٤- اختلاف الغاية التي تُساق من أجلها القصة، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معاني أخرى في مقامات أخرى حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

(١) ينظر: الإنقاذ (٥/ ١٦٥٤)، مباحث في علوم القرآن (ص ٣١٨).

(٢) البرهان (٣/ ٢٧).

(٣) إعجاز القرآن (ص ٦١).

المؤلفات في قصص القرآن:

اعتنى أهل العلم بقصص القرآن، وأفرده البعض بمؤلفات خصوصاً المعاصرين، منها:

١- قصص القرآن الكريم، لمحمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد جاد المولى، وعلى البجاوي.

٢- قصص القرآن الكريم، أ.د. فضل حسن عباس (ت: ١٤٣٢).

٣- المستفاد من قصص القرآن، أ.د. عبد الكريم زيدان (ت: ١٤٣٦).

٤- القصص القرآني، أ.د. صلاح الخالدي.

ومن أشهر كتب المتقدمين وأوسعها انتشاراً: كتاب «قصص الأنبياء» لابن كثير (ت: ٧٧٤)، وهو في الأصل مستل من كتابه «البداية والنهاية».



عاشراً: علم الجدل في القرآن الكريم

مفهوم الجدل:

الجدل لغة: اللّد في الخصومة والقُدرة عليها، أصله من جدَلْتُ الحبل: أي أحكمتُ قتلته، فكان المتجادلين يفتل كل واحد منهما الآخر على رأيه^(١). واصطلاحاً: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم^(٢). وجدل القرآن: هو براهينه وأدلته التي اشتمل عليها وساقها لهداية الكافرين وإلزام المعاندين في جميع ما هَدَف إليه من المقاصد في أصول الشريعة وفروعها^(٣). والغرض من الجدل^(٤): إلزام الخصم وإفهام من هو قاصر عن إدراك مقدّمات البرهان.

وهناك ألفاظ مرادفة للجدل: كالمناظرة، والمحاورة، والمناقشة، والمباحثة، وهي قريبة بعضها من بعض^(٥). حكم الجدل وأنواعه^(٦):

وردت نصوص من الكتاب والسنة بعضها يأمر بالجدال وبعضها ينهى عنه، وهذا يعود لنوع الجدال، لأن نصوص القرآن والسنة الصحيحة لا تتعارض في حقيقة الأمر. ومن هنا نقول الجدال نوعان بحسب الحكم: ١ - جدال محمود ٢ - جدال مذموم. فالجدال الم محمود: هو كل جدال يُدّ الحَقُّ أو أفضى إليه بِنِيَّة خالصة وطريق صحيح،

(١) لسان العرب (١٠٥/١١). وينظر: دراسات في علوم القرآن، أ.د. زاهر الألمعي (ص ١١٧).

(٢) مناهج الجدل في القرآن الكريم (ص ٢٤).

(٣) المرجع السابق (ص ٢٥).

(٤) دراسات في علوم القرآن، أ.د. فهد الرومي (ص ٥٨١).

(٥) مناهج الجدل في القرآن الكريم (ص ٢٩).

(٦) دراسات في علوم القرآن، أ.د. زاهر الألمعي (ص ١١٨).

كجدال الأنبياء وأتباعهم، لئصرة الحق وإزهاق الباطل بالحجة والبرهان. ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَدِّثْهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

والجدال المذموم: هو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه، كجدال الكفار وأهل الأهواء والبدع والمراء. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

طُرُق الاستدلال والجدال في القرآن^(١):

الاستدلال القرآني إما بسوق الأدلة ابتداءً، مثل ما يذكره الله تعالى من الآيات الكونية المتضمنة الأمر بالتفكير والتدبر لمعرفة الخالق وتوحيده، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

أو بما يردُّ به على الخصوم والمعاندين، وهو الذي يحصل به الجدال كما تقدَّم في تعريفه، وله طُرُق كثيرة في القرآن، منها:

١- قياس التمثيل: بأن يقيس المستدلُّ دعواه على أمر معروفٍ عند المخاطب، أو أمر بدهيٍّ لا تنكره العقول، كالاستدلال بالمبدأ على المعاد والبعث، في مثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ﴿أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِنْ مَيِّ يَمْنَى﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فَخْلٍ فَسْوَى﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُ زَوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠]. أو الاستدلال بالمخلوقات الأخرى على قُدرة الخالق على بعث الموتى وإعادتهم، وكلا الاستدلاليَّين تجده في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَسَى خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٧٨ - ٨١].

(١) ينظر: الإنفاق (١٩٥٩/٥-١٩٦٢)، مباحث في علوم القرآن (ص ٣٠٣)، مناهج الجدال في القرآن الكريم (ص ٧١-٩١)، دراسات في علوم القرآن، أ.د. فهد الرومي (ص ٥٨٧-٥٩٢).

وكثيراً ما يأتي فيه الخطاب بأسلوب الاستفهام التّقريرى: وهو تقرير المخاطب بطريق الاستفهام عن الأمور التي يُسَلَّم بها الخصم وتُسَلَّم بها العقول حتى يعترف بما يُنكره، وهو من أحسن الطُّرُق في الجدل لأنه يُستَرَط في الجدل أن يُسَلَّم الخصم بالمقدمات. ومن أمثلته الآية الأخيرة من آيات سورة «يس» السابقة، وكذلك آيات سورة القيامة المتقدّمة.

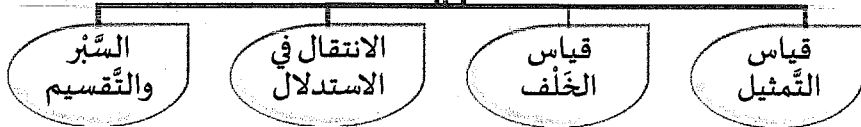
٢- قياس الخُلف: وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه ، وذلك لأن النقيضان لا يجتمعان ، ولا يخلو المحلّ من أحدهما ، ويسمّى دليل التّمانع . مثاله : قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فثبت أنه لا إله إلا الله لعدم وجود الفساد فيهما . مثال آخر : قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبُيُوتُ يُقْرَأُ فِيهَا الْحَمْدُ وَلَهُ الْعِزَّةُ الْأُولَىٰ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْيَوْمُ الْأَوَّلُ قَدْ فُتِحَ لَهُ الْبُيُوتُ يُقْرَأُ فِيهَا الْحَمْدُ وَلَهُ الْعِزَّةُ الْأُولَىٰ﴾ [النساء: ٨٢] ، فثبت أنه من عند الله لعدم وجود الاختلاف .

٣- الانتقال في الاستدلال: وذلك بأن ينتقل المستدلُّ من دليل يُغالط فيه الخصم أو لم يفهمه إلى دليل آخر يُفهم الخصم ويقطع حجته، مثل مُجادلة إبراهيم عليه السلام للتمروذ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾، وذلك بأن دعا بمن وجب عليه القتل فعفا عنه، ومن لا يجب عليه فقتله، فعلم إبراهيم عليه السلام أنه لم يفهم معنى الإحياء أو الإماتة أو يُغالط بذلك الفعل، فانتقل عليه السلام إلى استدلال ينقطع به التمرود ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٤- السَّبَرُ وَالتَّقْسِيمُ: وذلك بِحَضْرِ أوصاف الموضوع الذي يجادل فيه ، ثم يُردّ عليها وَيُبْطِلُ كل وَصْفٍ من هذه الأوصاف ، فَيَبْطُلُ دعوى الخصم عن طريق هذا الحَضْر المنطقي للموضوع . مثاله : «قوله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور : ٣٥] ، كأنه تعالى يقول : لا يَخْلُو الأمر من واحدةٍ من ثلاث حالات بالتَّقْسِيمِ الصَّحِيحِ . الأولى : أن يكونوا خُلِقُوا من غير شيءٍ أي بدون خالق أصلاً . الثانية : أن يكونوا خَلَقُوا أنفسهم . الثالثة : أن يكون خَلَقَهُمْ خالقٌ غير أنفسهم . ولا شكَّ أن القِسْمَيْنِ الأوَّلَيْنِ باطلان ، وبُطْلانُهُما ضروريٌّ كما ترى ، فلا حاجة إلى إقامة الدليل عليه لوضوحه . والثالث : هو

الحقّ الذي لا شكّ فيه ، وهو جلّ وعلا خالقهم المستحقّ منهم أن يعبدوه وخذّه جلّ وعلا»^(١).

أبرز طرق الاستدلال والجدل في القرآن



المؤلفات في جدل القرآن:

أورد المصنّفون في كتب علوم القرآن جدل القرآن كنوع من علومه، كالزركشي في «النوع الثالث والثلاثون: في معرفة جدله»^(٢)، والشيوطي في «النوع الثامن والستون: في جدل القرآن»^(٣). كذلك أفرد بمصنّفات منها:

- ١- استخراج الجدل من القرآن، لعبد الرحمن بن نجم ابن الحنبلي (ت: ٦٣٤).
- ٢- مناهج الجدل في القرآن الكريم، أ.د. زاهر الألمعي.



(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٤٩٤). وينظر أمثلة أخرى في نفس الموضوع.

(٢) البرهان (٢/ ٢٤).

(٣) الإتيقان (٥/ ١٩٥٤ - ١٩٦٢).

خلاصة الفصل السادس (علوم لغة القرآن وأساليبه)

أولاً: علم غريب القرآن

- ١ / غريب القرآن: هو كلمات القرآن الغامضة المعنى.
- ٢ / الألفاظ القرآنية نوعان كُليان: الأول: ما له معنى واحد، الثاني: ما له أكثر من معنى.
- ٣ / يعود تفسير ألفاظ القرآن إلى عهد النبي ﷺ الذي كان يفسر لصحابته ما احتاجوا إليه، كما كان للصحابة من بعده اعتناء به، أما تدوينه فقد كان قديماً منذ عهد أتباع التابعين.
- ٤ / انتهج المؤلفون في هذا العلم طريقتين في الترتيب: الأولى: الترتيب وفق ترتيب سور القرآن، الثانية: الترتيب على الحروف الهجائية.

ثانياً: علم الوجوه والنظائر في القرآن

- ١ / الوجوه في القرآن: المعاني المختلفة للفظ القرآنية في مواضعها من القرآن، والنظائر: المواضع القرآنية المتعددة للوجه الواحد التي اتفقت فيها معنى اللفظ.
- ٢ / نشأ هذا العلم ودون في القرن الثاني الهجري، حيث صنف فيه مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠) كتابه «الوجوه والنظائر في القرآن»، وهو أول من صنف فيه فيما يظهر.

ثالثاً: علم المعرب في القرآن

- ١ / المعرب في القرآن: هو ما وقع في القرآن بغير لغة العرب.
- ٢ / اختلف في وقوع المعرب في القرآن على قولين: الأول: عدم وقوعه في القرآن. الثاني: وقوعه في القرآن. وجمع بين القولين بأن هذه الأخرى أصولها أعجمية، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها فصارت عربية.

رابعاً: علم إعراب القرآن

- ١ / هو علم يبحث في تخريج تراكيب القرآن على القواعد النحوية المحررة.
- ٢ / كان علم إعراب القرآن مندرج ضمن كتب معاني القرآن، ثم أُفرد بتصانيف مستقلة.
- ٣ / كتب التفسير على ثلاثة أنواع من حيث اعتنائها بالإعراب: الأول: ما لم يَغتنِ بالمسائل النحوية إلا ما نذر. الثاني: ما اعتنى بالإعراب مقتصرًا على ما له أثر في بيان المعنى، الثالث: ما كان مشحونًا بالمسائل النحوية.
- ٤ / ذكر أهل العلم شروطاً وأداباً يجب على مُعرب القرآن مراعاتها أثناء الإعراب.

خامساً : علم بلاغة القرآن

١ / ٥ البلاغة القرآنية: مطابقة القرآن لمقتضى الحال غاية المطابقة؛ بأتم ما يكون من البيان.

٢ / ٥ أساس نشأة علم البلاغة هو القرآن الكريم، ثم كانت بداياته مسائل منثورة في كتب معاني القرآن وغريبه وإعجازه، حتى جاء عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١) فجمع متفرقات هذا العلم في كتابه (دلائل الإعجاز)، و(أساس البلاغة)، ثم سار الرّمخسري (ت: ٥٤١) على نهجه في بيان الأسرار البلاغية وتطبيقاتها في القرآن الكريم في تفسيره الكشاف.

٣ / ٥ علوم البلاغة ثلاثة: علم المعاني، والبيان، والبديع، وقد ظهرت تطبيقاتها على التفسير. ٤ / ٥ علم المعاني: هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال، وعلم البيان: هو علم يُعرف به كيفية إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، وعلم البديع: هو علم تُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته.

سادساً : دلالات ألفاظ القرآن

١ / ٦ من دلالات ألفاظ القرآن: العام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمجمل والمبين، والمنطوق والمفهوم.

٢ / ٦ العام: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له من غير حصر. أما الخاص: فهو قصر العام على بعض أفرادهِ بدليل. ومن صيغ العام: الأسماء المؤصولة وأدوات الشرط والمعرف بالألف واللام غير العهدية.

٣ / ٦ المطلق: ما دلّ على الحقيقة بلا قيد، والمقيّد: ما دلّ على الحقيقة بقيد. المجمل: ما لم تتضح دلالته، أو ما يتوقف فهم المراد منه على غيره، والمبين: ما يفهم المراد منه، إما بأصل الوضع أو بعد التبيين.

٤ / ٦ المنطوق: المعنى المستفاد من اللفظ من حيث النطق به. وينقسم إلى: نص وظاهر. والمفهوم: هو المعنى المستفاد من اللفظ في غير محلّ النطق. وينقسم إلى: مفهوم موافقة ومخالفة.

٥ / ٦ مفهوم الموافقة: وهو: أن يكون حكم المسكوت عنه موافقاً للمنطوق، مفهوم المخالفة: أن يكون المسكوت عنه مخالفاً للمنطوق في الحكم.

سابعاً: علم أقسام القرآن

١/٧ القسم، وهو الحلف واليمين. وهو زبط النفس، بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنى مُعْظَم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً.

٢/٧ القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده.

٣/٧ أركان القسم ثلاثة: فعل القسم، أو أداة القسم التي تنوب عنه، والمقسم به، وجواب القسم.

٤/٧ الله أن يخلف بما شاء سبحانه، أما العباد فليس لهم أن يخلفوا إلا بالله.

٥/٧ أقسم الله -جل شأنه- في كتابه العزيز على أمور كثيرة تزجج في جملتها إلى أمرين: الأول: أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها، والثاني: حال الإنسان.

٦/٧ القسم نوعان: ظاهر، ومضمّر.

ثامناً: علم أمثال القرآن

١/٨ المثل في القرآن: هو إبراز المعنى في صورة رائعة مُوجِزة لها وقعها في النفس، سواءً أكانت تشبيهاً أو قولاً مُرسلاً.

٢/٨ الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع: الأمثال المصروفة، والأمثال الكامنة، والأمثال المرسلة.

٣/٨ من أبرز فوائد ضرب الأمثال في القرآن: إظهار المعنى المعقول وتقريبه في الأذهان، والترغيب، والتنفير، والعظة والعبرة والدكرى.

تاسعاً: علم قصص القرآن

١/٩ قصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنّبوات السابقة، والحوادث الواقعة

٢/٩ قصص القرآن على نوعين: النوع الأول: قصص السابقين: وهي قسمان: قصص الأنبياء، وقصص غير الأنبياء، النوع الثاني: قصص السيرة النبوية.

٣/٩ من فوائد قصص القرآن: تثبيت فؤاد الرسول ﷺ، وأُمَّته، وإيضاح أسس الدّعوة إلى الله، وإظهار صِدْق نبيّنا محمد ﷺ، والعظة والعبرة.

٤/٩ من خصائص قصص القرآن: أنها ربّانيّة المصدر، أنها حقيقة لا خيال، الإعجاز الغيبي، التكرار.

عاشراً: علم الجدل في القرآن الكريم

- ١/١٠ جدل القرآن: هو براهينه وأدلته التي اشتمل عليها وساقها لهداية الكافرين وإلزام المعاندين في جميع ما هُذِفَ إليه من المقاصد في أصول الشريعة وفروعها.
- ٢/١٠ الجدال نوعان بحسب الحكم: ١- جدال محمود، ٢- جدال مذموم.
- ٣/١٠ الجدال المحمود: هو كل جدال أيد الحق أو أفضى إليه بنية خالصة وطريق صحيح، والجدال المذموم: هو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه.
- ٤/١٠ من طرق الجدال في القرآن: قياس التمثيل، قياس الخلف، الانتقال في الاستدلال، السبر والتقسيم.
- ٥/١٠ للجدل آداب منها: اللين في القول وتجنب السخرية والاستهزاء والسب واللعن، البُعد عن التعصب، قبول الدليل الصحيح وتجنب المكابرة.

أسئلة تقويمية

- ١- عرّف بعلم غريب القرآن.
- ٢- تحدّث عن أهمية علم غريب القرآن مع التعليل.
- ٣- ما أقسام الألفاظ القرآنية؟
- ٤- تحدّث عن نشأة علم غريب القرآن وتدوينه، مع ذكر ٣ مؤلفات.
- ٥- للمؤلفين في غريب القرآن طريقتان في الترتيب. اذكرهما مع التمثيل.
- ٦- وضح مفهوم الوجوه والنظائر في القرآن مع التمثيل.
- ٧- تحدّث عن نشأة علم الوجوه والنظائر وأبرز مؤلفاته.
- ٨- بين معنى المُعرَّب في القرآن.
- ٩- هل وقع المُعرَّب في القرآن؟ ناقش المسألة مع ما تراه راجحاً.
- ١٠- عرّف بالإعراب، ثم وضح معنى إعراب القرآن.
- ١١- تحدّث عن نشأة علم إعراب القرآن، مع ذكر أنواع الكتب المعنية بذلك.
- ١٢- اذكر ٤ من شروط إعراب القرآن وآدابه.
- ١٣- اختلفت مناهج المؤلفين في إعراب القرآن، بيّن ذلك مع التمثيل.
- ١٤- بيّن معنى البلاغة القرآنية.

- ١٥- اشرح علاقة علم البلاغة بالقرآن وعلومه.
- ١٦- عرّف بعلم البلاغة موضحاً أبرز وجوهها في القرآن مع التمثيل.
- ١٧- عرّف مع ذكر مثال من القرآن كلاً من: العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والمنطوق والمفهوم.
- ١٨- ما أبرز صيغ العام مع التمثيل لذلك.
- ١٩- لكل من المنطوق والمفهوم قسمان، اذكرها مع التعريف والتمثيل.
- ٢٠- ما المراد بالقسم؟ وما فائدته؟
- ٢١- ما صيغة القسم؟ وما أركانه؟
- ٢٢- وضح المُقسّم به في القرآن.
- ٢٣- أقسم الله في كتابه على أمورٍ تُرجع في جملتها إلى أمرين، اذكرهما مع التمثيل.
- ٢٤- ما أنواع القسم؟ اذكر مثالا لكل قسم.
- ٢٥- ما أبرز المؤلفات في أقسام القرآن.
- ٢٦- بين المراد بالمثل في القرآن.
- ٢٧- اذكر أنواع الأمثال في القرآن مع نموذج لكل منها.
- ٢٨- ما الفائدة من ضرب الأمثال في القرآن؟
- ٢٩- وضح اعتناء العلماء بأمثال القرآن في مؤلفاتهم.
- ٣٠- ما المراد بقصص القرآن؟ وما أنواعها؟
- ٣١- ما الفائدة من ذكر القصص في القرآن؟
- ٣٢- للقصّة القرآنية خصائص ومزايا عديدة. اذكر ٣ منها.
- ٣٣- تكرر القصص في القرآن حكماً عظيمة، اذكر ٣ منها.
- ٣٤- وضح اعتناء أهل العلم بقصص القرآن.
- ٣٥- اشرح المراد بجدل القرآن.
- ٣٦- ما حكم الجدل؟
- ٣٧- للقرآن في الجدل طرق كثيرة اذكر ٣ منها مع التمثيل.
- ٣٨- من أحسن طرق الجدل الاستفهام التقريري، وضح ذلك.
- ٣٩- للجدل آداب وقواعد ينبغي للمسلم أن يتأدّب بها، اذكر أهمها.
- ٤٠- اعتنى أهل العلم بموضوع الجدل في القرآن، بين ذلك.

أسئلة إثرائية

- ١- وازن بين كتابي «غريب القرآن» لابن قتيبة، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.
- ٢- اذكر العرب في سورة الإنسان مع بيان اللغات المنقولة عنها.
- ٣- من خلال ما درست تجد ان لمقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠) الأولية في التأليف في عدد من علوم القرآن. اذكرها.
- ٤- راجع إعراب سورة الفلق في كل من: معاني القرآن للفراء، تفسير الطبري، التبيان للعكبري، البحر المحيط لأبي حيان. ثم وازن بينها.
- ٥- راجع تفسير ابن عاشور واستخرج النكات البلاغية من تفسيره لسورة الناس.
- ٦- اقرأ سورة الذاريات واستخرج ما يلي:
- الأقسام الموجودة مع بيان: أركان القسم في كل منها مع توضيحه، ما كان ظاهراً منها أو مضمراً.
- القصص المذكورة مع بيان نوعها، وفوائدها.
- ٧- اقرأ سورة الجمعة واستخرج منها ما يلي:
- الأمثال مع بيان أنواعها.
- أساليب الجدل.



فهارس الكتاب

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع

أولا: الكتب

- ١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- ٢- أخلاق حملة القرآن، أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- ٣- استدراقات على تاريخ التراث العربي (قسم التفسير)، أ.د. حكمت بشير ياسين، دار ابن الجوزي: الدمام، ط١: ١٤٢٢هـ.
- ٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ٥- أسماء القرآن الكريم وأسماء سورة وآياته، د. آدم بمبا، مركز جمعة الماجد، دبي، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- ٦- أسماء سور القرآن وفصائلها، د. منيرة محمد ناصر الدوسري، دار ابن الجوزي: الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ٧- الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، طبعة عام ١٤٢٦هـ..
- ٨- أعضاء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر- بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٩- الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية في الإعجاز العلمي، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٣٣هـ.
- ١٠- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- ١١- الأم، محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، دار المعرفة- بيروت، د. ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ١٢- الانتصار للقرآن، القاضي أبي بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح للنشر والتوزيع، دار ابن حزم بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ١٣- أنواع التّصنيف المتعلّقة بتفسير القرآن، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢: ١٤٢٣هـ.
- ١٤- أوائل ترجمات معاني القرآن الكريم في اللّغات الأوروبية، محمد همام فكري. مكتبة التراث

- العربي والإسلامي، قطر، ٢٠١١م.
- ١٥- إيضاح التلخيص، الخطيب القزويني، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٩م.
- ١٦- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ١٧- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، ط٤، ١٤١٩هـ.
- ١٨- بحوث في تاريخ السنة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ.
- ١٩- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
- ٢٠- البرهان في متشابه القرآن (أسرار التكرار في القرآن)، محمود بن حمزة الكرماني (ت: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار النشر: دار الفضيلة. د.ن.
- ٢١- بصائر ذوي التمييز، مجد الدين الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- ٢٢- البيان في عدّ آي القرآن: عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط١: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ٢٣- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ٢٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- ٢٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٦- تاريخ المدينة، عمر بن شبة، تحقيق: فهم شلتوت، طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، جدة، ١٣٩٩هـ.
- ٢٧- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.
- ٢٨- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، شرح وتعليق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ.
- ٢٩- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- ٣٠- التبيان في إيمان القرآن، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ضمن آثار ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (١٤). تحقيق: د. عبد الله البطاطي، دار عالم الفوائد، مكة، ط ٣، ١٤٣٨هـ.
- ٣١- التحبير في علم التفسير، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: د. فتحي عبد القادر، دار العلوم، الرياض، ط ١، ١٤٠٢هـ.
- ٣٢- التحرير في أصول التفسير، أ. د. مساعد بن سليمان الطيار، راجعه أ. د. عبد العزيز القاري وآخرون، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط ١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- ٣٣- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.
- ٣٤- تحزيب القرآن، أ. د. عبد العزيز بن علي الحربي، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- ٣٥- تحقيق موقف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من الجمع العثماني، محمد بن عبد الرحمن الطاسان، جامعة الملك سعود، كرسي القرآن الكريم وعلومه، الرياض، ١٤٣٥هـ.
- ٣٦- تخريج إحياء علوم الدين = المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، زين الدين العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٣٧- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، زكي الدين المنذري (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ببيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٣٨- التّصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام البصري ثم القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، قدمت له وحققته: هند شليبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.
- ٣٩- التعريفات: علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٤٠- تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، أ. د. علي بن سليمان العبيد، دار التفسير، جدة، ط ١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- ٤١- تفسير ابن جرير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٤٢- تفسير ابن جزى = التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
- ٤٣- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢: ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- ٤٤- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طبية للنشر والتوزيع بالرياض، ط ٢: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٤٥- التفسير اللغوي، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ.

- ٤٦- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، عبد الرزاق بن همام الحميري (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم، مكتبة الرشد: الرياض، ط١، ١٤١٠.
- ٤٧- تفسير غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ٤٨- تفسير الماوردي = النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط.
- ٤٩- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة: مصر، ط١: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م.
- ٥٠- التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد المألطي (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.
- ٥١- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، ٢٠٠١ م.
- ٥٢- تيسير البلاغة القرآنية، د. جاسم سليمان الفهيد، مكتبة آفاق، الكويت، ط٣، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧ م.
- ٥٣- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم، مصورة عن الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٤- جمال القراءة وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث: دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٥٥- حديث الأحرف السبعة، أ. د. عبد العزيز القارئ، دار النشر الدولي، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٥٦- حسن المدد في معرفة فن العدد، إبراهيم بن عمر الجعبري (ت: ٧٣٢هـ)، تحقيق: د. بشير الحميري، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٣١هـ.
- ٥٧- حلية أهل القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط١، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨ م.
- ٥٨- الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، د. خالد بن عثمان السبت، مركز تدبر، دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦ م.
- ٥٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، إشراف: د. عبد الله التركي، دار هجر: مصر، ط١: ١٤٢٤هـ.
- ٦٠- دراسات في علوم القرآن، أ. د. زاهر بن عواض الألمي، ط٣، ١٤٢٥ م / ٢٠٠٤ م.

- ٦١- دراسات في علوم القرآن ، أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ، ط١٢ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- ٦٢- درة التنزيل وغرة التأويل ، محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدن ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية ، ط١ : ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- ٦٣- دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر والرد عليها . د. عبد المحسن بن زين المطيري ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت: لبنان ، ط١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
- ٦٤- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، محمد الأمين بن الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ٦٥- رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية ، أ.د. غانم قدوري الحمد ، منشورات اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس الهجري ، بغداد ، ط١ ، ١٤٠٢هـ .
- ٦٦- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ، تقريب: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٦٧- السبعة في القراءات ، أبو بكر بن مجاهد (ت: ٣٢٤) ، تحقيق: د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، د.ن .
- ٦٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، مكتبة المعارف - الرياض .
- ٦٩- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت: ٢٧٣هـ) ، دار الفكر - بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٧٠- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ببيروت .
- ٧١- سنن الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وغيره ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- ٧٢- سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ) ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٢هـ / ٢٠٠٠م .
- ٧٣- سنن القراء ومناهج المجودين: د. عبد العزيز القارئ ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط١ : ١٤١٤هـ .
- ٧٤- السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الهند ، ط١ ، ١٣٤٤هـ .

- ٧٥- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، إشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤١٢هـ.
- ٧٦- الشاهد الشعري في تفسير القرآن، د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري، مكتبة المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- ٧٧- شرح المقدمة الجزرية، أ.د. غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.
- ٧٨- شرح صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- ٧٩- شُعب الإيمان: أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- ٨٠- صحيح أبي داود (الأم)، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ٨١- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٨٢- صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف - الرياض، ط٥.
- ٨٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٨٤- طريق الهجرتين وباب السعادتين، شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ.
- ٨٥- علم إعراب القرآن: تاصيل وبيان، د. يوسف بن خلف العيساوي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- ٨٦- علم الاستنباط من القرآن: المفهوم والمنهج، د. نايف بن سعيد الزهراني، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م.
- ٨٧- علوم القرآن بين البرهان والإتقان: دراسة موازنة، د. حازم سعيد حيدر، دار الزمان، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- ٨٨- عمل اليوم والليلة، أحمد بن محمد بن إسحاق الديبوري، المعروف بابن السُّني (ت: ٣٦٤هـ)، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة / بيروت.

- ٨٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز ابن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ٩٠- فضائل القرآن: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت: ٢٢٤هـ):
- تحقيق: د. عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف المغربية، ط: بدون، ١٤١٥/١٩٩٥م.
- تحقيق: مروان العطية، وآخرين، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، ط: ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- ٩١- فضائل القرآن: جعفر بن محمد المستغفري (ت: ٤٣٢هـ)، تحقيق: د. أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم، ط: ١، ٢٠٠٨م.
- ٩٢- فضل القرآن الكريم: دراسة موضوعية، د. عبد السلام الجار الله، رسالة جامعية مصورة.
- ٩٣- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٩٤- القطع والانتشاف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. أحمد خطاب العمر، مطبعة العاني - بغداد، ١٣٩٨هـ.
- ٩٥- كتاب المصاحف، أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، تحقيق: د. محب الدين واعظ، دار البشائر الإسلامية، ط: ١، ١٤١٥هـ.
- ٩٦- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٩٧- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ.
- ٩٨- مباحث في إعجاز القرآن، أ.د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط: ٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ٩٩- مباحث في التفسير الموضوعي، أ.د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط: ٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ١٠٠- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، دار المعرفة، القاهرة، ط: ٣، د.ت.
- ١٠١- متن العقيدة الطحاوية، أبو جعفر محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: ٢، ١٤١٤هـ.
- ١٠٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٤١٢هـ.
- ١٠٣- مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن

- ابن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (مصورة) ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ١٠٤- محاضرات في علوم القرآن، أ.د. غانم قدوري الحمد، دار عمار: عمان- الأردن، ط١:
- ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- ١٠٥- المحرر في أسباب النزول (من خلال الكتب التسعة)، د. خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي: الدمام، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- ١٠٦- المحرر في علوم القرآن، د. مساعد بن سليمان الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط٣، ١٤٣٢هـ.
- ١٠٧- المحكم في نطق المصاحف، أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر - دمشق، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- ١٠٨- مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، لبنان، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ١٠٩- مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف، د. حازم سعيد حيدر، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- ١١٠- المدخل إلى علم القراءات، د. عبد القيوم السندي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
- ١١١- مذكرة في أصول التفسير ومناهجه (غير مطبوعة)، أ.د. مساعد بن سليمان الطيار.
- ١١٢- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي الدمشقي (ت: ٦٦٥هـ)، تحقيق: طيار آتني قولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ١١٣- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- ١١٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ١١٥- مشكل القرآن الكريم، د. عبد الله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ١١٦- المصنف بألف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، أبو الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- ١١٧- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، د.د.
- ١١٨- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة - مصر.

- ١١٩- مفتاح دار السعادة ومشور ولاية العلم والإرادة: شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٢٠- مفحّمات الأقران في مبهّمات القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- ١٢١- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ١٢٢- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر، دمساع الطيار، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٧هـ.
- ١٢٣- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٢٤- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، الجديع للبحوث والاستشارات، ليدز، بريطانيا، ط ٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- ١٢٥- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدع وإعجاز القرآن، ابن النقيب المقدسي الحنفي (ت: ٦٩٨)، تحقيق: د. زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي: القاهرة. د. ت.
- ١٢٦- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨)، تحقيق عصام الحرساني، ومحمد شكور، دار عمار: الأردن، ط ١: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ١٢٧- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، أبو عمر الداني (ت: ٤٤٤)، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر: دمشق، ط ٢، ١٤٠٤/ ١٩٨٣م.
- ١٢٨- المكي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء. د. عبد الرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ١٢٩- المكي والمدني من السور والآيات: من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، د. محمد بن عبد العزيز الفالح، دار التدمرية، الرياض، ط ١: ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- ١٣٠- المكي والمدني في القرآن الكريم، أ. د. محمد عبد الرحمن الشايع، د. ن، ط ١: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ١٣١- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، أبو جعفر ابن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي.
- ١٣٢- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- ١٣٣- مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الأكمعي، د. ن، ط ٣، ١٤٠٤هـ.

- ١٣٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٦م.
- ١٣٥- منجد المقرئين ومرشد الطالبين: شمس الدين محمد ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ١٣٦- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ١٣٧- منهج الاستنباط من القرآن الكريم، د. فهد بن مبارك الوهبي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- ١٣٨- الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، ١٤٢١هـ.
- ١٣٩- موسوعة التفسير المأثور: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دار ابن حزم: بيروت، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.
- ١٤٠- الميسر في علم عد أي القرآن: أ.د. أحمد خالد شكري، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط٢، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- ١٤١- النبأ العظيم، د. محمد بن عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- ١٤٢- النشر في القراءات العشر: شمس الدين محمد ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، طبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية.
- ١٤٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ١٤٤- النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: ربيع المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ١٤٥- النهاية في غريب الحديث والأثر: المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ١٤٦- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي (ت: ١٥٠)، تحقيق: أ.د. حاتم الضامن، مركز جمعة الماجد، دبي، ط١، ١٤٢٧هـ/١٩٩٦م.
- ١٤٧- وقوف القرآن وأثرها في التفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ط١، ١٤٣١هـ.

ثانياً: المجلات وأوراق الملتقيات:

- ١٤٨- أهداف ترجمات القرآن وأنماطها عبر التاريخ، د. محمود الريدائي، مجلة التراث العربي، العدد ٩٨، جمادى الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ١٤٩- أول من ألف في علوم القرآن: رؤية جديدة، د. خالد بن يوسف الواصل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ١١ع، محرم ١٤٣٣-١٤٣٤= ديسمبر ٢٠١١/٢٠١٢م.
- ١٥٠- تاريخ ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم وبيان خطرها. د. محمد حمادي الفقير. ضمن بحوث ندوة «ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل» المنعقدة بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ١٥١- ترجمة القرآن: حقيقتها وحكمها، أ.د. علي بن سليمان العبيد، ضمن بحوث ندوة «ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل» المنعقدة بمجمع الملك فهد بالمدينة المنورة عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ١٥٢- تقرير جهود المملكة العربية السعودية في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، إعداد: مركز الترجمات بالمجمع.
- ١٥٣- حديث أبي بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور وموقف المفسرين منه، د. ناصر المنيع، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ٦ع.
- ١٥٤- علم الانتصار للقرآن الكريم وموقعه بين مباحث القرآن، عبد الرحمن خير الله الشريف، مجلة تبيان، ١٣ع، ١٤٣٤هـ.
- ١٥٥- مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، د. محمد عبد الله الربيع، الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، ١٤٢٩هـ.
- ١٥٦- مفهوم النسخ عند المتقدمين والمتأخرين: نظرة تقويمية، د. مساعد بن سليمان الطيار، مجلة تبيان، ١٨ع.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
أهداف المقرر	٦
محتوى الكتاب	٦
الشمهيد: مدخل إلى علوم القرآن	٩
أولاً: مفهوم علوم القرآن	١٠
معنى (علوم) لغة واصطلاحاً	١٠
معنى (القرآن) لغة واصطلاحاً	١٠
المراد بـ«علوم القرآن»	١٠
ثانياً: موضوع «علوم القرآن»، وغاية معرفته	١٣
ثالثاً: نشأة علوم القرآن ومراحلها	١٣
أ. مرحلة الروايات الشفهية	١٣
ب. مراحل تدوين علوم القرآن	١٣
المرحلة الأولى: مرحلة التدوين المفرد	١٤
المرحلة الثانية: مرحلة الجمع الجزئي لعلوم	١٤
المرحلة الثالثة: مرحلة الجمع الكلي لعلوم القرآن	١٥
المرحلة الرابعة: العصر الحديث	١٥
رابعاً: الفرق بين علوم القرآن وأصول التفسير	١٧
خلاصة المدخل إلى علوم القرآن	١٨
أسئلة تقويمية وأسئلة إثرائية	١٩
الفصل الأول: علوم نزول القرآن	
أولاً: الوحي	٢٣

أولاً: الوحي إلى غير الأنبياء (الوحي بالمعنى العام)	٢٣
ثانياً: الوحي إلى الأنبياء (الوحي بالمعنى الخاص)	٢٣
طرق الوحي	٢٤
كيفية الوحي بواسطة جبريل عليه السلام	٢٤
كيفية تلقي جبريل عليه السلام القرآن من الله تعالى	٢٥
كيفية تلقي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن من جبريل عليه السلام	٢٦
ثانياً: كيفية نزول القرآن	٢٨
أولاً: النزول الجملي	٢٩
الحكمة من هذا النزول	٢٩
ثانياً: النزول المفروق	٢٩
الحكمة من نزول القرآن مفروقاً	٣٠
مقدار النازل من القرآن في كل مرة	٣١
ثالثاً: أول ما نزل من القرآن وآخره	٣٣
أول ما نزل من القرآن	٣٣
آخر ما نزل من القرآن	٣٣
رابعاً: المكي والمدني	٣٥
مفهوم المكي والمدني	٣٥
عدد السور المكية والمدنية	٣٥
طرق معرفة المكي والمدني	٣٦
ضوابط ومميزات المكي والمدني	٣٧
فوائد معرفة المكي والمدني	٣٩
مصادر معرفة المكي والمدني	٤٠
خامساً: أسباب النزول	٤٢
مفهوم سبب النزول	٤٢

٤٤	ضوابط تحديد سبب النُّزول
٤٥	صِيغ عبارات أسباب النُّزول
٤٦	طريق معرفة أسباب النزول ومصادرها
٤٧	العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
٤٨	فوائد معرفة أسباب النُّزول
٥٠	خلاصة الفصل الأول (علوم نزول القرآن)
٥٢	أسئلة تقويمية
٥٤	أسئلة إثرائية

الفصل الثاني: علوم جَمع القرآن

٥٧	أولاً: جَمع القرآن
٥٨	أولاً: جَمع القرآن في الصدور (حفظه واستظهاره)
٥٩	ثانياً: جَمع القرآن في الشُّطور (كتابته وتدوينه)
٦٠	المرحلة الأولى: جمع القرآن في عهد النبي ﷺ
٦٠	لماذا لم يكتب القرآن كاملاً في مصحف واحد في عهد الرسول ﷺ؟
٦١	معالم جمع القرآن في عهد النبي ﷺ
٦٢	المرحلة الثانية: جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ
٦٣	خصائص جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ ومعالمه
٦٥	المرحلة الثالثة: جَمع القرآن في عهد عثمان ﷺ
٦٦	عمل عثمان ﷺ في المصحف
٦٦	خصائص جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ ومعالمه
٦٨	أبرز الفروق بين الجَمع البكري والجَمع العثماني
٦٩	موقف الصحابة رضوان الله عليهم من الجمع العثماني
٧٠	ثانياً: ترتيب سُور القرآن وآياته
٧٠	الحكمة من تقسيم القرآن إلى سُور

ترتيب آيات القرآن	٧١
ترتيب سور القرآن	٧١
ثالثاً: عدد سُور القرآن وآياته وتجزئته	٧٥
(أ) عدد سُور القرآن	٧٥
(ب) عدد آيات القرآن	٧٦
تعريف علم عدّ الآي	٧٦
نشأة علم عدّ الآي وأهميته	٧٦
مصدر علم عدّ الآي	٧٧
الاختلاف في عدّ الآي	٧٧
فوائد معرفة عدد الآيات	٧٨
أقسام السُور من حيث الاتفاق والاختلاف في عدد آياتها	٧٨
مذاهب علم العدّد والأمصّر المنسوبة إليها	٧٩
مجموع عدد آي القرآن	٨٠
مراجع معرفة عدد آي السور	٨١
(ج) تجزئة القرآن وتحزيبه	٨١
الأصل في تحزيب القرآن وتجزئته	٨٢
تحزيب القرآن وتجزئته في عهد النبي ﷺ	٨٣
تحزيب القرآن وتجزئته بعد عصر الصحابة	٨٣
مصادر معرفة تحزيب القرآن وتجزئته	٨٤
رابعاً: رسم المصحف	٨٥
مفهوم رسم المصحف	٨٥
أبرز معالم الرّسم العثماني	٨٥
قواعد الرسم العثماني	٨٦
المصدر الأصل للرّسم العثماني وطريقة نقله	٨٧

المصنّفات في علم (رسم المصحف)	٨٧
هل الرسم العثماني توقيفيّ؟	٨٨
هل تجوز كتابة المصحف بغير الرسم العثماني؟	٨٨
خامساً: ضبط المصحف	٩٠
مفهوم علم الضبط وأنواعه	٩٠
أولاً: النّقط المدوّر (نقط أبي الأسود الدؤلي)	٩٠
ثانياً: نقط الإعجام	٩١
ثالثاً: الشكل المستطيل (نقط الخليل بن أحمد)	٩١
مجالات أخرى في ضبط المصحف	٩٢
الكتب المصنّفة في علم الضبط	٩٣
خلاصة الفصل الثاني (علوم جمع القرآن وتدوينه)	٩٤
أسئلة تقويمية	٩٨
أسئلة إثرائية	١٠٠
الفصل الثالث: علوم خصائص القرآن وحقوقه	
أولاً: أسماء القرآن وأسماء سوره	١٠٣
أسماء القرآن	١٠٣
مصدر أسماء القرآن	١٠٣
عدد أسماء القرآن	١٠٣
الأسماء المتّفق عليها	١٠٤
تسمية المصحف	١٠٥
ب) أسماء السّور	١٠٥
هل تسمية السّور توقيفيّة؟	١٠٥
تعدّد أسماء السّور	١٠٦
تسمية سور عدّة ، وتسمية بعض الآيات	١٠٧

- أسباب تسميات السُّور ١٠٧
- مصادر ومراجع معرفة أسماء السور ١٠٩
- ثانيًا: فضائل القرآن ١١٠
- مفهوم فضائل القرآن ١١٠
- أهمية معرفة فضائل القرآن وثمرتها ١١٠
- مصدر فضائل القرآن ١١٠
- موضوعات علم فضائل القرآن ومسائله ١١٠
- ١- فضائل القرآن العامّة ١١١
- ٢- فضائل أهل القرآن وحَمَلته ١١١
- ٣- فضائل سُور القرآن وآياته ١١٢
- تفاضل سور القرآن وآياته ١١٤
- مصادر معرفة فضائل القرآن وسُوره ١١٥
- ثالثًا: إعجاز القرآن ١١٧
- مفهوم إعجاز القرآن ١١٧
- نشأة علم إعجاز القرآن وتاريخه ١١٧
- (أ) في عهد النبوة وسلف الأمة ١١٧
- (ب) إعجاز القرآن بعد عصر السلف ١١٩
- (ج) إعجاز القرآن عند المعاصرين ١٢١
- أبرز وجوه الإعجاز القرآني ١٢٣
- ١- الإعجاز اللُّغوي ١٢٣
- ٢- الإعجاز التَّشريعي ١٢٤
- ٣- الإعجاز الغيبي ١٢٥
- ٤- الإعجاز العلمي ١٢٥
- المصنّفات في إعجاز القرآن ١٢٦

١٢٧	رابعاً: تدبر القرآن
١٢٧	مفهوم تدبر القرآن
١٢٨	مراحل التدبر
١٢٨	أهمية تدبر القرآن وثمراته
١٢٩	أركان التدبر
١٣٠	شروط التدبر
١٣١	موانع التدبر
١٣٢	نماذج من تدبر السلف والمفسرين
١٣٤	خامساً: الانتصار للقرآن
١٣٤	مفهوم علم «الانتصار للقرآن الكريم» وموضوعه
١٣٤	نشأة الشبهات حول القرآن والانتصار له
١٣٦	موضوعات الشبهات المثارة للطعن في القرآن وأبرزها
١٣٩	خلاصة الفصل الثالث (علوم خصائص القرآن وحقوقه)
١٤٢	أُسئلة تقويمية
١٤٣	أُسئلة إثرائية

الفصل الرابع: علوم قراءة القرآن

١٤٧	أولاً: الأحرف السبعة
١٤٧	مفهوم الأحرف السبعة
١٤٨	هل اشتملت المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة؟
١٤٩	الحكمة من رخصة الأحرف السبعة
١٥٠	ثانياً: علم القراءات
١٥٠	تعريف علم القراءات وبيان موضوعه
١٥٠	مصدر القراءات والعلاقة بينها وبين الأحرف السبعة
١٥٠	تاريخ القراءات وبيان القراءات العشر

- ١٥٣ القراءة الصحيحة والقراءة الشاذة
- ١٥٤ أبرز كُتب القراءات ومنظوماتها
- ١٥٥ القراءات المشهورة في العصر الحاضر
- ١٥٥ فوائد تعدد القراءات واختلافها
- ١٥٧ ثالثاً: علم التجويد
- ١٥٧ مفهوم علم التجويد وبيان موضوعاته
- ١٥٧ حكم التجويد والغاية منه
- ١٥٨ الفرق بين علم التجويد وبين علم القراءات
- ١٥٨ نشأة علم التجويد
- ١٥٩ أبرز مصنفات التجويد
- ١٦١ رابعاً: علم الوقف والابتداء
- ١٦١ مفهوم الوقف والابتداء
- ١٦١ أهمية علم الوقف والابتداء
- ١٦٢ أصل علم الوقف والابتداء وأبرز العلوم لمعرفته
- ١٦٣ مصادر الوقف والابتداء
- ١٦٤ مصطلحات العلماء في الوقف ومناهجهم
- ١٦٨ خامساً: آداب قراءة القرآن
- ١٦٨ مفهوم آداب قراءة القرآن
- ١٦٨ مصادر آداب تلاوة القرآن
- ١٦٨ مظان وجود آداب تلاوة القرآن والمؤلفات فيها
- ١٦٩ موضوعات آداب حملة القرآن
- ١٦٩ أبرز مسائل آداب تلاوة القرآن
- ١٧٠ آداب ما قبل القراءة
- ١٧١ الآداب أثناء القراءة

١٧٣	خلاصة الفصل الرابع (علوم قراءة القرآن)
١٧٦	أسئلة تقويمية
١٧٧	أسئلة إثرائية
	الفصل الخامس: علوم تفسیر القرآن
١٨١	أولاً: علم التفسير
١٨١	تعريف التفسير
١٨١	الفرق بين التفسير وعلوم القرآن
١٨١	الفرق بين التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر
١٨٣	نشأة علم التفسير ومراحله
١٨٤	تدوين التفسير وأبرز تصانيفه
١٨٤	أولاً: تدوين التفسير في عصر السلف
١٨٦	ثانياً: ما بعد عصر أتباع التابعين إلى عصر ابن جرير الطبري
١٨٦	ثالثاً: عصر الإمام محمد بن جرير الطبري
١٨٧	رابعاً: ما بعد عصر ابن جرير الطبري
١٨٩	ثانياً: علم أصول التفسير
١٨٩	مفهوم أصول التفسير
١٨٩	أهمية أصول التفسير
١٨٩	مسائل أصول التفسير وموضوعاته
١٩٠	نشأة علم أصول التفسير والمصنّفات فيه
١٩١	كيفية تفسير القرآن
١٩٢	أنواع الرأي
١٩٤	ثالثاً: علم مناهج المفسرين
١٩٤	مفهوم مناهج المفسرين
١٩٤	نشأة علم (مناهج المفسرين) وأبرز مصنّفات

موضوعات دراسة منهج المفسر	١٩٥
أساليب كتابة التفسير	١٩٦
اتجاهات المفسرين	١٩٧
رابعاً: علم أحكام القرآن	١٩٩
المراد بأحكام القرآن	١٩٩
عدد آيات الأحكام في القرآن وأقسامها	١٩٩
نشأة علم أحكام القرآن وتدوينه	٢٠٠
أبرز المصنفات في أحكام القرآن	٢٠٢
منهج ترتيب كتب أحكام القرآن وما يُلحظ عليها	٢٠٣
خامساً: علم النَّاسِخِ والمنسوخ في القرآن	٢٠٤
مفهوم النَّسخ	٢٠٤
أهمية علم النَّاسِخِ والمنسوخ والحكمة منه	٢٠٥
شروط النَّسخ	٢٠٦
ما يقع به النَّسخ	٢٠٦
أنواع النَّسخ في القرآن	٢٠٧
طُرُق معرفة النَّاسِخِ والمنسوخ	٢٠٨
مصادر النَّاسِخِ والمنسوخ وأبرز المصنفات فيه	٢٠٩
سادساً: علم مَتَشَابِهِ القرآن	٢١٠
أولاً: المتشابه اللفظي	٢١٠
المراد بالمتشابه اللفظي والحكمة منه	٢١٠
أنواع المصنفات في المتشابه اللفظي	٢١٠
علاقة توجيه المتشابه اللفظي بالتفسير	٢١١
ثانياً: المتشابه المعنوي	٢١٢
الإحكام العام والمتشابه العام	٢١٣

- ٢١٣..... المحكم الكلي والمتشابه الكلي
- ٢١٤..... علاقة صفات الله تعالى بمفهوم المحكم والمتشابه
- ٢١٤..... علاقة متشابه القرآن بالتفسير
- ٢١٦..... سابعاً: علم مُشكِـلُ القرآن
- ٢١٦..... مفهوم «مُشكِـلُ القرآن»
- ٢١٦..... الفرق بين متشابه القرآن ومُشكِـله
- ٢١٧..... أهمية معرفة علم «مُشكِـلُ القرآن» وعلاقته بالتفسير
- ٢١٧..... الحكمة من وجود المُشكِـل في القرآن
- ٢١٨..... نشأة علم «مُشكِـلُ القرآن» وأبرز المصنّفات فيه
- ٢٢٠..... أسباب الاختلاف ووقوع الإشكال في القرآن
- ٢٢٣..... ثامناً: علم مُبْهَمات القرآن
- ٢٢٣..... مفهوم مُبْهَمات القرآن
- ٢٢٣..... أهمية هذا العلم والأصل فيه
- ٢٢٤..... كيفية معرفة المبهّم
- ٢٢٤..... أسباب وقوع المبهّمات في القرآن
- ٢٢٥..... المصنّفات في مُبْهَمات القرآن
- ٢٢٦..... نماذج وتطبيقات مما ذكر من المبهّمات في جزء (عمّ)
- ٢٢٧..... تاسعاً: علم المناسبات في القرآن
- ٢٢٧..... مفهوم المناسبات في القرآن
- ٢٢٧..... أهمية هذا العلم
- ٢٢٧..... أنواع المناسبات في القرآن
- ٢٢٩..... المصنّفات في علم المناسبات
- ٢٣١..... عاشراً: تَرْجَمَة القرآن
- ٢٣١..... مفهوم الترجمة

أولاً: التَّرْجَمَةُ الحَرْفِيَّةُ	٢٣٢
ثانياً: التَّرْجَمَةُ التفسيرية أو المعنويَّة	٢٣٢
أهميَّة ترجمة معاني القرآن	٢٣٣
لَمُحَّة تاريخيَّة عن تَرْجَمَةِ القرآن	٢٣٣
خلاصة الفصل الخامس (التفسير وعلومه)	٢٣٧
أسئلة تقويمية	٢٤١
أسئلة إثرائية	٢٤٣

الفصل السادس: علوم لغة القرآن وأساليبه

أولاً: عِلْمُ غَرِيبِ الْقُرْآن	٢٤٧
مفهوم غريب القرآن	٢٤٧
أهميَّة علم غريب القرآن	٢٤٧
أقسام الألفاظ القرآنية	٢٤٧
نشأة علم غريب القرآن وأبرز مصنفاته	٢٤٨
نموذج لبيان غريب سُورتي الإخلاص والفلق	٢٥٠
ثانياً: عِلْمُ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ فِي الْقُرْآن	٢٥١
مفهوم الوجوه والنظائر	٢٥١
أهميَّة علم الوجوه والنظائر	٢٥٢
نشأة علم الوجوه والنظائر وأبرز مؤلفاته	٢٥٢
موضوعات علم الوجوه والنظائر ومنهج كُتُبِهِ	٢٥٢
ثالثاً: عِلْمُ الْمُعَرَّبِ فِي الْقُرْآن	٢٥٤
مفهوم المُعَرَّب	٢٥٤
مذاهب العلماء في وقوع المُعَرَّب في القرآن	٢٥٤
المصنَّفات في المعرَّب	٢٥٥
نماذج من المعرَّب في جزء عم	٢٥٦

٢٥٧.....	رابعاً: عِلْمُ إعراب القرآن
٢٥٧.....	مفهوم إعراب القرآن
٢٥٧.....	فائدته وأهميته
٢٥٧.....	تاريخه ونشأته
٢٥٨.....	شروط إعراب القرآن وآدابه
٢٥٨.....	المصنّفات في إعراب القرآن ومناهجها
٢٦٠.....	نموذج تطبيقي لإعراب أوّل سورة الفاتحة
٢٦٢.....	خامساً: عِلْمُ بلاغة القرآن
٢٦٢.....	مفهوم البلاغة
٢٦٢.....	نشأة البلاغة القرآنيّة
٢٦٣.....	علاقة عِلْمِ البلاغة بالقرآن وعلومه
٢٦٤.....	علوم البلاغة في القرآن
٢٦٦.....	سادساً: دلالات ألفاظ القرآن
٢٦٦.....	أولاً: العام والخاص
٢٦٧.....	ثانياً: المُطلق والمُقيّد
٢٦٨.....	ثالثاً: المُجمل والمُبيّن
٢٦٨.....	رابعاً: المنطوق والمفهوم
٢٦٨.....	النص والظاهر
٢٦٩.....	مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة
٢٧٠.....	سابعاً: عِلْمُ أقسام القرآن
٢٧٠.....	مفهوم القسّم
٢٧٠.....	فائدة القسّم في القرآن
٢٧٠.....	صيغة القسّم وأركانه
٢٧١.....	المُقسّم به في القرآن
٢٧٢.....	المُقسّم عليه (جواب القسم)

٢٧٣	أنواع القسَم
٢٧٣	المؤلفات في أقسام القرآن
٢٧٤	ثامناً: علم أمثال القرآن
٢٧٤	مفهوم المثل في القرآن
٢٧٤	أنواع الأمثال في القرآن
٢٧٥	فوائد ضرب الأمثال في القرآن
٢٧٦	أمثال القرآن في كتب علوم القرآن والمصنّفات فيها
٢٧٧	تاسعاً: علم قصص القرآن
٢٧٧	مفهوم قصص القرآن
٢٧٧	أنواع القصص في القرآن
٢٧٨	فوائد قصص القرآن
٢٧٨	خصائص القصص القرآني ومزاياه
٢٧٩	حكم التكرار في قصص القرآن
٢٨٠	المؤلفات في قصص القرآن
٢٨١	عاشراً: علم الجدَل في القرآن الكريم
٢٨١	مفهوم الجدَل
٢٨١	حكم الجدَل وأنواعه
٢٨٢	طُرُق الاستدلال والجدَل في القرآن
٢٨٤	المؤلفات في جدَل القرآن
٢٨٥	خلاصة الفصل السادس: علوم لغة القرآن وأساليبه
٢٨٨	أسئلة تقويمية
٢٩٠	أسئلة إثرائية
٢٩٣	فهرس المصادر والمراجع
٣٠٥	فهرس الموضوعات



إصدارات مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

- ١- مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية: مجلة علمية محكمة نصف سنوية؛ صدر العدد الأول منها في ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ = (١ - ٢٨ عددًا). متوفرة على رابط المجلة: <https://goo.gl/xjwtdN>
- ٢- الأعمال الكاملة للشيخ العلامة عبد الفتاح القاضي؛ إشراف ومراجعة: أ.د. عبد العزيز القارئ. (١- ٧٠ مج).
- ٣- موسوعة التفسير المأثور: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية. (١- ٢٤٠ مج)، ط٢: ١٤٤٠ هـ
- ٤- منهج الاستنباط من القرآن الكريم: فهد الوهي- سلسلة الرسائل الجامعية.
- ٥- إقراء القرآن الكريم: منهجه وشروطه وأساليبه وأدابه: دخیل الدخیل- سلسلة الرسائل الجامعية.
- ٦- منظومة المقدمة الجزرية: لابن الجزري؛ تحقيق: أ.د. غانم قدوري الحمد.
- ٧- تجربة المقرأة الثانية في تعليم القرآن: موسى الجاروشة- الطبعة الأولى.
- ٨- تعليم تدبر القرآن الكريم: أساليب عملية ومراحل منهجية: أ.د. هاشم الأهدل- ط٣ (مزيدة).
- ٩- الحسبة بشرح منظومة إتحاف الصغرى بما خالف فيه حفصاً شعبه: محمد عبد الله الشنقيطي.
- ١٠- مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف: أ.د. حازم سعيد حيدر.
- سلسلة المقررات الدراسية (١- ١٢).
- ١- المحرر في علوم القرآن: أ.د. مساعد الطيار - تسع طبعات.
- ٢- شرح المقدمة الجزرية: أ.د. غانم قدوري الحمد- ثلاث طبعات. ط٣ (منقحة).
- ٣- الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية: أ.د. غانم قدوري الحمد - سبع طبعات - ط٣ (منقحة).
- ٤- الميسر في علم التجويد: أ.د. غانم قدوري - أربع طبعات.
- ٥- الميسر في علم عي آي القرآن: أ.د. أحمد خالد شكري- طبعتان - ط٢ (منقحة).
- ٦- الميسر في علم رسم المصحف وضبطه: أ.د. غانم قدوري - ثلاث طبعات.
- ٧- التحرير في أصول التفسير: أ.د. مساعد الطيار- خمس طبعات.
- ٨- المدخل إلى علم القراءات: د. عبد القيوم السندي. الطبعة الأولى.
- ٩- حلية أهل القرآن (آداب حملة القرآن): مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، الطبعة الأولى.
- ١٠- علم الاستنباط من القرآن: المفهوم والمنهج، دنايف سعيد الزهراني، الطبعة الأولى.
- ١١- الميسر في أصول التفسير، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، الطبعة الأولى.
- ١٢- الميسر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، الطبعة الأولى.
- سلسلة الكشافات والأدلة
- إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية (١- ٨)
- ١- دليل الكتب المطبوعة في الدراسات القرآنية (حتى عام ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م).
- ٢- دليل أوعية تعليم القرآن الكريم حتى عام ١٤٣٣ هـ = ٢٠١٢ م - طبعتان.
- ٣- دليل الرسائل الجامعية في علوم القرآن حتى عام ١٤٣٥ هـ = ٢٠١٤ م.
- ٤- دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة.
- ٥- دليل أوعية تدبر القرآن الكريم.
- ٦- دليل الأعمال والدراسات العلمية المتعلقة بتفسير ابن جرير.
- ٧- دليل الأعمال والدراسات العلمية المتعلقة بتفسير ابن كثير.
- ٨- دليل الأعمال العلمية المطبوعة المتعلقة بالمنظومة الشاطبية.

